

دير القديس أنبا مقار
برية شيهيت

بمناسبة مرور ١٦٠٠ سنة على انعقاد المجمع المسكوني الثاني
(القسطنطينية) بخصوص تحديد لاهوت الروح القدس
(سنة ٣٨١م - سنة ١٩٨١م)

الرؤية الإلهية للأعياد الكنسية

الروح القدس

الرب المحيي

(في كتابين)

الكتاب الأول

الأب متى المسكين

دير القديس أنبا مقار
برية شهبیت

بمناسبة مرور ١٦٠٠ سنة على انعقاد المجمع المسكوني الثاني
(القسطنطينية) بخصوص تحديد لاهوت الروح القدس
(سنة ٣٨١م - سنة ١٩٨١م)

الرؤية الإلهية للأعياد الكنسية

الروح القدس

الربُّ المحيِّ

(في كتابين)

الأب متى المسكين

سلسلة: الرؤية الإلهية للأعياد الكنسية

صدر منها :

- ١ - أعياد الظهور الإلهي .
 - ٢ - الصوم الأربعيني المقدس .
 - ٣ - مع المسيح في آلامه حتى الصليب .
 - ٥ - الروح القدس الرب المحيي .
- وسيصدر فيما بعد الكتاب الرابع عن أعياد القيامة .

كتاب : الروح القدس الرب المحيي - الكتاب الأول .

المؤلف : الأب متى المسكين .

الطبعة الأولى : ١٩٨١ .

مطبعة دير القديس أنبا مقار - وادي النطرون .

ص . ب . ٢٧٨٠ القاهرة .

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية : ٨١/٣٣٤٢ .

الترقيم الدولي : ٧ - ٥٤ - ٧٣٢٠ - ٩٧٧ .

الفهرس العام

الكتاب الأول

المحتويات

صفحة	السنة التي نُشر فيها	
٥	١٩٨١	+ تقديم :
٩	١٩٧٩	+ يوم الخمسين في التقليد الآبائي
		+ الروح القدس وعمله داخل النفس
٤١	١٩٧٤	(عرض لأقوال الآباء النساك)
١٣٥	١٩٦٠	+ العنصرة
		+ الروح القدس وكمال استعلان الثالوث
١٨٣	١٩٨١	عند القديس أثناسيوس
		+ كيف يتم تقديس النفس بالروح القدس
٢٨٩	١٩٧٨	في لاهوت القديس كيرلس الكبير
		+ الروح القدس روح الوحدة في التقليد الكنسي
٣١٣	١٩٨٠	حتى عصر القديس كيرلس الكبير

الكتاب الثاني

المحتويات

		+ الباراكليت
٣٧٣	١٩٦١	(الروح القدس في حياة الناس)
		+ الروح القدس والإفخارستيا
٤٥٩	١٩٧٧	(وسيلتان إلهيتان لتوثيق علاقتنا الكيانية بالمسيح)
٤٨٧	١٩٧٣	+ عمل الروح القدس في العذراء وفينا

صفحة	السنة التي نُشر فيها	
		+ الروح القدس والرهبنة
٥٠٣	١٩٦٨	(حياة أنطونيوس امتداد لشعلة يوم الخميس)
٥١٥	١٩٧٣	+ الروح القدس والإستشهاد
٥٢٥	١٩٧٦	+ أعمال الروح القدس في العهد القديم
٥٥٥	١٩٧٠—٦٧	+ مقالات قصيرة عن الروح القدس
٥٩٥	١٩٧٥	+ مع الروح القدس في جهادنا اليومي
		+ الروح القدس في مواجهة العدو
٦٣٣	١٩٧٨	لحساب ملكوت الله
٦٤٩	١٩٧٩	+ الروح القدس يمنحنا القيامة
		+ حلول الروح القدس يوم الخميس
٦٦٥	١٩٧٣	(موعِد الآب)
٦٧٩	١٩٧٩	+ الصوم والروح القدس والخدمة
		+ المواهب الكنسية
٧٠١	١٩٦٩	(الروح القدس في حياة الكنيسة)
٧٤٥	١٩٧٢	+ الروح القدس وحركات التبشير المعاصرة
٧٩١	١٩٨١	+ ماذا حدث يوم الخميس
٧٧٣		الفهرس الموضوعي للكتاب

تقديم

مجمع القسطنطينية المسكوني الثاني

(مايو سنة ٣٨١ م)

ولاهوت الروح القدس

□ □ □

كان لاهوت الروح القدس من المبادئ الإيمانية الأساسية، التي استلمها الرسل القديسون من الرب منذ البدء، وسلموها إلى الكنيسة عبر التعاليم والإنجيل والأسرار: «عمدوهم باسم الآب والإبن والروح القدس»؛ فالتساوي هنا بين الأقانيم واضح ومطلق، على أساس وحدة الذات والجوهر في الله الواحد.

ولكن بقيام الأريوسية — في أوائل القرن الرابع — وتنكُّرها لمبدأ وحدة الجوهر الإلهي للآب والإبن؛ انفتح المجال أمام جماعة مقدونيوس أسقف القسطنطينية — في أواخر نفس القرن — لإنكار لاهوت الروح القدس، واعتباره في رتبة الملائكة (١)؛ مما دعا أساقفة الشرق لعقد مجمع ضده سنة ٣٦٠ م، حيث أسقطوه عن كرسيه (٢).

وبازدياد البلبلة، بسبب هذه التعاليم، أحس الإمبراطور ثيودوسيوس الكبير بالخطر المحدق بالكنيسة؛ فدعا إلى عقد مجمع مسكوني لهذا الغرض، ولتدعيم قوانين مجمع نيقية.

فاجتمع في القسطنطينية مائة وخمسون أسقفاً، كلهم شرقيون؛ وامتنعت روما عن إيفاد مندوبين عنها، لكنها أقرت قانونية هذا المجمع لخطورته. وقد بدأ المجمع جلساته في شهر مايو سنة ٣٨١ م.

(1) Early Hist. of Christ. Doct., p. 360.

(2) Hefele, Councils, vol. li, pp. 185, 273.

رأس المجمع الأسقف ميليتوس أسقف أنطاكية؛ وإذ تُوِّفِّي قبل انفضاض المجمع، اختير للرئاسة القديس اغريغور يوس الثيولوجوس الذي عُيِّن أسقفاً على القسطنطينية مدة قصيرة، ولكن باحتجاج البابا تيموثاوس الإسكندري مع أساقفة مصر بسبب كسر الثيولوجوس للقانون رقم ١٤ لمجمع نيقية - الذي ينص على عدم نقل الأساقفة من إيبارشياتهم - تنازل القديس اغريغور يوس واعتزل في مدينة نرينزي، تاركاً الرئاسة لنكتار يوس، الذي اختير أسقفاً على القسطنطينية من بعده.

وكان أشهر الأساقفة الأرثوذكس الذين حضروا المجمع، البابا تيموثاوس الإسكندري، الذي رأس جماعة المدافعين عن وحدة جوهر الثالوث^(٣)، وهم: ملاتيوس أسقف أنطاكية، وكيرلس الأورشليمي، وغريغور يوس الثيولوجوس، وغريغور يوس النيسي، ونكتار يوس أسقف القسطنطينية، واسخوليوس أسقف تسالونيكى، وديودور أسقف طرسوس، وأكاكيوس أسقف بيرية؛ هؤلاء هم أعمدة الكنيسة في ذلك الوقت الذين دعموا قوانين مجمع نيقية بضم واحد.

وإمعاناً من الإمبراطور في إظهار حقيقة التعاليم الرسولية، دعا جماعة المقدونيين المبتدعين للحضور، فحضر منهم ستة وثلاثون أسقفاً. وبعد تقديم البراهين الكتابية، والأدلة القاطعة من تعاليم الآباء حسب التقليد الرسولي المستقر في كافة الكنائس، حكم الآباء بتجريد مقدونيوس من جميع رتبته الكهنوتية، وثبتوا الإيمان المستقيم الذي أقره مجمع نيقية، كما أضافوا إلى نص دستور القائل: «... نعم نؤمن بالروح القدس...»، أضافوا الآتي:

«الرب المحيي، المنبثق من الآب، المسجود له والمجد مع الآب والإبن، والناطق في الأنبياء؛ وبكنيسة واحدة مقدسة جامعة رسولية؛ ونعترف بعمودية واحدة لمغفرة الخطايا. ومنتظر قيامة الأموات، وحياة الدهر الآتى. آمين». هذا هو دستور الإيمان، الذي لا زلنا نتلوه كل يوم، معترفين بفضل هؤلاء الأساقفة العظام، الذين حفظوا لنا الوديعة الإيمانية التي سلّمت للقديسين.

(3) Sozomen., VII, 7, N.&P N.F., p. 380.

وتكريماً منا لهذه الذكرى العطرة، التي حفرها الروح القدس في أعماق وجدان الكنيسة، قنا بهذا الجهد المتواضع، بتقديم هذه المقالات للقارىء، لعلّ يكون فيها استمراراً لحركة الروح القدس الذي أحيا الكنيسة، وأهبط نار الإيمان والحب في قلوب كل هذه الأجيال، دون أن تقوى عليها عواصف العالم.

□ الأب متى المسكين

دير القديس أنبا مقار

١٤ / يونيو / ١٩٨١ م. عيد حلول الروح القدس.

٧ / يونيو / ١٩٩٧ ش.





كتاب

يوم الخميس في التقليد الآبائي

(سنة ١٩٧٩)

المحتويات

١٣	مقدمة
١٥	أولاً: التقليد الآبائي بالنسبة لمركز الروح القدس في الثالوث المقدس
٢٢	ثانياً: مركز الروح القدس في الكنيسة
٢٥	أ. سلطان الروح القدس في الكنيسة
٢٨	ب. علاقة الروح القدس بالمسيح في الكنيسة
٣١	ثالثاً: حلول الروح القدس والشركة في الطبيعة الإلهية
٣٤	رابعاً: غاية الحلول وغاية الإشتراك في الطبيعة الإلهية

مقدمة

الكنيسة تواجه اليوم تحديات قوية من الداخل والخارج، على المستوى الروحي العملي، ونقصد به الحركات الجديدة المنتمة لنشاط الروح القدس؛ أو العقيدي النظري، ونقصد به التعليم الذي تقدمه الكنيسة الأرثوذكسية للعالم والذي تعيش وتؤمن به من جهة الروح القدس.

والإجابة على التساؤلات أو التحديات لا تكون بالإجتهاد الفكري الشخصي، لأن المسألة تتعلق بتقليد الكنيسة الذي عاشته منذ بدء وجودها في أشخاص آبائنا الذين سجلوا لنا هذا التقليد منذ أواخر القرن الأول، أي بعد عصر الأناجيل والرسل مباشرة.

وبالدراسة المنهجية الجادة والتعمق الروحي يرى كل المؤرخين واللاهوتيين التقليديين أن تقليد الكنيسة الأرثوذكسية حي متحرك بنمو يمكن الإمتداد به والإضافة إليه، ولكن لا يمكن الخروج عنه أو البناء على أساس آخر، لذلك فهو ليس جامداً أو ميتاً كما تصفه بعض الطوائف التي تحررت منه كلية فعاشوا تقليدهم الفكري الخاص الذي يختلف من فرد إلى فرد.

لذلك فالضرورة تحتم علينا أن لا نقول أو نشهد للروح القدس في حياتنا أو تعليمنا إلا على ضوء التقليد الأبائي، الذي هو بدوره ملتزم في الأساس بكلمة الإنجيل. فتقليد الكنيسة هو الذي يحدد صحة المعنى أو الشرح أو التطبيق، سواء في اللاهوت العقيدي النظري أو اللاهوت الروحي النسكي العملي. وكل خروج عن خط الآباء العام يخرجنا دون أن ندري عن مفهوم الأرثوذكسية وعن حياة الكنيسة التي انصبغت بها أئني سنة، فسر الإيمان الصحيح مرتبط بفاعليته، والمعرفة النظرية مرتبطة بالتطبيق العملي، وهذا وذاك تسليم من الرب ومن الرسل واستعلان روح الله القدوس الذي

ظهر بتفوق عام شامل وكامل في يوم الخميس ، ولا يزال يغذي الكنيسة و يعلن ذاته في الأفراد .

وهنا في هذا المقال نقدم لمحة سريعة عن موهبة إنسكاب الروح القدس يوم الخميس في التقليد الآبائي .

* * *



أولاً - التقليد الأبائي بالنسبة لمركز الروح القدس في الثالوث المقدس

إن سر الله العظيم المخفي منذ الدهور - سر الثالوث - بمفاعيله المتعددة للإنسان، انكشف لرسله بحسب شهادة القديس بولس الرسول لعمل يوم الخمسين في الرسل، إذ استُعلن بواسطة الروح القدس، بقوة فائقة وحكمة لا تعاند، سر المسيح ابن الله الذي جمع فيه الآب كل شيء ما في السموات وما على الأرض، هذا السر الذي ناله أيضاً القديس بولس الرسول بالسوية كباقي الرسل كامتداد مستمر لعمل يوم الخمسين: «أنه بإعلان عرفني بالسر، الذي بحسبه حينما تقرأونه تقدرُونَ أن تفهموا درابتي بسر المسيح الذي في أجيال أخر لم يُعرف به بنو البشر كما قد أعلن الآن لرسله القديسين وأنبيائه بالروح (الذين استلموا من الرسل): أن الأمم شركاء في الميراث والجسد ونوال موعده في المسيح بالإنجيل الذي صرت أنا خادماً له حسب موهبة نعمة الله المعطاة لي، حسب فعل قوته... وأنير الجميع فيما هو «شركة السر» المكتوم منذ الدهور في الله خالق الجميع بيسوع المسيح، لكي يُعرف الآن... بواسطة الكنيسة (كيان حي) بحكمة الله المتنوعة حسب قصد الدهور الذي صنعه في المسيح يسوع ربنا» (أف: ٣: ٢-١١).

وهكذا ينتقل القديس بولس الرسول من الإيمان بالمسيح - ابن الله - كسر كان مكتوماً في الله في كل الدهور السابقة، إلى أن صار سرّاً مستعلنًا بالروح، وأعلن جهاراً لرسله القديسين، لكي يستنير به الجميع. ثم يؤكد القديس بولس ذلك مرة أخرى، أن هذا السر أصبح يخص جميع الأمم كأمر من الله لإطاعة الإيمان بالمسيح: «وللقادر أن يشبثكم حسب إنجيلي والكراسة بيسوع المسيح حسب إعلان السر الذي كان مكتوماً في الأزمنة الأزلية ولكن أظهر الآن وأعلم به جميع الأمم (منذ يوم الخمسين) بالكتب النبوية حسب أمر الإله الأزلي لإطاعة الإيمان» (رو: ١٦: ٢٥، ٢٦).

ولقد ظل هذا السر، سر الآب والإبن والروح القدس، العامل لخلاص كل الشعوب، يُستعلن حسب أمر الإله الأزلي بواسطة الروح القدس الذي انسكب يوم الخمسين ولم ينقطع انسكابه حتى اليوم، وهذا معناه أن الله نفسه — بالروح القدس — هو الذي يضطلع بإعلان سره للأمم بواسطة قديسيه!!

فالإنجيل الذي كتبه الرسل هو «كلمة الله» المقولة بالروح القدس كشهادة مزدوجة، شهادة الله والإنسان «روح الحق يشهد لي وتشهدون أنتم أيضاً» (يو ١٥: ٢٦)، كذلك التقليد الكنسي بعمقه السري والسرائري بدأ بدوره الفعال يشرح كلمة الإنجيل و يدبر فعاليتها بالروح القدس نفسه في الأسرار منذ يوم الخمسين حتى اليوم.



أما التاريخ الفعلي للتقليد الآبائي فيما بعد الرسل فيبدأ منذ عصر «إيرينيئوس» المعتبر «أبو التقليد الكنسي» (آسيا الصغرى)، وقد انتقل هذا التقليد بسرعة خاطفة إلى الإسكندرية — التي نظن أن تقليدها موروث من الرسل أنفسهم — حيث استوطنها بعمق وغنى لا يجارى، ومن الإسكندرية انتقل إلى سوريا بنفس السرعة ثم آسيا الصغرى مرة أخرى بواسطة الآباء الكبادوكيين.

ولكن من أجل إستفادة القارىء، نود أن نؤكد أن استعلان سر الله في التقليد كان ولا يزال يعتمد جداً، بل يلتزم التزاماً، بحياة تقوية وشركة قوية في المسيح والروح القدس وصلاة وتكريس كلي، وهذا كان متوفراً لدى الآباء، فالتقليد الآبائي هو صنيعه الروح القدس إنما في أواني مهياة جداً ومعلّنة لعمل الروح القدس بحرية وانقياد سهل، لإستعلان الحق الإلهي الفائق وسر الخلاص المكتوم.

لذلك كم نحتاج إلى تقوى ومحبة واتضاع لكي نستجلي سر الروح القدس وندخل به إلى سر المسيح؟ كما يقول الكتاب: «بنورك يارب نعائن النور» (مز ٣٦: ٩) ! ولذلك كم يتطلب من الإنسان القداسة حتى بإستعلان المسيح ندرك أعماق الله!!

وفي ذلك يقول القديس إيرينيئوس :
[الآب هو الجوهر غير المنظور للأب ،
والابن هو الجوهر المنظور للآب] (١).

«الذي رأي فقد رأى الآب» (يو ١٤: ٩)، «الروح يعلمكم كل شيء»
(يو ١٤: ٢٦)!!، فالمسيح الذي هو مركز سر الله للخلاص المكتوم سابقاً هو الذي
يضطلع بنفسه بإعلان سر الله: «لكي تتعزى قلوبهم وهي متحدة في المحبة لكل غنى
يقين الفهم، لمعرفة سر الله في الآب وفي المسيح الذي فيه تختبئ كل كنوز الحكمة
والمعرفة (كو ٢: ٢، ٣ — ترجمة عن النص اليوناني).

ولقد اضطلع الروح القدس بكشف أعماق سر الله هذا — المكتوم منذ الدهور في
المسيح، منذ يوم الخمسين، كاشفاً وشاهداً بكنوز الحكمة والفهم «بكل حكمة وفطنة»
المذخرة في المسيح لأجلنا وللخلاص العالم بسر لا يُنطق به، «أن الأمم شركاء في
الميراث والجسد».

هذا الأمر الذي صار فرحاً أبدياً وتهليلاً من كل القلب لدى كل إنسان اقتبل هذا
الإستعلان، استعلان سر يوم الخمسين، وتيقن أنه وارث وشريك في المسيح لله بالروح
القدس الذي لا يكف عن الشهادة في الداخل!!

لذلك يتركز التقليد الآبائي بصورة أساسية على أن سر يوم الخمسين هو بدء
انكشاف عمل الثالوث الشخصي في الإنسان، بتأكيد الروح القدس وبقوة: أن
الإنسان صار بحق و يقين في شركة الثالوث، شركة حية فعالة مع الآب والإبن والروح
القدس، سواء بصيغة المعمودية أو بالحياة اليومية بعمق الصلاة والنسك و يقين الفهم،
الأمر الذي يعلق عليه القديس يوحنا الرسول بأنه يكون مصدر فرح أبدي «لكي يكون
لكم أيضاً شركة معنا، وأما شركتنا نحن فهي مع الآب ومع إبنه يسوع المسيح،

(١) ضد الهرطقة ٤: ٥.

ونكتب إليكم هذا لكي يكون فرحكم كاملاً» (١ يوحنا ٣ : ٤) .

• • •

وهنا نسرد للقارىء شيئاً من تقليد الآباء عن مركز الروح القدس في الثالوث ، حتى لا ينحرف الإنسان نحو التعلق بأقنوم دون باقي الأقانيم !! ... يقول القديس أناسيوس :

[ولكي يكمل فيه (أي في المسيح) كل معرفتنا بالله و يضع طقس الإنضمام للكنيسة (المعمودية) التي بها اتخذنا بشخصه وبالآب ، أوصى تلاميذه قائلاً إذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم (اصبغوهم) باسم الآب والإبن والروح القدس] (٢) .

ويلاحظ القارىء أن « الدعاء بالإسم » في التقليد الآبائي القديم ، هو بمثابة التواجد في الحضرة الإلهية وهو واسطة للحلول في المعمودية — كما في الإفخارستيا وباقي الأسرار — وتجده يأتي دائماً باسم الثالوث !!

يقول القديس أمبروسيوس :

[لقد ثبت لدينا أن حضور ونعمة الآب والإبن والروح القدس هو شيء واحد وكيان واحد علوي إلهي] (٣) .

يقول العلامة ديديموس :

[إن من تأهل أن يأخذ الروح القدس ، أو الإبن ، فله الآب أيضاً] (٤) .

يقول القديس أمبروسيوس :

[هكذا أيضاً يأتي الروح القدس الذي فيه — عندما يأتي — بصير ملء

(٢) القديس أناسيوس عن الروح القدس — الرسالة الأولى : ٦ .

(٣) عن الروح القدس ١ : ١١ : ١٢٥ . (٤) عن الثالوث : J. Quasten, Patrology iii, p. 96

حلول الآب والابن] (٥).

[النعمة تفيض من الروح القدس كما تأتي من الآب والابن ، لأنه كيف تقوم العطية أو النعمة بدون الروح مادامت كل النعم الإلهية كائنة في الروح القدس] (٦).

يقول القديس كيرلس الأورشليمي :

[إن النفس التي في الخطيئة حينما تصير بالتوبة مستحقة للروح القدس تأتي بأغمار من الثمار؛ فبينما الروح القدس واحد، ولكن كثيرة هي الفضائل التي يعملها بإرادة الله وباسم يسوع المسيح] (٧).

يقول القديس أناسيوس الرسولي :

[هذه الحقيقة أيضاً تبين أن عمل الثالوث واحد . فالرسول لا يعني أن ما يعطى يعطى بالتجزئة وعلى حدة من كل أقنوم ، بل إن ما يعطى فهو يعطى في الثالوث ، وإن كل ما يعطى هو من الله الواحد... وهكذا نرى أنه عندما يقال إن الروح القدس في أي واحد فإن هذا معناه أن الكلمة حال فيه مانحاً الروح القدس] (٨).

[وإننا نصير أبناءً عندما نقبل الروح القدس ، لأن الكتاب يقول : « إذ لم تأخذوا روح العبودية للخوف بل أخذتم روح التبني » ، فإن كنا بالروح القدس قد صرنا أبناءً فواضح أننا في المسيح ذُعينا أولاد الله] (٩).

[وعندما يعطى لنا الروح القدس ، يصبح الله فينا ، لأن يوحنا الرسول كتب : « إن أحب بعضنا بعضاً فالله يشبث فينا ، بهذا نعرف أننا نشبث فيه وهو فينا أنه قد أعطانا من روحه »] (١٠).

(٧) عظة ١٦ : ٤ .

(٦) شرحه ١٢ : ١٢٨ .

(٥) عن الروح القدس ١١ : ١٢٣ .

(٩) الرسالة الأولى لسيرابيون : ١٩ .

(٨) الرسالة الأولى لسيرابيون : ٣١ .

(١٠) المربع السابق .

أما القديس إيرينيئوس فيوضح لنا عمل الروح القدس بالنسبة للثالوث هكذا:
[والأبرار يعتادون الشركة في مجد الله الآب و يتمتعون بالشركة مع الملائكة
والإنجاد بالكائنات الروحية، ويرتفعون في الروح إلى الإبن وفي الإبن إلى
الآب] (١١).

[الله بواسطة الإبن والروح القدس يرفع الإنسان إليه] (١٢).

[رؤية الله تتم بواسطة الروح القدس بالبنوة، وتتم بواسطة الإبن بالتبني،
ولكن أبوته لا تتم رؤيتها إلا في ملكوت السموات. فالروح يعدُّ الإنسان،
والإبن يقوده إلى الآب، أما الآب فإنه يعطي الإنسان عدم الفساد
للحياة الأبدية، وذلك بالتطلع إليه بالحق] (١٣).

[أما رؤية الله (معرفة بالروح) فهي هي حياة الإنسان] (١٤).

و يقول القديس أناسيوس:

[هذا هو إيمان الكنيسة الجامعة لأن الرب أسسها في الثالث، وأصلها
فيه عندما قال لتلاميذه إذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب
والإبن والروح القدس] (١٥).

نستخلص من ذلك:

أولاً— أن الوحدة المتكاملة بين عمل الأقانيم لخلاص الإنسان متأصلة
ومتجذرة وملتزمة بصورة كاملة وأساسية بوحدةانية الله. فلا يوجد عمل لأقنوم يختص
بنفسه فقط خارج أو بدون عمل أقنوم آخر، وإلا ما استطعنا أن نقول إن الأقانيم
الثلاثة إله واحد.

ثانياً— كذلك لا يمكن فصل عمل أي أقنوم عن الأقنوم ذاته، لأن أساس عمل

(11) *Biblical Theology of St. Iren*, by Lawson, p. 285.

(١٣) المرجع السابق، ص ٢٨٥.

(١٥) الرسالة ٦: ٣.

(١٢) المرجع السابق، ص ٦.

(١٤) ضد الهرطقة ٤: ٦: ٥.

أقنوم الروح القدس مثلاً هو تقديم الإنسان فيه (أي في الروح) أساساً وبالنهاية لأقنوم الابن ليتحد به، وعمل أقنوم الابن هو تقديم الإنسان فيه (أي في الابن) أساساً وبالنهاية لأقنوم الآب ليتحد به. أي لا يوجد عمل للأقنوم خارج هدف الإتحاد بالله. وإلا خرج الخلاص عن مفهومه وغايته النهائية وهو الإتحاد بالله «أنا فيهم وأنت فيّ ليكونوا مكمّلين إلى واحد» (يو ١٧: ٢٣).

وغني عن البيان هنا أن مفهوم الإتحاد أو الشركة في الطبيعة الإلهية أو الأقنوم بالمفهوم الأرثوذكسي، لا يلغي كيان الإنسان أو طبيعته، ولا يرفعه إلى درجة الألوهة، فالإتحاد والشركة هي لاكتساب مواهب وفضائل وإلغاء ضعفات وخطايا «أخذ الذي لنا، وأعطانا الذي له» (التسبحة السنوية، ثيوطوكية الجمعة)، وليس لإمتلاك طبيعة الله أو أقنومه، فالله سيظل آخر بالنسبة للإنسان بالرغم من امتلاك الله للإنسان وحلوله فيه، وبالرغم من ملئه للإنسان إلى ملء قامته المسيح «فهو الملء الذي يملأ الكل في الكل» (أف ١: ٢٣)، بل وبالرغم من حصول الإنسان بسبب هذا الإتحاد على حالة التبني.

فنحن لا يمكن أن نصير أبناء إلا في المسيح، ولا يمكن أن نرث المواعيد إلا في الروح.

ولكن لن يستطيع الإنسان مهما أوتي من المواهب والعطايا، ومهما حصل من تبرير وتقديس، أن يستنفذ غنى المسيح في المجد ولا كمال التقديس في الروح. صحيح أننا سنظهر معه في المجد، ولكن كمستضيئين وليس كأصحاب النور، وصحيح «نعلم أنه إذا أظهر نكون مثله» (١ يو ٣: ٢)، ولكن لأننا سنراه كما هو فينطبع نور وجهه علينا ونأخذ صورته ومثاله.



ثانياً - مركز الروح القدس في الكنيسة

كانت عقيدة الثالوث، كما ذكرنا، موضع عبادة صامتة في الكنيسة منذ البدء، كما يقول القديس باسيليوس:
[إجعلوا غير المنطوق به (سر الثالوث) معبوداً في صمت] (١٦).

وكانت الكنيسة تُبنى وتنمو بالروح القدس بسرعة وثبات وبساطة فائقة «وأما الكنائس... فكان لها سلام، وكانت تُبنى وتسير في خوف الرب، وبتعزية الروح القدس كانت تتكاثر» (أع ٩: ٣١)، لأن التلاميذ الذين أوثمنوا على إدارة وتدير شؤون الكنيسة كانوا يمثلون كل يوم من الروح القدس: «وأما التلاميذ فكانوا يمثلون من الفرح والروح القدس» (أع ١٣: ٥١).

هذه كانت في الحقيقة الغاية الأساسية والعظمى التي من أجلها أرسل الرب الروح القدس من عند الآب في يوم الخمسين. والمسيح تشدّد جداً مع التلاميذ في عدم العمل بدون حلول الروح القدس بل وحدّد إقامتهم وجمّد حركتهم حتى ينالوا هذه القوة من الأعمالي. وهذا ارتبطت الكنيسة في عملها ونموها وتعليمها وشهادتها بالروح القدس ارتباطاً أبدياً لا يمكن التقليل من قيمته وإلا تجمدت الكنيسة. فبقدر انسكاب هذه القوة من الأعمالي بقدر ما يكون نموها وحركتها ونشاطها في الداخل وامتدادها الفعّال في الخارج حتى «إلى أقصى الأرض».

وقد حدد القديس بولس الرسول مدى الإرتباط الشديد بين الحصول على «قوة الروح القدس» وبين حلول المسيح في قلوب المؤمنين للحصول على كل ملء الله، سواء للأفراد أو للكنيسة كلها في المحبة.

(١٦) عن الروح القدس ١٨: ٤٤ (رقم النسخة اليونانية).

— «بسبب هذا أحنى ركبتي (طقس السجدة) لدى أبي ربنا يسوع المسيح لكي يعطيكم بحسب غنى مجده أن تتأيدوا بالقوة بروحه في الإنسان الباطن ليحل المسيح بالإيمان في قلوبكم وأنتم متأصلون ومتأسسون في المحبة حتى تستطيعوا أن تدركوا مع جميع القديسين ما هو العرض والطول والعمق والعلو وتعرفوا محبة المسيح الفائقة المعرفة لكي تمتلئوا إلى كل ملء الله» (أف ٣: ١٤-١٩).

ويلاحظ القارئ في هذه الآيات أن مفتاح كل هذه العطايا وحلول المسيح بالنسبة للفرد والكنيسة للوصول إلى كل ملء الله يتوقف على هذه الحقيقة: «أن تتأيدوا بالقوة بروحه»!! وكأما نحن أمام المسيح مرة أخرى مكرراً تحذيره لتلاميذه: «فأقيموا في مدينة أورشليم إلى أن تلبسوا قوة من الأعالي» (لو ٢٤: ٤٩).

وبذلك يكشف لنا القديس بولس الرسول عن بقاء وعي الكنيسة صاحبياً بالنسبة لمركز الروح القدس في الكنيسة، بل واستطاع ذلك القديس الملتهب بحب الكنيسة والذي أفنى حياته في غرس بذارها أن يربط بخيط ذهبي بديع متنقلاً بين قوة الروح القدس، إلى حلول المسيح في القلب، إلى تأصل وتأسيس الحب الإلهي، إلى عمق وارتفاع الشركة مع القديسين، إلى المعرفة المتعمقة في حب المسيح، إلى بلوغ كل ملء الله!! واضعاً بذلك أساس بناء الكنيسة في عمق الثالوث ولكن مبتدئاً بقوة الروح القدس!!

هنا يظهر لنا أصل التقليد من جهة مركز الروح القدس في الثالوث، ثم مركز الثالوث في الكنيسة، ومركز الكنيسة في شركة القديسين المتأسسة على الحب الإلهي. في الحقيقة هذا يُحسب منتهى التكامل العقيدي في العبادة بحسب التقليد الآبائي.

[لقد أسس كنيسته على الأنهار إذ جعلها بتدبيره الإلهي قادرة أن تأخذ الروح القدس الذي منه تفيض النعم كما من رأس ينبوع حيث تخرج أنهار مياه حية]^(١٧).
العلامة ديديموس (على المزامير).

(17) Quasten iii, 97.

[العالم هو البحر الذي تمخرفيه الكنيسة كسفينة تلاطم الأعماق ولكنها لن تتعطم، لأنها تحمل ربانها الماهر المسيح، أما شراعها الفاخر فهو الروح القدس] (١٨).

العلامة هيبوليتس

وفي اللاهوت النسكي اعتاد التقليد أن يشير إلى أن الشراع في السفينة هو عمل نعمة الروح القدس المجاني، وأن المجاذيف هي بمثابة الأعمال والجهادات والإماتات.



(18) Quasten ii, 203.

أ- سلطان الروح القدس في الكنيسة

الكنيسة باعتبارها جسد المسيح، وقد أوجدها بموته وقيامته، سلّمها للروح القدس ليملأها بالمواهب اللازمة لنموها وتكميلها ثم استعلانها، وأيضاً لكي يظل الرب يدبرها بنفسه كرأس لها، بواسطة عمل الروح القدس في الأفراد ليكونوا جسداً واحداً وروحاً واحداً، ولكن بمواهب متعددة جداً حتى تبلغ إلى قامة ملء المسيح.

ولكن بوجود الرئاسات الكهنوتية نشأت مشكلة ظلت تحتاج في كل العصور إلى تحديد عمل الروح القدس تحديداً قانونياً. فهل تُعتبر الكنيسة، باعتبارها صاحبة السلطان الذي أخذته من الرب ومن الروح القدس، خاضعة لنعمة وسلطان الروح القدس؟...

أم أن نعمة وسلطان الروح القدس أصبح خاضعاً لسلطان الرئاسات الكهنوتية؟

لقد أجابت الكنيسة - عملياً - خلال العصور المظلمة بالحل الثاني، ولكن الأساس التقليدي الراسخ كان قد تقرر منذ زمان المجمع المسكوني الثاني في القسطنطينية حينما أعلن الإيمان بالروح القدس أنه «رب»، وأنه بحسب الكتاب هو المضطلع دائماً بتعليم الحق في الكنيسة فيما يخص كل شيء قاله المسيح وكل شيء جديد لم يقله المسيح «ويخبركم بأمر آتية» (يو ١٦: ١٣) وذلك لأنبيائها وقديسيها والمختارين أيضاً.

يقول القديس غريغور يوس النزينزي:

[إن مخلصنا قال إن له أشياء أُخرب يريد أن يقوها ولكنه قال إن تلاميذه آنئذ لا يستطيعون أن يحتملوها... لذلك بقيت هذه الأشياء مخفية، ولكنه عاد فقال إن كل الأشياء ستعلمهم بواسطة الروح عندما يأتي ويحل بيننا] (١٩).

[الروح القدس نفسه يسكن بيننا ويمدنا بإيضاحات وافية عن شخصه] (٢٠).

القديس غريغور يوس النزينزي

(٢٠) المرجع السابق ٢٦: ٥.

(١٩) عظة على الروح القدس ٢٧: ٥.

و يقول القديس يوحنا ذهبي الفم:

[وبحلول الروح القدس يتم التقديس الذي من خلاله يصبح الله نفسه هو الذي يباشر سلطانه على المختارين والذين أقامهم مدبرين من شعبه] (٢١).

أما القديس كيرلس الكبير فيقول:

[لأن الرب الإله أمر موسى الحكيم أن يختار سبعين شيخاً من جماعة اليهود، وصرّح علانية: «سوف آخذ من الروح الذي عليك وأضع عليهم» (عد ١١: ١٧). وأطاع موسى وأحضرهم إلى خيمة الاجتماع (عد ١١: ٢٤)، إلا رجلاً تخلفاً عن الحضور ومكثاً في المحلة وهما ألداد وميداد، لكن الله وضع عليهم الروح الإلهي كما وعد، وأخذ الكل النعمة... الذين كانوا في خيمة الاجتماع مع موسى وكذلك الإثنان اللذان تخلفا، الكل تنبأوا. وفي الحقيقة إن الرجلين اللذين تخلفا تنبأ ونالا النعمة من فوق قبل الباقين. إلا أن يشوع بن نون الذي كان يلازم موسى دائماً والذي لم يفهم معنى السر، ظن أن الرجلين ألداد وميداد يمهدان لانقسام مماثل لما صنعه «داثان وأيرام». ولذلك أسرع إلى موسى قائلاً: «ياسيدي موسى اردعهما» (عد ١١: ٢٨). ولكن بماذا أجاب ذلك الرجل العظيم والحكيم الذي رأى بحكمته أن النعمة من فوق وأنها قد نالا معاً قوة الروح القدس؟... «هل تفارأنت لي؟ ياليت كل شعب الرب كانوا أنبياء إذ جعل الرب روحه عليهم» (عد ١١: ٢٩). ولاحظ كيف ينتهر يشوع الذي لم يعرف ماذا حدث. كان موسى يتمنى أن يعطى الروح للشعب كله، ولكن هذا كان سيحدث في الوقت المعين عندما يمنح الرب المسيح للكل الروح القدس] (٢٢).

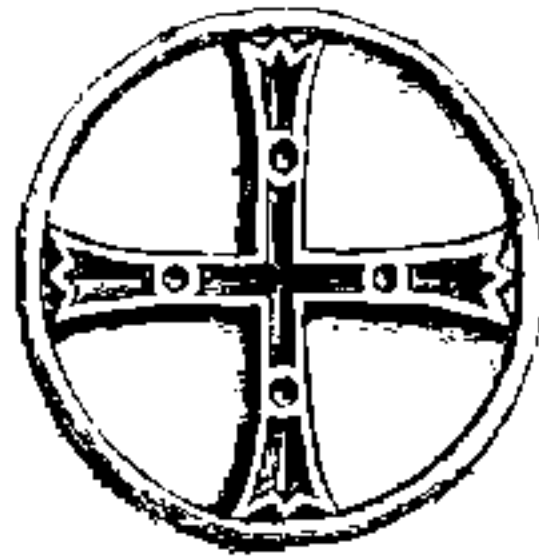
و يستخدم القديس كيرلس الأورشليمي هذه الواقعة بعينها ثم يزيد عليها بعض

(٢١) عظة على يوم الخمسين: النسخة اليونانية: P G I. 459 d

(٢٢) تفسير إنجيل يوحنا ٢٠: ٢٢، ٢٣

الكلمات لإثبات حرية سلطان الروح القدس في العمل بوضع اليد فوق تصور الإنسان .

[فبعدما اختير السبعون شيخاً، أتى الرب في السحابة وأخذ من الروح الذي على موسى ووضع على السبعين شيخاً (من خلال طقس وضع يد موسى عليهم — عدد ١١: ٢٤، ٢٥). لم ينقسم الروح، ولكن نعمته توزعت على قدر الأوعية وطاقة الآخذين، ولكن كان الموجودون ثمانية وستين فقط فتنبأوا، وكان ألداد وميداد غائبين، فلما ظهر أنه ليس موسى الذي كان يمنح العطية، ولكن الروح هو الذي كان يعمل ذلك، تنبأ في الحال ألداد وميداد مع أنها لم يكونا حاضرين مع الشيوخ] (٢٣).



(٢٣) للموعوظين ١٦: ٢٥.

ب - علاقة الروح القدس بالمسيح في الكنيسة

لقد أشار القديس بولس الرسول في أماكن عديدة إلى العلاقة الوثيقة بين عمل الروح القدس وعمل المسيح في الكنيسة. فهو يقول: «وليس أحد يقدر أن يقول إن المسيح رب إلا بالروح القدس» (١ كو ١٢: ٣). وأيضاً «إن كان أحد ليس له روح المسيح فذاك ليس له» (رو ٨: ٩). وقوله «ثم بما أنكم أبناء أرسل الله روح ابنه إلى قلوبكم صارحاً يا أبا الآب» (غل ٤: ٦).

وهكذا يتحقق أن الروح القدس يعمل في الأشخاص وفي الكنيسة لاستعلان المسيح ووجوده، أي يحقق فينا موته وقيامته وحياته بل ومجده أيضاً «ذاك يجديني لأنه يأخذ مما لي ويخبركم» (يو ١٦: ١٤).

[قد وعد المسيح أن يأتي بنفسه، فكشف بذلك عن أن الروح القدس لم يكن مجيئه لشيء آخر سوى تحقيق وجوده هو شخصياً] (٢٤).

القديس كيرلس الكبير

يقول القديس باسيليوس:

[عن مجيء المسيح؟ فالروح هو السابق!

عن الحضور بالتجسد؟ فالروح لا يفارق!

عن عمل المعجزات ومواهب الشفاء؟ فكله بالروح القدس!

عن إخراج الشياطين؟ فبروح الله!

عن مغفرة الخطايا؟ فيعطها الروح القدس «لكن اغتسلتم بل تقدستم بل

تبررتم باسم الرب يسوع و بروح إلهنا» (١ كو ٦: ١١) [(٢٥)].

وهكذا نستطيع أن نتحقق بوضوح أن عطية الروح القدس يوم الخمسين

(٢٤) وردت عن «هوسكن» في شرحه لإنجيل يوحنا (سنة ١٩٤٠)، ص ٥٤٠.

(٢٥) عن الروح القدس ١٩: ٤٩.

كانت بالنسبة للكنيسة — بحسب تقليد الآباء — بداية حضور المسيح السري في الكنيسة، حيث بدأ يمارس وجوده كرأس للكنيسة، التي هي جسده يدبرها بنفسه من خلال عمل الروح القدس حيث يجمع أعضائه ويوحدهم ويحركهم بالروح القدس:

[أينما وُجدت الكنيسة وُجد الروح القدس، وأينما وُجد الروح القدس وُجدت الكنيسة] (٢٦).

القديس ايرينئوس

[وبقدر ما توجد الكنيسة، وحيثما توجد أسرار الرب بقدر ما يتعطف و يتفضل بالحضور] (٢٧).

القديس أمبروسوس

[لأنه لا يمكن أن يكون الروح القدس موجوداً ولا يكون المسيح نفسه أيضاً موجوداً] (٢٨).

القديس يوحنا ذهبي الفم

كذلك فالقديس أثناسيوس يربط بشدة بين التجسد وإرسال الروح القدس معترفاً يوم الخمسين أو الحصول على الروح القدس غاية التجسد:

[الكلمة أخذ جسداً لكي نأخذ الروح] (*).

القديس أثناسيوس الرسولي

ولكن الذي نريد أن ننقله للقارئ ليس منطوق تقليد الآباء من جهة علاقة الروح القدس بالمسيح، بل بالحري روح الآباء نفسه، لأن الآباء كتبوا وشرحوا إيمانهم الذي كانوا يعيشونه بالروح، فلولا أنه كانت لهم علاقة حية بالروح القدس، ولولا أنهم نالوا بالفعل قوة الروح القدس، ما استطاعوا أن يواجهوا تحديات عصرهم بإيمانهم

(٢٧) عن الأسرار، الفصل الخامس.

(٢٦) ضد الهرطقة ٣: ٢٤١.

(*) P.G. xxvi, 996 c.

(٢٨) على رسالة رومية: عظة ١٣، ص ٤٣٦.

بالمسيح الذي أعلنوه أمام ملوك وقضاة تحت تهديد الموت .

لأنه بمجرد أن تسري قوة الروح القدس في داخل الإنسان الباطن يتأيد الإنسان بمعونة فائقة ، ويحس بنار تتأجج في صدره من أجل الشهادة للمسيح وإعلان مجده ، لأن هذه تكون شهادة الروح القدس نفسه للمسيح داخلنا .

إذن فالمسألة ليست دراسة عن أقوال آباء أو عن تقليد قديم لا وجود له ، بل نحن نكتب عن تقليد مهياً للممارسة ، وروح مستعد للإنسكاب .

[فأجسادنا التي من الطين إذا التهبت بحرارة ونعمة الروح القدس تشهد لآلام الرب يسوع وتتعترف جهراً بالإيمان به... هذا بلا شك هو الروح القدس الذي يُدعى ناراً كما يدعى نوراً] (٢٩) .

القديس أمبروسوس

يقول القديس غريغوريوس النزينزي :

[الروح القدس هو الذي يكملنا لكي نأخذ المعمودية ، ولكن بعد المعمودية نطلبه كعطية قائمة بذاتها] (٣٠) .



(٣٠) عن الروح القدس : ٢٩ .

(٢٩) عن الروح القدس ١٤ : ١٦٦ .

ثالثاً - حلول الروح القدس والشركة في الطبيعة الإلهية

لا يفرق التقليد الآبائي بين الأقانيم بالنسبة للحلول .

[وهكذا نرى أنه عندما يُقال أن الروح القدس في أي واحد ، فإن هذا
يعني أن الكلمة حائلٌ فيه مانحاً الروح القدس] (٣١).

القديس أثناسيوس

[لأننا إذ تكون لنا شركة في الروح القدس تكون لنا نعمة الكلمة ،
وتكون لنا أيضاً محبة الآب في الكلمة ، وكما أن نعمة الثالوث واحدة
هكذا أيضاً لا يمكن أن يتجزأ الثالوث] (٣٢).

[وعندما يكون الروح القدس فينا ، يكون فينا أيضاً الكلمة الذي يمنح
الروح القدس ، والآب الذي هو في الكلمة ، وهذا يتفق مع ما قيل : «إليه
نأتى (أنا والآب) وعنده نضع منزلاً» (يو ١٤: ٢٣) ، لأنه حيث وُجد النور
وُجد أيضاً الشعاع ، وحيث وُجد الشعاع وجد أيضاً نشاطه ووُجدت
نعمة الخافقة ، هذا ما نادى به أيضاً الرسول عندما كتب لأهل كورنثوس :
«نعمة ربنا يسوع المسيح ومحبة الله وشركة الروح القدس مع جميعكم»
(٢ كو ١٣: ١٤) ؛ لأن النعمة والموهبة التي تُمنح ، إنما تُمنح في الثالوث من
الآب والإبن في الروح القدس] (٣٣).

القديس أثناسيوس

(٣١) الرسالة الأولى عن الروح القدس : ٣١ .

(٣٢) الرسالة الثالثة : ٥ .

(٣٣) الرسالة الأولى : ٣٠ .

[ومنذ حلوله يوم الخميس — لم يعد حلوله بالقوة ενεργείαν ولكن ربما نستطيع أن نقول جوهرياً οὐσιωδῶς موْتلفاً معنا وسا كناً فينا] (٣٤).

القديس غريغور يوس النزينزي

[لأن الإيمان بالثالوث — الذي سلم إلينا — يُتحدنا بالله] (٣٥).

القديس أثناسيوس

[ولقد تحدث المسيح مع تلاميذه كثيراً بخصوص الروح القدس حتى لا يتصوروا أنه مجرد فعل أو قوة غير شخصية = ενεργείαν ἀνυπόστατον] (٣٦).

القديس يوحنا ذهبي الفم

و يعود التقليد و يؤكد في مواضع كثيرة عن أن حلول الروح القدس يعطي الإنسان شركة في الطبيعة الإلهية .

[وإن كنا بالإشتراك في الروح القدس نصبح «شركاء الطبيعة الإلهية»... لأن الذين فيهم الروح القدس تصبح لهم الطبيعة الإلهية على هذا الأساس . وإن كان الروح القدس يجعل الناس شركاء الطبيعة الإلهية فلا شك أن طبيعته طبيعة إلهية] (٣٧).

القديس أثناسيوس

[وجعل البشر يأخذون من طبيعته بالإشتراك في الروح القدس ، وهذه الصورة قدس الطبيعة الإنسانية بالقوة والمجد اللذين هما فوق الطبيعة الإنسانية ، ولا يوجد أدنى انحراف أو ابتعاد عن الحق فيما ذكرته] (٣٨).

القديس كيرلس الكبير

[وعندما نفخ فيهم وقال : «إقبلوا الروح القدس» جعلهم شركاء في

(٣٥) الرسالة الأولى : ٣٠ .

(٣٤) عن يوم الخميس : ١١ . P.G. 36, 444 C.

(٣٧) الرسالة الأولى : ٢٤ .

(٣٦) على سفر الأعمال : ٧ .

(٣٨) شرح إنجيل يوحنا ٢٠ : ٢٢-٢٣ .

طبيعته ومنحهم سكنى الروح القدس ، وجعلهم أيضاً شركاء في مجده
بإعطائهم القوة لحل وربط الخطايا] (٣٩).

القديس كيرلس الكبير

[هكذا أيضاً تنسكب محبة الله في قلوبنا بالروح القدس حتى لا نظن أنه
مجرد عمل أو فعل ، لأنه هو الذي يعطي وهو ينبوع الغني بالحب الإلهي .
ولكي ندرك على وجه التحقيق أن هذا الذي ينسكب لا يمكن أن يكون من
صفات الخليقة بل من خصائص الطبيعة الإلهية] (٤٠).

[بالروح نفتني صورة الله وننمو إلى مشابته ، وبالروح كما يقول معلمنا
بطرس - نصير شركاء الطبيعة الإلهية ، وهذه الشركة لا تعطينا ميراثاً
جسدياً ، بل تلك الرابطة الروحية في نعمة التبني] (٤١).

القديس أمبروسوس



(٣٩) شرح إنجيل لوقا ٥ : ٢٣ .

(٤٠) على الروح القدس ٨ : ٩٤ ، ٩٥ .

(٤١) المرجع السابق ٦ : ٨٠ .

رابعاً - غاية الحلول وغاية الإشتراك في الطبيعة الإلهية

مرة أخرى نشير إلى أن معنى الحلول ومعنى الإشتراك في الطبيعة الإلهية لا يفيد قط أن الإنسان يصير صاحباً أو مالكاً للطبيعة الإلهية أو يخرج عن جوهر إنسانيته، ولكن يتركز - حسب التقليد الآبائي - في استرداد صورة الله ومثاله التي كانت فيه سابقاً والتي فقدتها الإنسان بالسقوط. فعنى أن الإنسان صار شريكاً في الطبيعة الإلهية هو بالتحديد القاطع، حسب قول الآباء، أنه استعاد صورة الله ومثاله وحصل على مشيئة الله في أعماقه « لتكن مشيئتك ».

يقول القديس أمبروسوس:

[الذي ينال الروح القدس يمتلئ من مشيئة الله] (٤٢).

وصار بذلك إبناً بالتبني في شخص يسوع المسيح. فالإنسان سيظل هو الإنسان، العبد المتبني، صاحب الطبيعة الساقطة التي استعادت صورة مجد الله في المسيح « أنا قد أعطيتهم المجد الذي أعطيتني » (يو ١٧: ٢٢)، واستعادت حياتها الأبدية بقيامة المسيح وشركة الروح القدس.

ولكن كل ما نتوسل إليه ونرجوه من هذا الكتاب، أن لا يظن أحد أن الإتحاد بالمسيح في الروح القدس والشركة في الطبيعة الإلهية هي مجرد نظرية إيمان وعقيدة أو موضوع تأمل، ولكنها حقيقة تُعاش، وتغير حقيقي يشمل كيان الإنسان، وشركة حقيقية مع الرب ومع الروح، لها برهانها ولها مفاعيلها ولها حبه المتأجج وهيبتها الذي يجعل الإنسان لا يهدأ عن التسبيح والحمد والشهادة ليل نهار بفرح لا يُنطق به، لأن حياة حقيقية ومحبة إلهية تنسكب في قلب الإنسان، فهو إتحاد حقيقي، واستعادة صادقة لصورة القداسة الإلهية التي فقدناها، ولكن لا يستطيع إنسان في الوجود أن يستنفذ غنى

(٤٢) المرجع السابق ٧: ٨٩.

المسيح هذا ولا قداسة الروح، فالإنسان سيظل آخذاً والله سيظل معطياً إلى أبد الآبدين.

ولقد اختارت الكنيسة أن يكون التعييد لحلول الروح القدس يوم الخمسين — طلباً لاستمرار حلوله ودوام عمله — بالسجود إلى الأرض — بدعاء نحو الأقانيم الثلاثة — لذلك سمي الطقس بأكمله طقس السجدة، فليس من طريق آخر للدخول إلى الثالوث من أجل انسكاب الروح إلا من خلال الإلتضاع والانسحاق مع الرغبة الشديدة في إقتناء هذه العطية الثمينة، بالصلاة الحارة، والمحبة الملتببة، ليكون هذا تعبيراً صادقاً من طرف الإنسان عن استعداده لقبول المواعيد العظمى والتمينة!!

وكأنما بهذا يعود الإنسان باللاوعي إلى خلقته الترابية الأولى ساجداً بين يدي الله (الثالوث) ليتلقى تجديداً للنفخة الأولى بالروح القدس ليستعيد ما فقده:

[الله الآب بواسطة الابن والروح القدس جبل الإنسان على صورة الله... فالإنسان الكامل يتكون من شركة واتحاد النفس التي تقبلت «روح الآب» مع الجسد الذي صنع أيضاً على مثال الله، فالإنسان يصير كاملاً روحانياً بسبب إنسكاب «الروح» (روح الله) فيه فيكون على صورة الله ومثاله، فإذا فقدت النفس «الروح» (روح الله) يصير مخلوقاً غير كامل كطبيعة الحيوان يحمل صورة الله ولكنه يكون فاقداً المشابهة والمثال اللذين يعطيها الروح] (٤٣).

القديس إيرينيئوس

[فإن كان بنفخة الله قد حصلنا في البدء على صورة الله ومثاله التي تتكلم عنها الأسفار، ثم بالخطيئة فقدناها، ولكن الآن — بعد المعمودية — قد صرنا كما كنا عندما خلقنا أولاً بلا خطيئة ولنا سلطان على أنفسنا] (٤٤).

العلامة ديديموس

(٤٣) مجموعة الآباء ١٧٥ و١٧٦. (٤٤) عن الثالوث: Quasten, op. cit. 3, p. 98.

[ولكي نعلم أنه هو الذي في البدء خلقنا وختمنا بالروح القدس ، لذلك يمنح مخلصنا الروح القدس من خلال العلامة المنظورة ، أي « النفخة » للرسول القديسين ، لأنهم باكورة الطبيعة البشرية المحددة ، وكما كتب موسى عن الخلق الأول أن الله نفخ في أنف الإنسان نسمة الحياة ، يحدث نفس الشيء الذي حدث في البدء عندما يجدد الله الإنسان ، وكما خلق الإنسان في البدء على صورة خالقه ، كذلك الآن بالإشتراك في الروح القدس يتغير إلى صورة خالقه ويصبح على مثاله ، ولا يوجد لدينا أدنى شك في أن الروح القدس هو الذي يختم صورة المخلص على قلوب الذين يقبلون المخلص : « يا أولادي الذين أتمخض بهم إلى أن يتصور المسيح فيكم » وهو يقول أن المسيح لن يتصور فيهم إلا بالإشتراك بالروح القدس] (٤٥).

القديس كيرلس الكبير

[إذن فقد ختمنا بروح الله « الذي فيه أيضاً إذ آمنتُم خُتمتم بروح الموعد القدوس الذي هو عربون ميراثنا... » (أف ١: ١٣، ١٤) ، فنحن نُختم بالروح لكي نفتني بهاءه وصورته ونعمته... حتى بصور الروح القدس فينا مشابهة الصورة الإلهية] (٤٦).

القديس أمبروسوس

وهذا التقليد الراسخ عند الآباء في كيفية استرجاع صورة الله ومثاله بالروح القدس متأسس أصلاً على الكتاب المقدس الذي فيه يقول القديس بولس الرسول : « وحيث روح الرب فهناك حرية ، ونحن جميعاً ناظرين مجد الرب بوجه مكشوف (أي بدون برقع الناموس الذي كان يخفي نور وجه الله) كما في مرآة نتغير إلى تلك الصورة عينها (صورة مجد وجه الرب) من مجد إلى مجد كما من الرب الروح » (٢ كور ٣: ١٨).

ولكن في التقليد الآبائي لا تُفهم كلمة « ناظرين... نتغير » بمعناها اليوناني

(٤٦) على الروح القدس ٦ : ٧٩ .

(٤٥) على إنجيل يوحنا ٢٠ : ٢٢ ، ٢٣ .

الفلسفي، أي بواسطة التأمل في الله نتغير إلى تلك الصورة، لأن هذا منهج التأمل الأفلاطوني الجامد Static، ولكن يأخذها التقليد الكنسي بمعناها القديم الكتابي المتوارث: «فقال وجهي يسير فأريحك، فقال موسى له إن لم يسر «وجهك» فلا تصعدنا من هنا، فإنه بماذا يُعلم أنني وجدت نعمة في عينيك أنا وشعبك؟ أليس بمسيرك معنا» (خر ٣٣: ١٤-١٦).

هنا التطلع إلى وجه الله يلازمه مسيرة وحركة مع قيادة النعمة، العبادة هنا عمل وجهه وتغير Dynamic بقيادة الله.

إذن، فالنظر إلى مجد الرب والتغير إلى صورته بعينها من مجد إلى مجد، هي باقتفاء أثر نور مجد وجه الرب بالعمل حسب الإنجيل وبقيادة الروح، بالتغير «تغيروا عن شكلكم بتجديد أذهانكم» (رو ١٢: ٢)، وبالخلع واللبس المستمر: «خلعتم الإنسان العتيق مع أعماله ولبستم الجديد الذي يتجدد للمعرفة حسب صورة خالقه» (كو ٣: ٩، ١٠)، «أن تخلعوا من جهة التصرف السابق الإنسان العتيق الفاسد بحسب شهوات الفرور وتتجددوا بروح ذهنكم وتلبسوا الإنسان الجديد المخلوق بحسب الله في البروقداسة الحق» (أف ٤: ٢٢-٢٤).

وهكذا يسير التقليد الآبائي على منهج الإنجيل بدقة ووضوح من جهة عمل الروح القدس في الطبيعة البشرية لإسترجاع صورة الله ومثاله:

[وعندما يوجد الروح القدس فإنه يحول جيلة الناس من طين إلى ذهب
(كناية عن قداسة السمائي)] (٤٧).

القديس يوحنا ذهبي الفم

[لأن الروح القدس لا ينتقل من مكان لمكان، بل يتحرك من التزام المشيئة لتأمين الخلاص والفداء، من نعمة إعطاء الحياة إلى نعمة التقديس، لكي

(٤٧) على رسالة رومية عظة ٤.

ينقلنا من طبيعة التراب إلى السماء، من الشقاء إلى المجد، ومن العبودية إلى
الملوكية] (٤٨).

القديس أمبروسوس

ولقد استقبل النساك هذه المبادئ الإيمانية بحرارة وجدية، و يكفي للتدليل على ذلك ما سجله القديس أنطونيوس عن علاقته الشخصية بالروح القدس وحماسه البالغ في توصيل هذه الخبرة الفائقة:

[الروح الناري الذي قبلته أنا، اقبلوه أنتم أيضاً] (٤٩).

و يعلق أنبا تادرس تلميذ أنبا باخوم على موهبة اقتناء الروح القدس بقوله:

[ماذا يكون أعظم من أن يقفني الإنسان الروح القدس] (٥٠).

ولقد كانت مفاعيل الروح القدس في حياة الآباء وتصرفاتهم كلها معجزات تفوق الوصف، ولكن لإتضاع الآباء وحياتهم الشديد كانوا يخفون مواهبهم، ولكن كثيرين منهم لم يستطيعوا أن يخفوا نور الروح القدس الذي كان يشع حتى من وجوههم وأجسادهم. ومعروف بالتحقيق أن الأب أرسانيوس كان وجهه أثناء الصلاة « يتقد كالنار » بشهادة تلميذه، وكذلك الأب « پامو » والأب « شيشوي » والأب « سلوانس »، وهذه إشارة مبدعة أخذها الآباء اللاهوتيون كبرهان لما هو عتيد أن تقوم عليه أجساد القديسين في المجد العتيد أن يستعلن فيهم.

ولهذا يتوسل إلينا القديس بولس الرسول من جهة هذا الأمر « فأطلب إليكم أيها الإخوة برأفة الله أن تقدموا أجسادكم ذبيحة حية مقدسة مرضية عند الله »
(رو ١٢: ١).

وعن هذه الحقيقة يقول القديس مقاريوس الكبير:

(٤٨) على الروح القدس ١١: ١٢٢.

(٥٠) حياة أنبا باخوميوس.

(٤٩) الرسالة الثامنة.

[وفي القيامة العتيدة سينبعث الروح القدس من الداخل ليغطي أجساد القديسين ويزينها بالمجد الذي كان فيهم سابقاً، وإنما كان مخفياً فيهم داخل نفوسهم، فما يحصل عليه الإنسان الآن (من مجد الروح) سيصير ظاهراً في الجسد هناك (في القيامة)] (٥١).

ولكن الآباء لم يتفانحروا قط بما نالوه من مجد داخلي (٥) أو خارجي، سواء في أرواحهم من الداخل أو في أجسادهم من الخارج، بل بالحري كان يتقد الروح القدس فيهم من جهة تأليم أجسادهم ونفوسهم بحمل أثقال الضعفاء والمرضى. ولا يمكن أن ننسى الأب «أغاثون» الذي كان يشتهي شهوة أن يأخذ جسد إنسان مجذوم ويعطيه جسده، وقد اختبر الله نيته بالفعل في هذا الأمر فوجدها صادقة (٥٢).

لقد كان الروح القدس هو حياة الآباء وهو الناطق فيهم وهذا هو ما نعنيه من كلمة التقليد.

□



(٥١) عظة ١٩:٥.

(٥) نسمع اليوم بافتخار بعض الأخوة بما نالوه من مواهب بشيء من التعالي المستروراء تمجيد الله، وهذا يُحسب في التقليد الآبائي نقيصة، وفي منهج الإنجيل غباوة روحية، وقد فعلها بولس الرسول مرة تحت الإلتزام ثم ندم عليها: «قد صرت غيباً وأنا أفنخر، أنتم أرتتموني» (٢ كور ١٢: ١١).

(٥٢) أقوال الآباء P.G ٦٥:أغاثون: ٢٦.

كتاب

الروح القدس

وعمله داخل النفس

عرض لأقوال الآباء النُساك

(سنة ١٩٧٤)

المحتويات

عام / خاص

٧/٤٧

مقدمة

تعبيرات لاهوتية عن الروح القدس للقديسين

١٧/٥٧

أثناسيوس الرسولي وكيرلس الكبير

العلاقة بين الروح القدس في اللاهوت العقائدي،

٢١/٦١

والروح القدس في اللاهوت النسكي

الفصل الأول

الروح القدس

في تعاليم القديسين أنبا أنطونيوس وأنبا مقاريوس

أولاً: عمق العلاقة التي تربط النفس بالروح القدس:

٢٩/٦٩

أ- على نمط العلاقة بين الروح القدس والشاروبيم

٣٧/٧٧

ب- الطبيعة النارية التي للروح القدس تنتقل للنفس البشرية

٤٠/٨٠

ج- تغلغل الروح القدس في جوهر النفس البشرية

٤٠/٨٠

د- التحام سري فائق الوصف بين الروح القدس والنفس

٤١/٨١

هـ- التأثير الناتج من دوام مواجهة النفس للروح القدس

٤١/٨١

و- الروح القدس ينغرس داخل طبيعة النفس

٤٢/٨٢

ز- الروح القدس يحمل النفس على ذراعيه

٤٢/٨٢

ح- الروح القدس غني النفس

٤٥/٨٥

ط- امتزاج النفس بالروح واكتسابها لطبيعته

٤٥/٨٥

ي- الروح القدس لباس النفس العريانة

٤٧/٨٧

ك- الروح القدس تاج النفس واللؤلؤة الملوكية

٤٨/٨٨

ل- الروح القدس ملح النفس الذي يحفظها من الفساد

- ٤٩/٨٩ م- الروح القدس نور النفس ومصباحها
- ٥٠/٩٠ ن- الروح القدس حياة النفس
- ٥٠/٩٠ س- الروح القدس سبت النفس وعيدها الأبدي
- ٥١/٩١ ع- الروح القدس فرح النفس وملكوتها
- ثانياً: أهمية عمل الروح القدس داخل النفس
في صراعها ضد طبيعتها القديمة:
- ٥٣/٩٣ أ- الروح القدس سباق إلى الدعوة للتوبة وسباق إلى المعونة
- ٥٤/٩٤ ب- الروح حارس ضد النكسة
- ٥٥/٩٥ ج- الروح لا يلزم النفس بالتوبة، ولكنه يذكها
- ٥٦/٩٦ د- الروح هو القادر على إيقاف عمل الإنسان العتيق
- ٥٩/٩٩ هـ- الروح لا يعمل وحده، بل يحتاج إلى الإرادة
- ٦٦/١٠٦ و- عدم الإذعان للروح القدس خسارة عظيمة
- ٦٨/١٠٨ ز- وجود الروح القدس لا يمنع التجارب
- ٧٢/١١٢ ثالثاً: الروح القدس يختم النفس بخاتم العهد ويعطيها ميثاق الروح

الفصل الثاني

الروح القدس في تعاليم مار إسحق

- ٧٦/١١٦ ١- الصلاة وعمل الروح القدس
- ٧٦/١١٦ أ- الصلاة ومعونة الروح- «النعمة هي الملكوت»
- ب- المجاهدة في الصلاة بتفصب والحصول على النعمة
- ٧٧/١١٧ ومعونة الروح القدس
- ج- توفير الصلاة وتكريمها
- ٧٧/١١٧ يؤهل للحصول على النعمة وعلى عمل الروح القدس
- ٧٧/١١٧ ٢- الجهاد وعمل الروح القدس
- ٧٨/١١٨ ٣- جهاد الفضيلة يؤهل لفعل الروح القدس

- ٧٨/١١٨ ٤ - الجهاد ضد الأفكار الشريفة وعمل الروح القدس
- ٧٨/١١٨ ٥ - الجهاد بالأعمال الجسدية وعمل الروح القدس
- ٧٨/١١٨ ٦ - احتمال الضيقات وعمل الروح القدس
- ٧٩/١١٩ ٧ - احتقار أباطيل العالم ومحبة الآخرين يلازمها الروح القدس
- ٧٩/١١٩ ٨ - احتمال التجارب يؤهل الإنسان لعناية الروح القدس
- ٧٩/١١٩ ٩ - الإلتضاع يحرك الروح القدس
- ٧٩/١١٩ ١٠ - السؤال بالليل والنهار بدموع يؤهل لعطية الروح القدس
- ٨٠/١٢٠ ١١ - ترتيب المزامير والإمتلاء من الروح القدس
- ٨٠/١٢٠ ١٢ - الصلاة بحرارة الروح تحرق الشهوات والأفكار
- ٨٠/١٢٠ ١٣ - الثبوت الدائم في الصلاة والروح القدس
- ٨٠/١٢٠ ١٤ - إذا كثرت النعمة تزداد جرأة الإيمان
- ٨٠/١٢٠ ١٥ - سكنى الروح القدس والتعزية بالتجارب
- ٨١/١٢١ ١٦ - القراءة المستنيرة تؤهل لعمل الروح القدس
- ٨١/١٢١ ١٧ - الروح القدس يعمل في الصلاة الحارة النقية
- ٨١/١٢١ ١٨ - الروح القدس الباراقليط وقوة الإيمان المعزي
- ٨١/١٢١ ١٩ - عمل الروح القدس المفاجيء
- ٨٢/١٢٢ ٢٠ - الروح القدس وحزن التوبة
- ٨٢/١٢٢ ٢١ - تبادل مستمر بين عزاء الروح القدس
وبين التخلية والأحزان والقتالات
- ٨٣/١٢٣ ٢٢ - التوبة والروح القدس
- ٨٣/١٢٣ ٢٣ - الروح القدس والإحتراس والتدقيق
- ٨٣/١٢٣ ٢٤ - إمكانية السقوط بعد نيل النعمة
- ٨٤/١٢٤ ٢٥ - الروح القدس والإتكال على ذراع البشر
- ٨٤/١٢٤ ٢٦ - الروح القدس والجهاد ضد الخطايا
- ٨٤/١٢٤ ٢٧ - الروح القدس والصوم

- ٢٨ - الروح القدس والصلاة الدائمة ٨٤/١٢٤
- ٢٩ - الروح القدس والصلاة الروحانية ٨٥/١٢٥
- ٣٠ - الروح القدس ومعمونة البسطاء المتكلين على الله ٨٥/١٢٥
- ٣١ - الروح القدس والسقوط في البرودة والثقل ٨٥/١٢٥
- ٣٢ - الروح القدس والتجارب ٨٥/١٢٥
- ٣٣ - الروح القدس والصبر في الضيقات ٨٦/١٢٦
- ٣٤ - الروح القدس ونعمة العزاء ٨٦/١٢٦
- ٣٥ - الروح القدس والحركة الأولى داخل النفس للمخلص ٨٦/١٢٦
- ٣٦ - الروح القدس وسكنى النعمة في القلب ٨٧/١٢٧
- ٣٧ - الروح القدس ومذمة الناس ٨٧/١٢٧
- ٣٨ - الروح القدس ورفع النعمة بفتة ٨٧/١٢٧
- ٣٩ - الروح القدس وضبط الهوى ٨٧/١٢٧
- ٤٠ - الروح القدس ومحبة الصلاة ٨٧/١٢٧
- ٤١ - الروح القدس والصلاح المغروس في طبيعة النفس ٨٨/١٢٨
- ٤٢ - الروح القدس والصلاة بدون كلمات منطوقة ٨٨/١٢٨
- ٤٣ - الروح القدس وتقديس القلب والكلمة ٨٨/١٢٨
- ٤٤ - الروح القدس وإمكانية الإحساس به ٨٩/١٢٩
- ٤٥ - الروح القدس وتقديس هيكل النفس والصلاة الدائمة ٨٩/١٢٩
- ٤٦ - الروح القدس وذبيحة جسد المسيح ٨٩/١٢٩
- ٤٧ - الروح القدس والقفر في الطريق الضيق بتسرع ٨٩/١٢٩
- ٤٨ - الروح القدس وعمله بعد المعمودية ٩٠/١٣٠
- ٤٩ - الروح القدس يقرع ولا يستطيع الدخول ٩٠/١٣٠
- ٥٠ - الروح القدس ودعوة الخطاة ٩٠/١٣٠
- كلمة في الختام ٩١/١٣١
- العظة السابعة والخمسون للقديس مقار يوس الكبير ٩٢/١٣٢

مقدمة

الآباء القديسون الأوائل لهم سيرة عليها بصمة الروح القدس بلا نزاع، إنها سيرة روحانية بكل معنى الكلمة، ورائحة الروح القدس العطرة — كما يصفها القديس أنبا أنطونيوس (١) — تفوح من أعمالهم وأقوالهم التي تركوها لنا ميراثاً ثميناً.

والعجب أن هؤلاء القديسين، من حيث سيرتهم السابقة، فإن غالبيتهم خرجوا من بيوت أمية وبيئات اجتماعية دون المتوسطة، ومنهم من كانوا أشراراً عتاة تقلبوا على كل مراتب الخطيئة والشر، ولكن بانقيادهم للروح القدس بعزم لا يُقهر وبنشاط حار وتلقائية سريعة بلا تحفظ عند تقبلهم أول هاتف للتوبة، صاروا قديسين وأبراراً، وصارت حياتهم نبراساً ونموذجاً للكنيسة كلها، للإنسان الجديد المخلوق بحسب الله في البروقداسة الحق.

واستمرت فاعلية الروح القدس الصفة الأولى والعظمى السائدة على كل نشاطهم وحياتهم، فأكملوا قول الرسول — «منقادين بروح الله» (رو ٨: ١٤). لذلك فقد استطاع الروح أن يحقق في حياتهم بل وفي أنفسهم وأجسادهم كل مواهب المسيح وعطاياه الخلاصية الفائقة. فحياتهم ترجمة واقعية لمعنى الفداء وعمل الخلاص والمسح بالدم والميلاد الثاني وحياة التجديد والإيمان العامل بالمحبة، والرجاء الحار الذي يعيش ملء المستقبل في صميم الحاضر ويتذوق حتى فداء الجسد، والحب الذي يحول أعظم الآلام إلى نشيد للنصرة، حتى في أشد وأعنف الإضطهادات كانت تُسمع من أفواههم تسبحة الغلبة والخلاص، والنطق بالشهادة الحسنة للمسيح من تحت حد السيف.

فالذي يقرأ رسائل القديس أنطونيوس يخرج بانطباع روحي لا يمكن أن يفارقه مدى الحياة: نار. نار. نار، الدعامة الأساسية في تعاليم أنطونيوس نار إلهية تسكن النفس وتطيرها مرتفعة نحو السماء. هذه النار عند أنطونيوس هي سر الحياة الروحانية

(١) الرسالة التاسعة عشر — ص ١١٢.

وأساس كل سمرة في المسيح ومبدأ كل فضيلة وعلة كل عمل صالح: [إذا لم يحدث
هذه النار تصير كالطير الذي تُزع جناحه] (الرسالة الثامنة عشر).

لذلك فحروب الشيطان تتركز كلها ضد هذه النار الإلهية التي تسكن النفس:
[فلا تدعوا قوة هذه النار تُزع منكم، لأن حروباً كثيرة كائنة لكم من الشيطان
لأجل هذه النار المعطاة لكم من الرب لكي ينزعها منكم، لأنه يعلم أنه لا قدرة
له عليكم ما دامت نار الله فيكم] (الرسالة الثامنة عشر).

ولا يطيق أبنا أنطونيوس أن يرى أحداً بدون هذه النار فهو يستحث أولاده جميعاً
وكافة من يسمعه أو يقرأ له أن يقتني هذه النار، لأنها جوهر الحياة الروحية والقوة
الوحيية الدافعة التي تدفع النفس إلى السماء وسط عن الحياة وحقد الشيطان وكل
أهوال الموت! إسمعه يقول: [ذلك الروح الناري العظيم الذي قبلته أنا قبلوه أنتم
أيضاً]، ثم يتوسل إلى أولاده أن لا يشكوا قط في إمكانية قبوله: [لا تفكروا في
قلوبكم وتكونوا ذوي قلبين وتقولوا من يقدر أن يقبل هذا، لا يا أولادي، لا
تدعوا هذه الأفكار تأتي على قلوبكم، بل اطلبوا باستقامة قلب وأنتم تقبلونه]
(الرسالة الثامنة).

وهند أنطونيوس، عبثاً يقاوم الإنسان أفكاره الشريرة ونشاط قواه التصويرية
للنجاسة أو البغضة أو الحقد أو العداوة إلى أن يتسلم العقل لله نهائياً وكلياً، ويسلم
كل أفكاره للروح القدس ليحرقها أمامه: [وبسلطة العقل تطلبون من الله أن ينعم
هليكم بإتيان ناره غير المادية من العلا إليكم لتحرق كل أفكاركم ومشوراتكم
الردية التي في تلك المجرمة (أي الجسد)] (الرسالة السادسة عشر).

□

ولا ينفرد أبنا أنطونيوس بهذا الإحساس الغامر والدائم لفعل الروح القدس الناري
في النفس والجسد، بل يشاركه بنفس الحماس والغيرة أبنا مقار، في الإحساس
بفاعلية النار الإلهية داخل النفس كاشفاً سراً من أسرار قوة صلاة القديسين الذين
تسكنهم هذه النار الإلهية. إذ يقرر أن طبيعة هذه النار الإلهية طبيعة حارقة للشيطان
وكل أفكاره وتصاويره: [النفس إذا كان لها إقامة في شركة الروح القدس، فإن

طول إقامتها في نار الروح ونوره الإلهي يحصنها ضد أي هضرة من أي روح شرير لأنه إذا اقترب من النفس فإنه يحترق بنار الروح السماوي [(العظة ٣٠ ص ٢٣٣).

و يعود أنبا مقارو يؤكد أنه يستحيل على النفس القاسية والقلب الحديدي الصخري الذي تقسى بالخطيئة والشهوة والكبرياء والعداوة، يستحيل أن يلين إلا بهذه النار السماوية، فهي وحدها القادرة على تغيير طبيعة النفس: [حتى إذا نالت النفس هذه النار السماوية ومحبة الروح، حينئذ تنفك من محبة العالم وتفلت من كل فساد الأهواء وتغير طبيعتها من يبوسة الخطيئة] (العظة الرابعة).

كذلك فالذي يقرأ عظات أنبا مقار يخرج بانطباع عام لا يمكن أن يُسحى من قلبه، وهو تركيزه الفائق للوصف والحد على شدة العلاقة التي تربط الروح القدس بطبيعة النفس الثابتة، فهو لا يكف ولا يهدأ من إعطاء التشبيهات المتوالية حتى يرسم في ذهن السامع عمق الصلة السرية المتعددة الصفات والإمكانات التي تربط بين الروح القدس والنفس. ومن ثم فإن تعدد الرُّبُط وتعدد الصلات هو هو سر تعدد المعونات وتعدد مضاعفيل الروح القدس في النفس البشرية. فالقديس أنبا مقار يمثل الإلتحام الكائن بين طبيعة الروح القدس وطبيعة النفس بالتعاقب الحادث بين خيوط السداة القوية الزاهية بخيوط اللُّحمة الضعيفة الباهتة التي يتكون منها نسيج بهيج له صفة الأقوى.

ثم يعود ويمثل التغلغل الكائن بين طبيعة الروح القدس وطبيعة النفس بالماء الذي يغمر قطعة صخرية ويحيط بها من كل الجهات، فيجعلها تحف وتسهل حركتها. ثم يعود ويمثل التداخل الشديد والغامر بين الروح القدس والنفس بإيقاد مصباح في مكان مظلم. ثم يعود ويمثل الإتحاد بين الروح القدس والنفس بإتحاد نسمة الحياة بالجسد القابل للموت. ثم يعود ويمثل اتحاد الروح القدس بالنفس، بإتحاد النار بالحديد الصلب لفترة طويلة حتى يذوب ويتغير عن طبيعته. ثم يعود ويمثل هذا الإتحاد بالجنحين بالنسبة للطائر الذي يطير بهما في السماء، ثم يعود ويمثل هذا الإتحاد بالمعجزة التي تمت على يدي إيليشع النبي عندما ألقى قطعة خشب صغيرة في الماء (٢ مل ٦ : ٤-٧)،

فالتصق الخشب بالحديد الساقط في قعر الماء وارتفع به إلى السطح، والأخف رفع الأثقل!!

وفوق هذا كله، وقبل هذا كله، يصف الإتحاد الكائن بين الروح القدس والنفس البشرية بالعلاقة السرية جداً القائمة بين روح الله والشاروبيم الحامل لعرش الله، هذه الصلة التي جعلت من الشاروبيم ذوي الأوجه المخلوقة، حيواناً روحانياً مسبّحاً، كريماً جداً ولائقاً أن يحمل عرش الله.

هذا، ولكل تشبيه من هذه التشبيهات عمل خاص للروح القدس يعمل داخل النفس ليكملها بالكمال المسيحي!!

ويكفي القارىء أن يتصور في نفسه إمكانية وجود هذه الصلات جميعاً التي تربط بين نفسه وبين الروح القدس، حتى يندهل من فرط رحمة الله وحبه واتضاعه الذي وهبنا روحه الخاص الذي جعله بهذا القرب من طبيعتنا، وهذا الحب المجاني والتودد الفائق الإتضاع، لنتوب ونتجدد في الذهن والسيرة، ونصير بواسطته وبالإتحاد به والشركة معه خليفة روحانية صالحة جديرة بحلول الله ولكي يملأها بمجده لنسبحه الليل والنهار وإلى الأبد تسبيح الغلبة والخلاص.

□

أما مار إسحق، فعلى مدى كتبه الأربعة الضخمة التي تضم أكثر من ستمائة صفحة والتي يتحدث فيها عن كل ما يهم الناسك المسيحي السائر في طريق الحياة الأبدية، هذه كلها يخرج منها القارىء بانطباع يملك عليه كل تفكيره وهو عمل النعمة في الجهاد اليومي، النعمة. النعمة. النعمة.

والنعمة عند مار إسحق «هي الملكوت»، وهذا أيضاً هو ذات ما يقوله أنبا مقار في خطابه الكبير: [... لأن ما هو هذا الملكوت الداخلي؟ «هوذا ملكوت الله داخلكم» إلا «فرح الروح»، هذا الذي يتدفق بقوة في النفوس المستعدة. أليس هذا الفرحة وهذه الراحة المثمرة وهذا السكر الروحاني هو نفس ما بتذوقه المختارون في الفردوس في نور مجد الله؟].

كذلك فإن النعمة عند مار إسحق هي أيضاً عطية الروح القدس، وهي الروح القدس، ثم بدونها لا يمكن أن تُقام صلاة مقبولة أمام الله، بدونها يستحيل أن تهدأ الأفكار الطائشة وينجمع الفكر في الصلاة، بدونها لا يمكن أن يصلي الإنسان حتى ولو بتغصّب، بدونها يستحيل الجهاد الجسدي أو النسك أو الصوم الخالي من الإرهاق والتوجع، بدونها يستحيل احتمال الضيقات أو المظالم، بدونها يستحيل الصبر على الآلام والأمراض والأعواز، بدونها يستحيل الإنفطام عن شهوات الدنيا ومجازبات العدو، بدونها يستحيل القيام بأعمال إيمانية جريئة وإعطاء الشهادة الشجاعة في حينها، بدونها يستحيل مواجهة الموت بدون انزعاج.

والعكس، عند مار إسحق أيضاً، صحيح. فالنعمة التي تمنح الصلاة نحل وتأتي أيضاً بالصلاة!! أو بمعنى آخر إن النعمة أولاً تشجع وتحث على الصلاة، فإذا استجاب الإنسان لحث النعمة تعود فتسكب جهاراً بغزارة وبحرارة. كذلك فالنعمة التي توحى بالتغصّب تأتي أيضاً بالتغصّب، أو بمعنى آخر، يقول إن النعمة تحث على التغصّب، فإذا استجبنا للتغصّب سواء على الصلاة أو الصوم أو احتمال الإهانة أو الشتيمة أو الظلم تكون النتيجة أن النعمة تنسكب جهاراً بغزارة وفيض عظيم.

كذلك فإن النعمة وبنفس هذا الإتجاه المزدوج، تأتي بفيض وبغزارة عند احتمال الضيقات والآلام والأمراض والإنفطام عن شهوات العالم والجسد والشيطان وعند القيام بأعمال إيمانية جريئة والشهادة الحسنة.

وهكذا تغطي النعمة كل تعاليم مار إسحق، فهي تعمل من خلف النفس لتحثها على ركوب الصعاب حباً وكرامة وشهادة للمصلوب، ثم تسرع لتسند يمين السائر في الطريق الحرج. فإذا تقوّم ونجح، تُسرّع وتلقاه بالأحضان عند نهاية الجهاد لتملأه أفراحاً سماوية وهدوء نفس، هذا الذي يسميه مار إسحق «عدم التألم» الذي يبلغه المجاهد النشيط المُعان بالنعمة في نهاية الطريق الحرج!!

وتعاليم مار إسحق تبلغ قمتها عندما يتحدث عن الحب الإلهي، فهو الثمرة الوحيدة التي تثبت أن الجهاد صحيح من صلاة وصوم ونسك وخدمة وعبادة. ولكن لا يمكن اقتناء الحب الإلهي بالصلاة ولا بالصوم ولا بالنسك ولا بأي عمل آخر، فهو من عمل

الروح القدس مباشرة: [حب الله ليس هو عاطفة عابرة بدون إفراز، ولا هو يُقتنى من معرفة الكتب، ولا هو يتولد من الفضيلة وعمل مخافة الله، أو يُقتنى بالجهاد أو بتصور حب الله، ولا يأتي من تأدية واجبات المحبة حسب الوصية؛ بل إذا قبل الإنسان روح الاستعلانات وتجددت نفسه بحركات الروح وحكمة الله التي تفوق العالم، فإنه يحس بمعظمة الله جداً في نفسه. وبدون هذا الروح لا يمكن أن يدنو أحد من مذاقة الحب الممدوحة] (الجزء الأول—مير أول).



ولكن من وجهة نظر الكنيسة نستطيع أن نقول إن العنصر الأساسي المشترك في حياة الآباء جميعاً من جهة عمل الروح القدس النشط، هو عملية البناء العجيبة التي يضطلع بها الروح القدس، بناء جسد المسيح السري، من هذه النماذج المخلوقة المتجددة المتعددة من الشخصيات البارزة وغير البارزة، من الأفراد والجماعات والتجمعات في كل الأماكن وعبر الأجيال، كل من انقاد بالروح وأطاعه وخضع لصوته وسار بتدبيره السري البسيط. حتى أنه أصبح لدينا الآن من واقع حياة هؤلاء الآباء العظام ومتاهجهم وسلوكهم وأقوالهم صورة رؤى لكنيسة المسيح الروحية، جسده السري، تكاد تكون كاملة. أو بمعنى آخر ألا نستطيع أن نرى بالروح من حياة هؤلاء الآباء الأطهار وكل أخوتنا ومن سلوكهم العفيف وترفعهم عن أهواء هذا العالم وهروبهم من مجده الباطل وسلطانهم المطلق على الجسد وفرحهم في الآلام واحتماهم وصبرهم الفائق على كل الضيقات والمحن — أقول ألا نرى في هذا صورة للمسيح القائم من الموت غالباً العالم وساحقاً الشيطان تحت رجله؟؟

ثم ألم ينجح الروح القدس بهذا في تكوين أعضاء ممتازة لجسد المسيح السري بقيادته الحكيمة الفردية والجماعية لهؤلاء الآباء وتلاميذهم ورعاياهم في طريق الصليب؟؟ ألم ينجح الروح القدس في وضع صليب المسيح على أكتاف هؤلاء بطرق متنوعة، وهكذا يقودهم حتى الجلجثة والقبر من خلال أعظم المحن والآلام، ثم يعبر بهم بتشجيعاته وتعزياته بل وأفراحه وتهليلاته إلى مجد القيامة وهم لا يزالون في صميم الجسد والعالم وفي مواجهة الشيطان الساقط تحت أرجلهم سر يعاً؟؟

ثم أليس بهؤلاء يقدم الروح القدس قيامة حقيقية دائمة إلى العالم؟ محققاً نصرة كاملة دائمة لصليب المسيح فوق العدو وفوق العالم؟ ثم ألا يحق للروح القدس بعد هذا أن يقف في وسط مختار به وينطق بلسانهم مرة أخرى «ثقوا أنا قد غلبت العالم» (يو: ١٦: ٣٣)؟ ويكون بذلك قد تتم بالفعل وعلى طول المدى وعهد المسيح «فهو يشهد لي وتشهدون أنتم أيضاً» (يو: ١٥: ٢٧)؟

والنتيجة الحتمية لهذه المقدمة هي سؤالنا لأنفسنا: ما هو مقدار عمل الروح القدس فينا؟

ولكي نستطيع أن نرد على هذا السؤال نسأل سؤالاً آخر: هل نحن نعيش في شركة القديسين حقاً؟ لأن الروح القدس لا يعمل خارج شركة القديسين، لأن شركة القديسين هي جسد المسيح السري، أما شركتنا مع القديسين فهي شركة حب وآلام وجهاد مشترك يقودها الروح القدس، سرّاً وعلانية.

أما شركة الحب مع القديسين فلا يُقصد به الحب البارد الروتيني الذي نتعامل به مع الله ومع الناس أو الأقارب أو الأخوة، بل الحب الساخن الملهب كالنار المتقدة التي ترتفع دائماً إلى فوق والتي تحصد كل ما يعترضها!! الحب الذي يزكّيه الروح القدس فلا يكف الإنسان من رفع وجهه إلى فوق والدموع في عينيه، فلا يعرف صديقاً من عدو ولا قريباً من غريب، لا يضع العراقيل ولا يسوّف في البذل، لا يعرف المداراة ولا الممالأة ولا المحاباة، يميل دائماً إلى الأضعف والأصغر والأحقر والمظلوم. هذا الحب الساخن هو المؤهل الوحيد للإلتحام الكامل مع بقية أعضاء الجسد، أي مؤهل الشركة في جسد المسيح السري، فهو المؤشر الأول والأعظم الذي يدلّك على مقدار عمل الروح القدس في داخلك.

أما شركة الآلام مع القديسين فهي قبول نوع الصليب الذي يلقي عليك، باعتبارها النصيب المعين بتدبير الروح القدس لتكميل خلاصك سواء كان في نفسك أو في جسدك أو في مسؤولياتك أو كرامتك أو سمعتك، ولكن بدون تدمير أو صراخ أو حقد أو طلب النعمة، بل بقبوله من يد الله بالرضى والشكر باعتباره دواءً وعلاجاً تحدد نوعه ومقداره وزمنه بمنتهى الحكمة والرحمة معاً وبالقدر اللازم الحتمي لشفاء النفس

وخلاصها. فإن كان لاثقاً أن يكتمل المسيح نفسه بالآلام وهو رئيس الخلاص، فكم يكون لاثقاً أن يكمل الروح القدس خلاصنا بالآلام بصفتنا أعضاء جسد المسيح، وهو هو الذي كتمل بالآلام؟

إذن فنوع الصليب الملقى علينا ودرجة احتمالنا له، ثم درجة قبولنا ثم درجة رضانا ثم درجة شكرنا، كل هذا يحدد مقدار شركتنا في الآلام مع القديسين وبالتالي يحدد مقدار عمل الروح القدس في داخلنا.

أما شركتنا في الجهاد مع القديسين فهي استجابتنا العملية لكل وصايا المسيح التي اقترحها لحفظ خلاصنا في أمان من مهاجمة العدو وحروبه التي يشنها على كل من يتجاسر ويخرج من تحت سلطانه ويقاوم إغراءاته وأباطيله.

فالمسيح أوصى بالصلاة الدائمة، والسهر القلبي، وعدم الملل من الصلاة أو السهر، حتى لا ندخل في تجربة مع العدو. وأوصى بالصوم للنجاة من سلطة العدو وإخراجه بالقوة من الفكر أو الأعضاء أو الإرادة. وينبهنا المسيح بوضوح أنه لا توجد أية وسيلة أخرى نُخرج بها الشيطان من تسلطه على الجسد إلا الصوم المشفوع بالصلاة «هذا الجنس لا يخرج بشيء إلا بالصلاة والصوم» (مت ١٧: ٢١).

كما أعطى المسيح المثل للإعتكاف المؤقت للملء من الصلاة «وكان يمضي إلى مكان خلاء وكان يصلي» (مر ١: ٣٥)، وللإعتكاف الطويل نوعاً ما لإكتساب الراحة الداخلية وتجديد قوى الروح «وكان يمضي إلى الجبال وبيت هناك، وكان يمضي الليل كله في الصلاة» (لو ٢١: ٣٧، ٦: ١٢)، كما أعطانا المثل للإعتكاف الطويل في البرية لمواجهة النفس وكل تجارب العدو والتخلص من سلطان الجسد والعالم «وللوقت أخرجه الروح إلى البرية وكان هناك في البرية أربعين يوماً يُجرب من الشيطان، وكان مع الوحوش، وصارت الملائكة تخدمه» (مر ١: ١٢).

هذا الجهاد الذي تشترك فيه كل قوى الإنسان الجسدية والنفسية ضرورة حتمية يزكها المسيح ويؤازرها الروح القدس لمواجهة عدو خبيث ينتهز كل فرص ضعف الإنسان في أي ناحية من نواحي كيانه الجسدي أو النفسي لكي يسقطه في الخطية،

لحرمانه من حياة القداسة التي يشترك فيها القديسون، تمهيداً لفصله عن بقية أعضاء جسد المسيح حتى لا يعاين الله إلى الأبد.

لذلك فإن مستوى جهادك، ثم مقدار مساهلة الروح لك وموازرتة في كل جهاد، وتقويته لعزيمتك في هذا الجهاد بكل أنواعه ودرجاته حسب الوصية، ثم الفرح والغيرة التي تتولد من الجهاد والمثابرة فيه، كل هذا يكشف عن مقدار «انقيادك» للروح القدس، وبالتالي يوضح لك مقدار عمل الروح داخلك.

وهذا ينتهي بنا في النهاية إلى السؤال الخطير: فإذا لو كان الروح القدس روح المحبة الساخنة منطفئاً في القلب، فلا رَفَع وجه ولا دموع حب ولا حرارة في علاقتنا مع الآخرين ولا تودداً ولا بدلاً بفرح ولا اشتياقاً يحرق القلب لخلاص النفوس السائرة في طريق الهلاك؟

ثم ماذا لو كان روح العزاء منقطعاً فعُله داخل النفس، حيث انعدام القدرة على مجرد احتمال الألم أو تحمُّل إساءة أو ظلم أو إهانة أو شكر على تجربة أو حتى مجرد الصبر في الضيق أو الرد على تعيير العدو؟

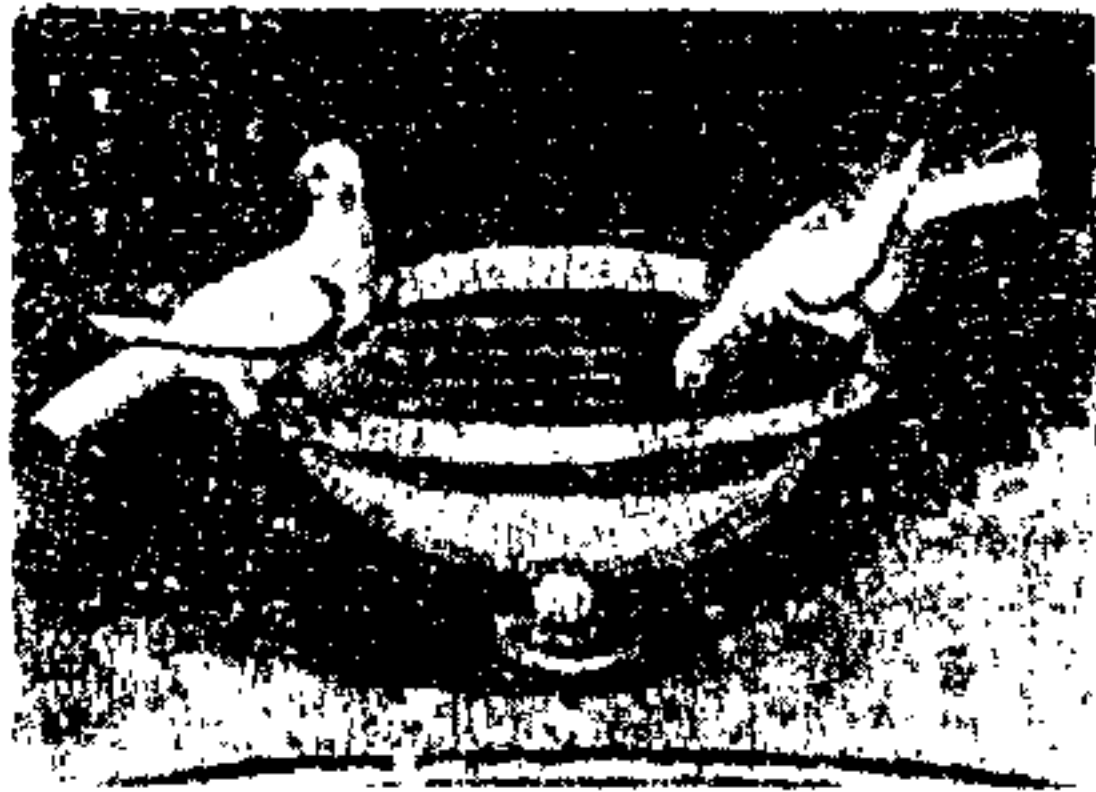
كذلك ماذا لو كان روح الجهاد محزوناً داخل النفس بسبب الكسل والتواني والإستهتار بالصلاة والصوم والسهر والتحمل من أي جهد مبذول في خدمة الروح؟ كل هذا يكشف بلا مواربة أن الروح القدس إما منطفيء، أو محزون، أو لم يملأ القلب بعد. وهنا يقف القديسون النساك العظام أنطونيوس ومقار يوس وكل الذين غلبوا وعبروا، يستحثوننا بكل توسل. فأتبا مقار يوس ينادي أولاده أن يقفوا على أرجلهم يطلبون هذه العطية ويصرخون إلى الله كمجروحين جرحاً مميتاً، أو كمن يعترضهم شبح الموت ليصدهم عن الحياة الأبدية. وأتبا أنطونيوس يتوسل إلى أولاده أن يديموا الطلبة باجتهاد ولا ينقسموا في أفكارهم أو يقولوا من يقدر أن يقبل هذا:

[لا يا أولادي لا تدعوا هذه الأفكار تأتي على قلوبكم. اطلبوا باستقامة قلب وأنتم تقبلونه. اطلبوا باستقامة قلب هذا الروح الناري، وحينئذ

يعطى لكم . أديبوا الطلبة باجتهاد من كل قلوبكم فإنه يُعطى لكم ، لأن
ذاك الروح يسكن في القلوب المستقيمة . وإن طلبتي من أجلكم في الليل
والنهار أن يكون فيكم هذا الروح بعظمته ولذته الذي قبله جميع
الأطهار... اطلبوا لكي يلقي الرب يسوع في قلوبكم هذه النار التي جاء
ليلقيها على الأرض حتى تستطيعوا أن تتدربوا في عزائمكم وحواسكم].

□

وهكذا نأتي إلى حتام هذه المقدمة متوسلين إلى الله بكل رجاء وطلبة ، من أجل
كل نفس في الكنيسة أن يكون الآن هو الوقت المقبول لها وساعة الخلاص وبدء التوبة
للمصالحة مع الروح القدس ، لتجديد الحياة وللدخول الصادق في شركة القديسين .



تعبيرات لاهوتية عن الروح القدس للقدسين أناسيوس الرسولي وكيرلس الكبير

وإن كان شغل اللاهوتيين الشاغل هو الدفاع عن الإيمان بسبب الصراع اللاهوتي الحادث في أيامهم، إلا أنه لم تخلُ تعبيراتهم العقائدية الصرفة من منفعة عظيمة للنسك الذين كانوا يعيشون في نور هذه الحقائق اللاهوتية، لأن اللاهوت الحقيقي هو ما كان عن تجربة إيمانية صادقة وتذوق من صميم الممارسة. واللاهوتي الحقيقي هو من عاش مع الله وارتفع إليه بالرؤيا ودخل إليه وخرج!!

ومن أعظم مميزات لاهوت القدسين أناسيوس وكيرلس: صحة عن اختبار، ودقة عن صفاء الرؤيا، وتصميم يبلغ حد الإستشهاد بسبب قناعة أتت من عمق الإحساس بالحق.

لذلك رأينا، قبل أن نأتى إلى أقوال الآباء النساك العملية، أن نورد هذه اللمحات المبدعة عن الروح القدس لهذين اللاهوتيين، وهما القديسان ريبيا النساك والليزان تتلمذا على أيديهم قبل أن يتبوعا عرش الكرازة ويتسلما مسئولية الدفاع عن الإيمان المستقيم للكنيسة كلها، أناسيوس على يدي أنطونيوس، وكيرلس على أيدي أبناء أنبا مقار.

أقوال للقدسين أناسيوس الرسولي

(من رسائل عن الروح القدس) (*):

[وعندما كتب إلى أهل تسالونيكي قائلاً: «لا تطفئوا الروح» (غل ٣: ٢)،

(*) عن كتاب «رسائل القديس أناسيوس الرسولي عن الروح القدس» تعريب القس مرقس داود.

كان يتحدث إلى أشخاص يعرفون «من» هو الذي قبلوه — لثلا بسبب الإهمال يطفئوا نعمة الروح الذي كان قد اشتعل في داخلهم [ص ١٢ .

[ولكي يكمل لنا المسيح نيه (أي في الروح القدس) كل معرفتنا بالله و يضع طقس الإنضمام للكنيسة (المعمودية) والذي به (أي بالروح القدس) اتخذنا بشخصه (أي بشخص المسيح) وبالآب...] ص ١٧ .

[كما أن المسيح ابن حقيقي ، فإننا نصير أبناءً عندما نقبل الروح القدس . « إذ لم تأخذوا روح العبودية أيضاً للخوف بل أخذتم روح التبني » (رو ٨: ١٥) . وإن كنا بالروح القدس قد صرنا أبناء ، فواضح أننا في المسيح قد دُعينا أولاد الله « وأما كل الذين قبلوه فأعطاهم سلطاناً أن يصيروا أولاد الله » (يو ١: ١٢)] ص ٥١ .

[وعندما يعطي لنا الروح القدس (قال المخلص : اقبلوا الروح القدس — يو ٢٠: ٢٢) يصبح الله فينا] ص ٥١ ، ٥٢ .

[الروح القدس هو روح القداسة والتجديد] ص ٥٨ .

[الروح القدس يدعى «مسحة» وهو «الختم»] ص ٦٠ .

[والذين يمسخون يقولون عندما يتناولون المسحة «نحن رائحة المسيح الزكية» (٢ كو ٢: ١٥) ، والختم له قالب المسيح الذي يختم ، والذين يُختمون (بالروح) يشتركون فيه إذ يتشكلون بشكله ، كما يقول الرسول «يا أولادي الذين أتمخض بكم أيضاً إلى أن يتصور المسيح فيكم» (غل ٤: ١٩) .

وهكذا إذ نُختم نصير بحق — كما يقول بطرس الرسول — «شركاء الطبيعة الإلهية» (٢ بط ١: ٤)] ص ٦١ ، ٦٢ .

[المسحة والختم الذي فينا لا ينتمي إلى طبيعة مخلوقة بل إلى طبيعة الإبن الذي يُتخذنا بالآب عن طريق الروح القدس الذي فينا] ص ٦٢ .

[إن كنا بالإشتراك في الروح القدس نصبح «شركاء الطبيعة الإلهية» (٢ بط ١: ٤) ، فن الجنون أن نقول أن الروح القدس له طبيعة مخلوقة... لأن الذين فيهم الروح القدس ، تصبح لهم الطبيعة الإلهية على هذا الأساس .

وإن كان الروح القدس يجعل الناس شركاء الطبيعة الإلهية، فلا شك في أن طبيعته طبيعة إلهية [ص ٦٢، ٦٣ .
] عندما يُقال إن الروح القدس في إنسان، فإن هذا يعني أن الكلمة حالاً فيه مانحاً الروح القدس [ص ٧٩ .
] لأننا إذ تكون لنا شركة في الروح القدس، تكون لنا «نعمة الكلمة» وتكون لنا أيضاً محبة الآب في الكلمة [ص ١٠٦ .

ومن كتابات القديس كيرلس الكبير

- ١ - [(أ) الروح القدس هو الرباط الذي يربط أنفسنا بالآب والإبن .
 (ب) الروح القدس هو صورة الإبن ، وهو حينما يطبع ذاته على أنفسنا، فهو يعيد خلقتنا لتكون على صورة الإبن الذي هو بالتالي على صورة الآب .
- (ج) الروح القدس هو القوة التقديسية في الثالث، بحيث أن التقديس أو القداسة هي له صفة جوهرية ، كما الأبوة للآب والبنوة للإبن] (١) .
- ٢ - [الروح القدس يؤهلنا عندما يجعلنا مطابقين للإبن في بنوة مكتسبة ، وهكذا يستعيد أو يسترجع عمل الآب فينا] (٢) .
- ٣ - [(أ) وبما أن الروح القدس يجعل الذين يسكن فيهم أبناء الله وشركاء في الطبيعة الإلهية ، لذلك فإننا باتحادنا بالله نصرخ بإيمان « يا أبا الآب »] (٣) .
 [(ب) إن التجديد الذي نحصل عليه هو في الحقيقة من عمل الثالث ... حتى وعندما ننسب لكل أفعالنا عملاً مما يحدث لنا أو للخليقة . ولكن علينا أن نؤمن

(1) "La Sanctification d'après Sainte Cyrille d'Alex.", J. Mahé., Revue d'histoire ecclésiast. 10 (1909), p. 480. Cited by St. Vladimir's Th. R. Q. 18/1/1974.

(2) "El Sp. Sanct. Cyrille d'Alex." J. Sagües, cited by St. Vladimir's Th. R. Q. 18/1/1974, ibid.

(3) Theaurus XXXIII, P.G. 75. Cols. 589, 606, 749, 905, 1085, 1088, 1098, cited by St. Vladimir's Th. R. Q. 18/1/1974, ibid.

بالرغم من ذلك أن كل شيء هو من الآب بالإبن في الروح القدس^(٤).

١- سواء كان خلقة ما^(٥).

٢- أو دعوة للتلمذة^(٦).

٣- أو هبة عدم الموت^(٧).

٤- أو تقديس الحياة^(٨).

٥- أو كل ما يهبنا الله إياه من الصالحات^(٩).

٤- [فالروح القدس يرسله الآب للقديسين بواسطة الإبن]^(١٠).

٥- [كل شيء إنما يستعاد مجدداً للآب بالإبن في الروح القدس]^(١١).

٦- [المسيح نفسه يجعل بواسطة الروح القدس في من يعرفه و يربطه بواسطة نفسه

بالقراة الروحية مع الله الآب]^(١٢).



(4) In Jo. Evang., X, P.G. 74, col. 336.

(5) Contra Julian III, P.G. 67, col. 649 & De Rect. Fid. P.G. 76, col. 1204.

(6) Adv. Nest., IV, P.G. 76, col. 108.

(7) In Jo. Evang., IX, P.G. 74, col. 280

(8) De SS. Trinit., Dialog V, P.G. 75, col. 1000.

(9) De Rect. Fid., P.G. 76, col. 1272.

(10) Thesaurus, P.G. 75, col. 581.

(11) In Jo. Evang., XI, P.G. 74, col. 541.

(12) Ibid., col. 577, A.

العلاقة بين :

الروح القدس في اللاهوت العقائدي، والروح القدس في اللاهوت النسكي.

أهم ما نريد أن نلفت إليه الأنظار في لاهوت كيرلس الكبير العقائدي بخصوص عمل الروح القدس داخل النفس البشرية، الذي يعتبر بحق المدخل الأساسي للاهوت النسكي، هو ما تضمنته العبارة التي أكد عليها كمعيار أساسي في كل لاهوته:

[πάντα ἐστὶν παρὰ Πατρὸς δι' Υἱοῦ ἐν Πνεύματι]

[كل شيء هو من الآب بالإبن في الروح القدس]

أي أن كل ما يحدث للنفس البشرية هو حصيلة حتمية لعمل الثالوث المشترك. ولكن الفعل المباشر للنفس الذي يتضمن كل عمل الآب والإبن، هو «في الروح القدس».

فالروح القدس لا يعمل من نفسه، كما يقول الكتاب: «لأنه لا يتكلم من نفسه بل كل ما يسمع يتكلم به» (يو ١٦: ١٣). ولكنه متخصص كلية في توصيل عمل الآب والإبن!!

فالروح القدس هو الذي يجعل المسيح وكل ما للمسيح من موت وقيامة وحياة، فينا ولنا مباشرة، ثم هو هو و«بالمسيح» يجعلنا تحت أبوة الآب وسلطانه وحبه وتدبيره وكل عطاياه.

فإذا كانت فينا علامات وفاعلية موت المسيح الإرادي وقيامته دائساً الموت والعالم، وحياته التي لا يشوبها الموت، فإن هذا يؤكد أن الروح القدس موجود وفعال فينا وأنه أكمل مشيئة الإبن تماماً.

كذلك فإن كانت فينا دالة البنوة لله الآب في الصلاة الحارة المنطلقة التي يلهبها

الحب الإلهي الأبوي، فإن الضمير يصرخ في حرارة الإيمان والحب «يا أبًا. الآب» بلا هوادة، وهذا معناه أن الروح القدس موجود وفعال وأنه قد أكمل مشيئة الآب فينا.

فالمسيح قدم لنا الفداء والخلاص بسفك دمه، ولكن الروح القدس هو الذي يورثنا هذا الفداء والخلاص ويجعله بسهولة فائقة حقاً لنا ونصيياً، ولكنه لا يورثنا هذا الفداء والخلاص على وثيقة مكتوبة بل برش الضمير بدم المسيح، وغسل الجسد بالمعمودية، وفعل المسحة السرائري، بتأثير وواقعية حسية، حتى أن الضمير يحس ويشهد بهذا ويفرح به، ثم يثق بنتيجته أعظم من أية وثيقة مكتوبة «لنتقدم بقلب صادق في يقين الإيمان مرشوشة قلوبنا من ضمير شرير (الإعتراف والتناول) ومغتسلة أجسادنا بماء نقي، لنتمسك بإقرار الرجاء راسخاً لأن الذي وعد هو أمين» (عب ١٠: ٢٣).

ولكن حذار أن يتوهم أحد أن الروح القدس أو ثمار الروح القدس يمكن أن تُقتنى ببرنامج جهادات، أو يمكن أن تُرى أو تُعلن حسياً، لأن ثمار الروح القدس هي كطبيعته تماماً، غير منظورة، يُسمع صوتها ولكنك لا تعلم من أين تأتي ولا إلى أين تذهب، هي تُرى بالإيمان فقط وتُحس بالإيمان فقط، إنما ييقن أشد من يقين الحواس الخمس مجتمعة معاً.

ولكن الروح القدس لا يكتفي بهذا الفعل السرائري الذي فيه ينقل لنا المسيح وكل ما للمسيح محبوساً في إحساس الضمير فقط، بل يسلط الروح القدس فعله السري في العقل فيعطيه مسحة عقلية أيضاً بواسطة الكلمة، فينيره. وهكذا يصير العقل شريكاً في إدراك عمل المسيح الذي مارسه الروح القدس داخل القلب والضمير. وهكذا يمسح الروح القدس «العقل» و«الضمير» معاً بمسحة روحية تحمل طابع وختم وصورة المسيح، «الذي فيه أيضاً أنتم إذ سمعتم كلمة الحق إنجيل خلاصكم، الذي فيه أيضاً إذ آمنتم نُختمتم بروح الموعد القدوس» (أف ١: ١٣).

كل هذا يعني أن المسيح وكل ما عمله المسيح من أجلنا يضطلع الروح القدس بتوريثه لنا في عمق أعماق كياناتنا الروحي الجديد، كختم ناري وصورة حية مطبوعة لا

تُسمى. ومن أجل هذا يُدعى الروح القدس هنا «روح المسيح فينا» (راجع غل ٤: ٦).

ثم على غمط هذا العمل وهذه الصلة يورثنا الروح القدس علاقة الآب بالإبن، بصورة حية وفعالة في الضمير وفي العقل بأثر قوي أعظم مما تركه النار في اللحم، حتى أننا نصرخ بجلء اليقين والدالة ندعو الله الآب، بفم المسيح: «يا أبنا. الآب». وهنا يُدعى الروح القدس «روح الآب فينا» (راجع مت ١٠: ٢٠)، الذي به نصير أبناءً للآب بالتبني، وإخوة للمسيح بالنعمة.

هذا ما يقصده القديس كيرلس من تعبيره اللاهوتي الجزل والعميق: [كل شيء هو من الآب بالإبن في الروح القدس]، حيث بدون الروح القدس تنقطع هذه الصلة المتسلسلة من الآب إلينا، فلا شيء يصلنا بالإبن ولا شيء يصلنا من الآب.

وهكذا بدون الروح القدس سنظل ضالين وتائهين عن محبة الآب ونعمة الإبن، فلا فداء ولا خلاص ولا تبني ولا دالة ولا أي رجاء...

وما يقصده القديس كيرلس في لاهوته العقائدي عندما كرر عشرات المرات تأكيده أن [كل شيء هو من الآب بالإبن في الروح القدس] هو بعينه ما سبق وأكده المسيح إنما بصورة أخرى حينما قال عن الروح القدس: «إنه لا يتكلم من نفسه بل كل ما يسمع يتكلم به، ويخبركم بأمر آتية. ذلك يجديني لأنه يأخذ مما لي ويخبركم (ويوصله لكم). كل ما للآب هو لي، لهذا قلت إنه يأخذ مما لي ويخبركم» (يو ١٦: ١٣-١٥).

وهذا يؤكد أن اهتمام الروح القدس الأساسي من نحونا وعمله الرسمي من جهة إقامته فينا، إنما هو محصور تماماً في تسليمنا وتورثنا المسيح وكل ما عمله المسيح باسم الآب وبمشيئة الآب!!

• • •

هذا المفهوم اللاهوتي العقائدي العميق الذي سجله اللاهوتيون للكنيسة، أدركه الآباء النساك بحسبهم الروحي العميق، وخلصوا منه إلى أن الحصول على الروح القدس معناه بلوغ غاية كل شيء، فهو روح الإيمان بالآب والإبن، وهو روح الرجاء بالحياة الأبدية، وهو روح الحب الإلهي والذالة مع الله وكل مشيئة الآب والإبن. لذلك كان سعيهم الحار الملتهب وجهدهم ودموعهم وصومهم الليل والنهار لإقتناء الروح القدس والتودد إليه - كما سنعرضه عليك أيها القارئ - من أقوالهم - أمراً يفوق الوصف والعقل، لأنهم تيقنوا أنه طالما لم يمتلئ المجاهد من الروح القدس، ومحس بعمله الداخلي من جهة الإحراق والتطهير، وغسل الضمير بالدم الإلهي، وانفتاح الذهن بمسحة النور الإلهي، لمعاينة نور مجد المسيح والآب من خلال كلمة الإنجيل؛ فعبثاً يجاهد! لأن المقابل الحتمي لعدم الإمتلاء من الروح القدس هو البقاء في الخطيئة والحرمان من كل محبة الآب ونعمة الإبن الوحيد.

لذلك فإن أوصاف الروح القدس في اللاهوت النسكي من خلال تطبيقاته العملية في حياة الآباء وأعمالهم وسلوكهم هو أعظم برهان لصدق أوصاف الروح القدس كما جاء في اللاهوت العقائدي المعتمد على النصوص الإنجيلية.

كذلك ينبغي أن نعي جيداً مضمون وسبب أمر الرسول «امتثلوا بالروح» (أف ٥: ١٨)، كأمر نسكي قائم على أساس عقيدي. فهنا الوصية جاءت بصيغة الأمر بالرغم من أنه عمل يفوق الإرادة وعلو فوق كل محاولة أو جهد بشري. هذا يكشف عن سر لاهوتي هو وجود الروح القدس في النفس البشرية السابق على الملاء، فلأن الروح القدس حاضر وموجود بفعل العماد وسر المسحة (الميرون)، أصبح من اللازم وعلى مستوى الأمر أن يعطى الروح الموجود فينا فرصة للملاء، أو أن نهييء له الحرية للعمل بلا عائق حتى الملاء!! علماً بأن الفعل «امتثلوا» كما جاء باليونانية هو في صيغة الأمر المبني للمجهول، بمعنى أن الروح هو الذي سيملائنا إذا أعطيناه الفرصة.

هكذا ننتقل دائماً من المنطوق النظري في اللاهوت العقائدي إلى التطبيق العملي في اللاهوت النسكي من جهة التعامل مع الروح القدس.

فاللاهوت العقائدي يقرر نظرياً أن الروح القدس هو فينا حتماً بسرّي العماد المقدس والمسحة (الميرون)؛ ولكن تظل هذه الحقيقة كائنة بلا فعل ولا نحسها، وكأن الروح القدس بلا عمل ولا أثر، إلى أن يتدخل اللاهوت النسكي و يعطي الوصية «امتلسوا بالروح»، فنقع في الحال تحت التزام العمل باضرام هذه الموهبة بالجهاد النسكي وإخلاء العوائق أمام نار الروح القدس للتأجج!! وحينئذ نبدأ نحس بالروح وهويغلي في صدورنا غلياناً.

هذا الانتقال العجيب من مضمون اللاهوت النظري إلى فعالية اللاهوت النسكي يمكن وضعه كالآتي:

لأننا أخذنا الروح القدس بالميلاد من الماء والروح وبسر المسحة (الميرون) دون أن نشعر، أصبح يتحتم علينا أن نحيا به في ملء الوعي.

أو بصيغة أخرى:

لأن الروح القدس صار فينا بالسر حسب الإيمان والعقيدة، فنحن نوثر أمراً من جهة الله بالإنجيل أن نمتلىء بالروح بالعمل. وهكذا فإن كل عطية من الله توهب لنا مجاناً بالإيمان تتحول فينا إلى التزام بعمل مكمل. وكل نعمة يتحتم أن تنشيء فينا نعمة أكثر حتى الملء.

هذا هو في الواقع منبع اللاهوت النسكي، أي أن الإيمان العقائدي بالروح هو السبب أو المصدر السري العميق المحسوس والموجود في النفس الذي جعل الآباء يسرعون في الركض في ميدان الفضيلة والجهاد للإمتلاء ويستحثوننا بإلحاح لا يهدأ أن نتبع هذا الإتجاه.

عل أن الملء من الروح القدس مهما قطعنا فيه من شوط، لا يمكن أن يبلغ في شعورنا إلى الإحساس بالإكتفاء، لأن كل ملء ينشيء فينا توتراً جديداً وإحساساً بالنقص بسبب الفارق الدائم بين الملء في الحاضر والملء المعد لنا كما ينبغي في المستقبل. علماً بأنه بقدر الملء من الروح القدس بقدر الملء من المسيح، لأنه كلما

أفسحنا للروح القدس مكاناً في القلب والحياة كلما أفسح الروح القدس فينا مكاناً للمسيح!! وهكذا يُستعلن المسيح في قديسيه بقدر طاقة القديسين على الملء من الروح!! وذلك بتهيئة القلب ليكون منزلاً مرحباً لإقامة دائمة له.

لذلك كم هو ثمين، كم هو ضروري، كم هو جوهري لخلاصنا وفرحنا أن نتبع القديسين في منهجهم النسكي مدققين جداً في كل نصيحة وكل كلمة من جهة الإمتلاء من الروح القدس، ونتبع بوعي وغيره واهتمام لا يهدأ نصيحة الرسول: «اسلكوا بالروح (القدس) فلا تكملوا شهوة الجسد... لأن الذين هم للمسيح قد صلّبوا الجسد مع الأهواء والشهوات. فإن كنا نعيش بالروح فلنسلك أيضاً بحسب بالروح» (غل ٥: ١٦، ٢٤، ٢٥)، و«كل الذين ينقادون بروح الله فأولئك هم أبناء الله» (رو ٨: ١٤). أي نُسلّم كل الفكر، كل الإرادة، كل المشورة، كل العمل للروح القدس ليقود الحياة برمتها، ماضيها وحاضرها ومستقبلها، مستخدماً ضعفنا وقوتنا، نجاحنا وفشلنا، صحتنا ومرضنا، ليوجه كل شيء نحو الغرض الذي من أجله «مات المسيح عنا وقام»:

«امتثلوا بالروح»!!



عرض لأقوال الآباء النُّسَّاك

الفصل الأول

الروح القدس

في تعاليم القديسين أنبا أنطونيوس وأنبا مقار يوس

عندما نقرأ رسائل القديس أنطونيوس وعظات القديس مقار يوس، ندرك عمق العلاقة العملية التي تربط النفس البشرية بالروح القدس، وذلك من جهة طبيعة النفس الجديدة التي تنالها بالمعمودية.

كذلك ندرك أهمية عمل الروح القدس داخل النفس في صراعها اليومي ضد طبيعتها القديمة وضد العدو.

وفي النهاية نكتشف من أقوالهم الغاية السعيدة التي تبلغها النفس بدوام تعهد الروح القدس لها، وكيف يحتمها في النهاية بخاتم العهد ويعطيها ميثاق الروح.

وسوف نعرض هذه النواحي الثلاث باختصار، وذلك من أقوال الآباء، مع تطبيق بسيط، حتى لا يفوت القارئ عمق المعنى وجمال المقصد، عسى أن يلتقط شيئاً لحياته من إلهامات هؤلاء القديسين العظام.

أولاً: عمق العلاقة التي تربط النفس بالروح القدس

(أ) علاقة الروح القدس بالنفس البشرية على غط علاقة الروح القدس بالشاروبيم والشاروفيم:

نقدم هنا للقارئ بادئ ذي بدء ملخصاً لكل ما جاء عن الشاروبيم والشاروفيم بحسب وصف الكتاب المقدس في سفر حزقيال وإشعياء وسفر رؤيا يوحنا اللاهوتي، ثم ما جاء عنها في قداس القديس مرقس الرسول:

أولاً: الكاروبيم أو الشاروبيم: مفردتها «كاروب»، وهم الأربعة الأحياء غير المتجسدين الذين رأهم حزقيال النبي في رؤياه [الأصحاح الأول كله، والثالث: ١٢، ١٣، ١٤، التاسع: ٣، والعاشر كله]:

١ - لكل واحد من الحيوانات الأربعة أربعة وجوه، وجه إنسان، ووجه أسد، ووجه ثور، ووجه نسر (حزقيال ١: ١٠).

أما البكرات فلكل واحدة أربعة أوجه: الوجه الأول وجه كروب (ثور)، والوجه الثاني وجه إنسان، والثالث وجه أسد، والرابع وجه نسر (حز ١٠: ١٤). ولكل واحد أربعة أجنحة (حز ١٠: ٢١).

٢ - وشبه يد إنسان تحت أجنحتها، وهي متصلة ببعضها، وفيها روح (حز ١٠: ٢١).

٣ - كل جسمها وظهورها وأيديها وأجنحتها والبكرات ملائمة عيوناً حوالها (حز ١٠: ١٢).

٤ - وسمع صوت أجنحة الكاروبيم كصوت الله القدير إذا تكلم (حز ١٠: ٥).

٥ - منظرها كجمر نار متقدة كمنظر مصابيح، وللنار لمعان، ومن النار كان يخرج برق (حز ١٣: ١٣).

٦ - وإلى حيث يسيرها «الروح» تسير، لأن «الروح» يسيرها حسبما يشاء (حز ٢٠: ٢٠).

٧ - وإذا وقفت أرخت أجنحتها (حز ٢٤: ٢٤).

٨ - وفوق المقبب الذي على رؤوسها شبه عرش بلون حجر العقيق الأزرق (حز ٢٦: ٢٦).

٩- وعلى شبه العرش من فوق يجلس شبه إنسان (المسيح) منظره من حقويه إلى فوق كالنحاس اللامع المتقد بالنار، ومن حقويه إلى تحت كمنظر النار في وسط قوس القزح في اليوم المطير كمنظر شبه مجد الرب (حز ١: ٢٦-٢٨).

١٠- ولما رأته خررت على وجهي!! (حز ١: ٢٨).

ثانياً: الساروفيم: ومفردها صاروف (كلمة عبرية تعني الملتهب ناراً). وهم الأحياء غير المتجسدين الذين رأهم إشعيا النبي (الأصحاح ٦) وهم الواقفون حول الله من فوق:

١- لكل واحد منهم ستة أجنحة، بإثنين يغطي وجهه، وبإثنين يغطي رجله، وبإثنين يطير.

٢- هذا ينادي ذلك ويقول: «قدوس قدوس قدوس رب الجنود مجده ملء كل الأرض».

٣- الساروفيم ليسوا متصلين ببعضهم، لأن كل ساروف يستطيع أن يطير بمفرده «فطار إليّ واحد من الساروفيم وبيده جمره أخذها بملقط من على المذبح ومس بها في وقال إن هذه مسّت شفتيك فانتزع إثمك وكفّر عن خطيتك» (إش ٦: ٦، ٧).

ثالثاً: الأربعة الأحياء غير المتجسدين كما جاء في سفر الرؤيا: وفي الواقع أن رؤيا يوحنا تجمع بين شاروبيم حزقيال النبي وساروفيم إشعيا النبي، سواء في وصف تكوينها أو في خدمتها. حيث يلاحظ القارئ أنها تظهر بمظهر الشاروبيم وتؤدي خدمة التقديس العظمى التي للساروفيم.

١- وفي وسط العرش وحول العرش أربعة حيوانات (الشاروبيم والساروفيم معاً).

٢- مملوءة عيوناً من قدام ومن وراء (صفة الشاروبيم).

٣- الحيوان الأول شبه أسد، والحيوان الثاني شبه ثور، والحيوان الثالث له وجه مثل وجه إنسان، والحيوان الرابع شبه نسر طائر (صفة كل كاروب).

٤- والأربعة حيوانات لكل واحد منها ستة أجنحة حولها، ومن الداخل مملوءة عيوناً (صفة الساروفيم).

٥ — ولا تزال نهراً وليلاً قائلة قدوس قدوس قدوس الرب الإله القادر على كل شيء
(الضابط الكل)، الذي كان والكائن والذي يأتي (وهذه خدمة الساروفيم).

رابعاً: الشاروبيم والساروفيم كما جاء في قداس القديس مرقس الرسول: وهنا
تجمع الكنيسة بروح مار مرقس كل ما جاء عن الشاروبيم والساروفيم في حزقيال النبي
وإشعيا النبي وسفر الرؤيا، حيث تقدم لنا الشاروبيم والساروفيم باعتبارهما إثنين
عددًا.

[«حيوانات الكرمين جداً» ذوا الستة الأجنحة، والكثيرا الأعين، بجناحين
يغطون وجوههم من أجل لاهوتك الذي لا يستطيع النظر إليه ولا التفكير فيه،
ويأثنين يغطون أرجلهم، ويطيرون بإثنين.
والكل يقدسك على الدوام.

ولكن مع الكل الذي يقدسك اقبل تقديسنا منا نحن أيضاً يارب، إذ
نسبحك معهم قائلين: قدوس قدوس قدوس رب الجنود السماء والأرض
مملوءتان من مجدك المقدس...].

(القداس الكيرلسي).

وهكذا في نهاية هذا التسلسل الرؤيوي التقليدي الذي استغرق هذا الزمان كله
منذ أيام إشعيا وحزقيال وحتى إلى القداس وسفر الرؤيا (بحسب التسلسل الزمني)،
تنتهي هذه الرؤيا السرية العجيبة بهذا التطابق المدهش بين الخلائق السماوية المسبحة
وبين الكنيسة — وبالتالي النفس البشرية — باعتبارها «مخلوقاً منوطاً به تسبيح الله»
على غرار الشاروبيم والساروفيم، تماماً بل ويتوازي يكاد التطابق بينها يجعل منها
صفتين لخورس واحد، الواحد سمائي والآخر أرضي [اقبل تقديسنا منا نحن أيضاً
يارب إذ نسبحك معهم قائلين (نفس التسبحة بحروفها) قدوس قدوس قدوس رب
الجنود، السماء والأرض مملوءتان من مجدك المقدس].

هذا التطابق الوظيفي في العمل الروحي الفائق بين الشاروبيم والساروفيم وبين

النفس البشرية في تسبيح وتقديس الله، لا يقف في نظر الآباء النساك العظام وبالأخص القديس أنطونيوس والقديس مقاريوس الكبير عند محيط العمل الواحد فقط، بل يمتد بصورة عميقة وسرية للغاية ليشمل تطابقاً في علاقة الروح القدس بين الشاروبيم والشاروفيم والنفس البشرية من جهة الحلقة وتدرجها على الوجوه الأربعة. فيرى القديس أنطونيوس أن النفس البشرية متدرجة في نحوها الروحي وبفعل الروح القدس من الثور الذي يرمز إلى الإجهاد، إلى الأسد الذي يرمز إلى النصر على الأعداء، إلى النسر الذي يرمز إلى التسامي النهائي نحو أعلى السموات برفع الروح القدس (الرسالة ١٩ - ص ١١٧، ١١٨).

أما القديس مقاريوس فيرى أن نفس رؤيا حزقيال النبي كانت في حقيقتها ليست نهائية في حد ذاتها، بل كانت ترمز أساساً إلى خلفة النفس البشرية. كما يركز بصفة خاصة على العلاقة التي ظهرت بين روح الله والشاروبيم أنها ترمز إلى نوع العلاقة الكائنة الآن بين النفس البشرية والروح القدس. لذلك فنحن نعتبر أن العظة الأولى من العظات الخمسين التي للقديس مقاريوس والخاصة بتطبيق الأوصاف الخلقية التي للشاروبيم على النفس البشرية، من العظات الهامة جداً في اللاهوت النسكي.

يقول القديس مقاريوس:

[إن حزقيال النبي المبارك رأى من الله رؤيا جليلة... وهي رؤيا مشحونة بالأسرار الفائقة الوصف. الكاروبيم وهي أربعة حيوانات روحانية حية لكل منها أربعة وجوه مختلفة... فهذا الذي رآه النبي بصحة الوجود كان حقاً أكيداً، ولكن الشيء الذي يدل عليه، أي الذي سبق فكان ظلاً له مقدماً هوشياً آخر، هو مادة سرية إلهية، وهو السر الذي كان مخفياً بالمعنى الحقيقي عن العصور والأجيال السالفة، وهذا ظهر عند مجيء المسيح، لأن السر الذي رآه هو النفس الحليلة لكونها ستقبل مولاها فيما بعد وتصير هي ذاتها كرسياً مجده. لأن النفس التي نستحق أن نشترك في روح نوره وتستنير بحسن مجده الذي لا يوصف لكونه هيأها بهذا الروح

لتكون مقراً له ومسكناً، تصير كلِّ نوراً وكلها وجهاً وكلها عيناً (١).
وليس فيها جزء إلا ويكون مملوءاً من أعين النور الروحانية، يعني ليس
فيها جزء مظلم بل هي بكليتها تصير نوراً وروحاً وتمتلئ كلها عيناً فلا
يكون لها دبر (مؤخرة) ولا شيء من وراء (خلف) بل تظهر كلها وجهاً
بحسن مجد نور المسيح الراكب والجالس عليها...

هكذا النفس التي تستير بحسن المجد الذي لا يوصف، حسن مجد
النور الذي لوجه المسيح، وتشارك في الروح القدس بالكمال، فتحسب
أهلاً لأن تكون مسكن الله وكرسيه، والمسيح نفسه قائدها وسائقها وحاملها
وساندها يزينها بالجمال الروحاني، لأن الكتاب يقول: «ويد الإنسان من
تحت الكاروب» أي المسيح الذي يركبها ويهديها طريقها... ويقودها بزمام
الروح.

أما الأوجه الأربعة (الحيوانات الأربعة) أي النسر والأسد والثور
والإنسان، فهي رموز لقوات النفس الناطقة.
أما أجسادنا فستكرم أيضاً في القيامة بعد أن تكون النفس قد تمجدت
على الأرض وامتزجت بالروح القدس].

(العقلة الأولى).

وقد يبدو تشبيه النفس البشرية بالشاروبيم، كما يقدمه القديس أنبا مقار،
بسيطاً، ولكنه في الحقيقة عميق عمقاً بلا حدود. فالأمر غاية في الدقة والأهمية، لأنه
يعتبر أن النفس البشرية خلقت أصلاً لتكون على رتبة الشاروبيم، أي لتكون مسكناً
وعرشاً لله ليستريح فيها الله، وفي نفس الوقت يلزم بالتالي أن تكون طيعة في حركتها
تتحرك وفق مشيئة الله لتكامل مقاصده. وهذا إن كنا وجدناه في حالة الشاروبيم من
جهة عمل روح الله، حيث كثرة الأعين في الشاروبيم ترمز إلى كثرة الإستنارة

(١) يقصد القديس أنبا مقار أن النفس تصير بشركتها في الروح القدس منيرة مثل الشاروبيم (كلها نور)،
وتصير لها أعين كثيرة أي ملائكة أعيناً (كلها عيناً) كناية عن المعرفة والإستنارة، وتصير بدون مؤخرة مثل
الشاروبيم أي لا شيء مخفي عن عينيها وعن الله مثل الشاروبيم (كلها وجهاً!!).

والمعرفة ، واللمعان والنار يرمزان إلى حرارة الروح والغيرة المقدسة ، والأجنحة ترمز إلى الخفة والقدرة على التسامي والارتفاع ، وتغطية الوجه بالجناحين ترمز إلى خشية الله ومخافته الكاملة ، وتغطية الأرجل ترمز إلى التعفف والحشمة ، ثم بعد ذلك كله فإن الحركة وتوجيهها في الشاروبيم هما من عمل روح الله كلية ، ويد الإنسان التي تحت الكاروب إشارة إلى عمل المسيح . كل هذا نجده يتم حرفياً في النفس البشرية .

فلكي نصير النفس البشرية مسكناً وكرسيّاً لله ، يتحتم أن نتقد بنار الروح القدس ، لتصبح قادرة بالفعل على كل عمل صالح ، ونجسر على أعمال الإيمان والشهادة العالية ، ثم يتحتم أن تفتح بصيرة النفس انفتاحاً كاملاً لتدرك كل أمور الله ولا يخفى عليها شيء ، بل تصبح وكأنها كلها عين ونور . كذلك يتحتم أن تخفّ النفس ولا تعود ترتبط بأمور الأرض ، بل يكون لها مطلق الحرية أن ترتفع وتعيش في جو الروح بلا عائق ، أي تصبح وكأن لها أجنحة للطيران السريع الحاد ؛ كذلك من جهة تغطية الوجه تعبيراً عن خشية النفس من الله التي هي بمثابة تغطية جزئية لئلا تنعمي البصيرة من بهاء مجد الله ، كذلك من جهة تغطية الأرجل التي هي بمثابة العفة ومتطلباتها الدائمة معها كان سمو النفس وارتفاعها .

وهكذا نرى أن للروح القدس عملاً في النفس البشرية غاية في الأهمية وغاية في الدقة ، وهو عمل لا بد أن يكون متكاملًا من كل الوجوه ، وإلا فلا تتأهل النفس البشرية لسكنى الله أو احتمالها ، وهذا كله قد استوفاه القديس أبنا مقار على مدى الخمسين مقالة .

و يقيناً أن شرح القديس أبنا مقار لهذه العلاقة الصميمية الكائنة بين الشاروبيم والنفس البشرية وعمل الروح القدس فيها هو جدير بالدراسة الجادة ، لأن التقليد الليتورجي ألزمتنا بهذا حينما جعل تسبحة الشاروبيم في قمة صلاة الإفخارستيا ، عندما وضع تسبحة الشاروبيم في فم الكنيسة قبل قراءة الإنجيل مباشرة (مواجهة حضور «الكلمة») وقبل الصلاة التأمينية لتحويل الخبز والخمر إلى سر الجسد والدم (مواجهة حضور المسيح) ، حيث ينبها الطقس إلى أن النفس البشرية قد صارت

بالفعل مؤهلة في هذه اللحظات لحمل المسيح، بطبيعتها الجديدة، ولتسبحة الشاروبيم بالدرجة الأولى باعتبارها حاملة للكلمة ولطبيعة اللاهوت، لكونها صارت مسكناً لله!!

ويبدأ القديس أنبا مقاريو بوضع علاقة النفس البشرية مع الروح القدس على أساس ما هو قائم بين الروح والكاروبيم في رؤيا حزقيال ١: ٢٠: «وكان الروح في البكرات» باعتبار أن رؤيا حزقيال عن الكاروبيم الحامل لعرش الله كانت رمزاً للنفس البشرية التي ستصير مسكناً لله.

يقول أنبا مقار:

[كذلك النفس التي تستير بحسن المجد الذي لا يوصف، حُسن مجد النور الذي لوجه المسيح، وتشارك في الروح القدس بالكمال وتُحسب أهلاً لتكون مسكناً لله وكرسياً له، حيث تصير كلها عيناً وكلها نوراً وكلها وجهاً وكلها مجداً وكلها روحاً. والمسيح نفسه قائدها وسائقها وحاملها وساندها، ويد الإنسان (المسيح) من تحت الكاروبيم بقودها بزمام الروح ويهديها في الطريق].

(العظة رقم ١٩).

[الرب يرسل روحه الخفيف النشط الصالح السماوي، وبواسطته يخرج النفس التي غطست في مياه الإثم، ويصيرها خفيفة ويرفعها على جناحه إلى أعلى السماء، ويغيرها من طبيعتها الأصلية تغييراً كاملاً].

(العظة ٤٤ — ص ٢٨٣).

وأيضاً:

[كذلك النفوس المقدسة تنقاد وتهدي في طريقها بروح المسيح إذ يرشدها إلى حيث يشاء. فإن شاء، أقامت في التأملات السماوية؛ وإن شاء، لبثت في الجسد (الأعمال)؛ وإن شاء، لازمت في خدمته. لأنه كما أن أجنحة الطائر هي له بمنزلة الرجلين، كذلك نور الروح السماوي يتخذ من الأفكار المناسبة أجنحة للنفس، ويهدي الطريق أمامها ويوجهها حيث يستحسن هو.

فكلما سيمت إذن هذه الأمور، افحص نفسك جيداً، إن كنت مالكاً إياها في روحك، فإن لم تكن مالكاً إياها بل تحتاج إلى مثل هذه الخبرات الروحانية العظيمة فسبيلك أن تكتب وتحزن متلهفاً كمن هو منفصل عن الملكوت بالموت، وكمجروح أصرخ إلى الرب واسأل بإيمان، ليصيرك حقاً أهلاً لهذه الحياة الحقانية].

(العظة الأولى—ص ١٤).

ويقول أنبا أنطونيوس:

[حركني الروح أن أكتب لكم عن الشاروبيم الذي نظره حزقيال النبي الذي هو مثال لنفوس المؤمنين الذين يجاهدون وينالون الكمال. هذا له أربعة أجنحة وهي مملوءة عيوناً، وله أيضاً أربعة وجوه ناظرة إلى الجهات الأربع... فاعلموا إذن أن الوجه الأول من الشاروبيم، وهو وجه الإنسان، وهز للمؤمنين الذين في العالم العاملين بما يختص بهم من وصايا.

فإذا خرج أحد أولئك إلى شكل الرهينة، فقد تشبه بوجه الثور، لأنه يعمل ويجتهد في الوصايا التي للرهبنة والقتال المحسوس.

فإذا كمل الجميع على ترتيبه، وخرج وسكن البرية، وتفرد في الوحدة لقتال الشياطين غير المنظورين، فقد تشبه بوجه الأسد الذي هو سلطان الوحوش البرية.

فإذا غلب الأعداء غير المنظورين وتسلط على الأوجاع ومملكها، فإنه يرتفع بالروح القدس وينظر للمناظر الإلهية ويتشبه بوجه النسر ويتم عليه المكتوب: «يتجدد شبابك مثل النسر»، ويكون عقله حينئذ يفرز ما يأتيه من ستة جهاته. فيتشبه بتلك الأجنحة الأربعة المملوءة عيوناً ويصير شاروبيماً روحانياً].

(الرسالة ١٩—ص ١١٧، ١١٨، ١١٩).

وهنا تنبه ذهن القارئ إلى أن هؤلاء الآباء العظام لا يشبهون نسبة الروح القدس للنفس بما هو حادث في الشاروبيم، بل يؤكدون أن النفس البشرية أصبحت هي

الشاروبيم الجديد في العهد الجديد، وذلك بسبب سكنى الروح القدس وقيادته الإلهية للنفس السعيدة: «أنتم هيكل الله وروح الله يسكن فيكم» (١ كو٣: ١٦). لذلك نجدهم يلحون إلحاحاً شديداً علينا أن نجتهد غاية الجهد للحصول على فاعلية الروح القدس وحرارته وقيادته لحياتنا باعتبار أن هذا يحدد تحديداً قاطعاً إن كنا نصلح أن نكون هيكلًا لله وروح الله يسكن فينا.

(ب) علاقة الروح القدس بالنفس، على أساس الطبيعة النارية التي للروح القدس:

أولاً— وهنا يشرح الآباء كيف أن هذه الطبيعة النارية تستمد النفس منها، بالإتحاد والعشرة، قدرة على الإرتفاع نحو الله، فتصير طبيعة الروح القدس النارية بمثابة أجنحة روحانية غير منظورة للنفس، تمنحها قدرات وكفاءات جديدة للسمو بالحياة كلها.

ثانياً— هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن هذه الطبيعة النارية التي للروح القدس، المعبر عنها في الكتاب: «إلهنا نار آكلة» (عب ١٢: ٢٩)، متى دخلت النفس وتفاعلت معها واشتعلت النفس بها، فإنها تصبح طبيعة جديدة للنفس البشرية، طبيعة حارقة للأفكار الشريفة بل وحارقة للشياطين أنفسهم. هذا الذي نسمع عنه في قصص بعض الآباء كيف كانت صلواتهم من القوة لدرجة أنها كانت تحرق الشياطين فيصيروا أمامهم بشبه الدخان.

١ — يقول أنبا أنطونيوس:

[وتشبه النفس التي تسكنها نار الله وحرارة الأعمال الصالحة التي اشتعل بها قلبها، تشبه طيراً ذا جناحين يطير بها مرتفعاً في السماء، فأجنحة النفس المنعبدة لله هي قوة نار الله التي تطير بها النفس إلى العُلا. فإذا عدمت هذه النار، لا يصير لها استطاعة للإرتفاع، كالطير الذي تُزع جناحه!! فلا تدعوا قوة هذه النار تُزع منكم، لأن حروباً كثيرة كائنة لكم من

الشیطان لأجل هذه النار المعطاة لكم من الرب لكي ينزعها منكم .
لأنه يعلم أنه لا قدرة له عليكم ما دامت نار الله فيكم ... لهذا يقاوم بشدة
النفوس المتعبدة لله عبادة حسنة بأوجاع كثيرة يلقيها في النفس ليطفئ
هذه النار التي هي قوام كل فضيلة . فإذا انقلب الشيطان وارتد خائباً
فإن روح الله يسكن فيهم ، وإذا سكن الروح القدس فيهم يرحمهم من جميع
أعمالهم (جهاداتهم ضد الخطيئة) ، ويجعل نير الله حلواً لديهم جداً ، ويجعل فرح
الله فيهم نهاراً و ليلاً ، ويربي عقولهم و يغذيها !!] .

(الرسالة الثامنة عشر) .

[بذلك الروح الناري العظيم ، هذا الذي قبلته أنا لتقبلوه أنتم أيضاً . وإذا
أردتم أن تقبلوه ويسكن فيكم فقدموا أولاً أتعاب الجسد وتواضع القلب ،
وارفعوا أفكاركم إلى السماء في الليل والنهار ، واطلبوا باستقامة قلب هذا
الروح الناري ، وحينئذ يعطى لكم ، لأنه هكذا وصل إليه إيليا التسبتي
وإليشع وكافة الأنبياء . ولا تفكروا في قلوبكم وتكونوا ذوي قلوبين وتقولوا من
يقدر أن يقبل هذا ؟ لا يا أولادي ، لا تدعوا هذه الأفكار تأتي على قلوبكم ، بل
اطلبوا باستقامة قلب وأنتم تقبلونه . وأنا أيضاً أبوكم اجتهد معكم وأطلب
لأجلكم أن تقبلوه ، لأنني عارف أنكم كاملون وقادرون على قبوله ، لأن كل
من يفلح ذاته بهذه الفلاحة فإن الروح يُعطى له في كل جيل وإلى الأبد . وأنا
أعرف أن أناساً قبلوه ، ولما لم يكملوا هذه الفلاحة لم يثبت فيهم . فأما أنتم
يا أحبائي الذين أشتهي أن أنظركم لأجل استقامة عقولكم ، أديموا الطلبة
باجتهاد من كل قلوبكم فإنه يُعطى لكم ، لأن ذلك الروح يسكن في
القلوب المستقيمة . وإذا قبلتموه فإنه يكشف لكم الأسرار العلوية وأشياء
أخرى لا أستطيع أن أعبر عنها في قرطاس بقلم ومداد...] .

[وأما أنا فطلبتني الآن ليلاً ونهاراً ليكون فيكم عظمة ولذة هذا الروح
الذي قد قبله جميع الأطهار . وإني يا أولادي الأحباء بعد أن كتبت هذه
الرسالة تحركت فيّ روح الله أن أكتب لكم عن هذا الروح الناري في آخرها

وعن المحبة الإلهية . وإذا أتيت إليكم بمعونة الرب ، عرفتكم أشياء أخرى كثيرة عن هذا الروح لكي تفتنوها جميعها . وكما أقرتكم السلام في مبدأ هذه الرسالة كذلك أيضاً أقرتكم السلام بمحبة الرب في آخرها بهذا الروح الناري الذي قبلته أنا وإياكم بنعمة الرب . وأطلب إليكم أن تتركوا إرادتكم الحسية وتلزموا الهدوء بكل نوع ، لكي تسكن عندكم القوات العلوية بموازرة هذا الروح القدس وتعينكم على العمل بإرادة الثالوث الأقدس الآب والإبن والروح القدس . له السبح دائماً سرمدياً إلى أبد الأبدين آمين .]

(الرسالة الثامنة—ص ٥٠، ٥٢).

٢ — ويقول أنبا مقار:

[النفس إذا كان لها إقامة في شركة الروح القدس فإن طول إقامتها في نار الروح ونوره الإلهي يحصنها ضد أي مضرة من أي روح شرير، لأنه إذا اقترب من النفس فإنه يحترق بنار الروح السمائي .]

(العظة ٣٠—ص ٢٣٣).

[الرب يرسل روحه الخفيف النشط الصالح السماوي وبواسطته يخرج النفس التي غطست في مياه الإثم ويصيرها خفيفة ، ويرفعها على جناحه إلى أعلى السماء ويغيرها من طبيعتها الأصلية تغييراً كاملاً .]

(العظة ٤٤—ص ٢٣٣).

ويقول أنبا أنطونيوس:

[اجعلوا هذا الجسد الذي أنتم لابسونه مجمرة ترفعون فيها جميع أفكاركم ومشوراتكم الرديئة وتضعونها أمام الرب ليرفع قلوبكم إليه ، وبسلطة العقل تطلبون منه أن ينعم عليكم بإتيان ناره غير الهولانية من العلاء إليكم لتحرق كل ما في تلك الجمرة وتطهرها .]

(الرسالة السادسة—ص ٣٧).

(ج) علاقة الروح القدس بالنفس من جهة تغلغله داخل جوهر النفس ، وتأثيره المباشر على الأفكار، ثم تأثيره غير المباشر على الجسد .

يقول أبنا مقار:

[ريح الروح القدس الذي ينسم على النفوس وينعش الذين هم في النور الإلهي، وينفذ في جوهر النفس كله وأفكارها، وكذلك يروح ويرطب أعضاء الجسد براحة إلهية لا توصف].

(العظة الثانية—ص ٢٠).

(د) علاقة الروح القدس بالنفس علاقة التحام سري فائق الوصف .

فبالرغم من الاختلاف الكلي بين طبيعة الروح القدس وطبيعة النفس، إلا أنه يلتحم بها كخيوط النسيج المتداخلة من صنفين، والتي ترى وكأنها نسيج واحد متحد ملتحم له صفة الأقوى! هكذا يدخل الروح القدس داخل النفس، فيلاشي ما هو أضعف فيها و يعطيها الأقوى مما له .

يقول أبنا مقار:

[هذا معناه أن النفوس التي نطلب ما ليس من طبيعتها، أي تقديس الروح، فإن هواها كله يتعلق بالرب، إليه تسعى وتصلي، وبه تنشغل أفكارها راذلة كل ما عداه. لذلك تُحسب تلك النفوس أهلاً لنيل زيت النعمة السمائية. وأما النفوس التي تبقى على طبيعتها، فإنها تهبط بأفكارها إلى الأرض، وبالارض يكون همها وتصرفها، وتظن أنها تختص بالعريس فتتزين ببر الجسد، والحقيقة أنها غير مولودة من الروح من فوق كونها لم تنل دهن البهجة... لذلك لا تقدر أن تنشغل بالحكمة الصالحة التي للروح، التي هي غريبة أصلاً عن طبيعتنا، أعني النعمة السمائية التي يلزم أن تكون ممزوجة في جبلتنا كالشدة مع اللحم، لتقدر أن ندخل سوياً مع الرب إلى العرس السماوي وننال الخلاص الأبدي].

(العظة الرابعة—ص ٢٩، ٣٠).

(هـ) علاقة الروح القدس بالنفس ، وما ينشأ من دوام مواجهة النفس للقوة المؤثرة الفعالة للروح القدس وخصوصاً من جهة قساوة النفس البشرية وتصلبها ، بسبب الجهل الناشئ من الخطية والتعدي ؛ وتشبيه ذلك بانصهار الحديد عند تعرضه ل نار شديدة ولمدة طويلة .

ثم كشف مدى التغير الكامل الذي يصيب الشخصية برمتها بعد أن يصيب الأعضاء عضواً عضواً .

يقول أنبا مقار:

[فكما أن الحديد إذا أُلقي في النار يتحول عنه الجوهر اليابس الذي لطبيعته ويصير ليّناً بقدر مقامه في النار، كذلك النفس التي تنكر العالم وتعلق شوقها بالرب بالتفتيش الكثير والكد والجهد، وتنتظره انتظاراً دائماً بالإيمان والرجاء حتى تنال النار السمائية ومحبة الروح؛ حينئذ تنفك من محبة العالم وتفلت من كل فساد الأهواء، وتتغير طبيعتها من يبوسة الخطيئة وتخضع للعريس السمائي بحب شديد لا يوصف].

(العظة الرابعة—ص ٣٤).

[النعمة حينما يلمحها الإنسان من على بُعد، يفرح بها، ولكن حينما تدخله القوة الإلهية وتمسك أعضائه كلها وتسنأسر قلبه ولبّه لمحبة الله، فإنه يتغير ويصير شخصاً آخر].

(العظة السابعة—ص ٥٩).

(و) علاقة الروح القدس بالنفس علاقة ثبوت ونمو كعلاقة الشجرة الناضجة بالتربة الجيدة على مجرى الماء، فهي علاقة قوية غير منظورة إلا من جهة نتائجها وثمارها العجيبة .

يقول أنبا مقار:

[إن كان أحد ليست نعمة الله مفروسة فيه وثابتة فيه، حتى تصبح ماسكة بنفسه ليلاً ونهاراً كأنها طبيعة ثانية، تهديه وتحثه وترشده إلى الأمور الصالحة؛

فعلی الأقل یلزمه التدقیق والخوف والإجتهد والندم].

(العظة ١٦ - ص ١٣٦).

(ز) العلاقة بین الروح القدس والنفس حیثاً تبلغ إلى مستوى الخضوع والألفة الكاملة، تكون كمحصلة طفل صغیر عاجز محمول على ذراع رجل حکیم یسیره حسباً یرى ویشاء. وهكذا یصبح للطفل - أي للنفس العاجزة - قدرات وإمكانيات ومواهب الروح القدس، وكأنها لها خاصة. كما یلغی الروح القدس کل ما یشاء من عجز النفس، و یصححها كما یرید.

یقول أنبا مقار:

[وهذه الأشياء تم فی النفس بفعل الروح وكأنها ناشئة من الطبيعة نشوءاً خالصاً، كمثل طفل على ذراع رجل یحمه حیث یشاء، هكذا النعمة تعمل فی النفس، تحمل العقل وترفعه إلى السموات وإلى الراحة الأبدية].

(العظة ١٦ - ص ١٤٠).

[لیس ممكناً للنفس أن تعبر من ذاتها من بحر الخطية المرّ وتجاوز هوة قوت الظلمة الصعبة، إلا إذا نالت روح المسیح اللطیف السمائي، الذي یمكنه أن یعبرها وسط قوت الشر؛ فإنه بواسطة هذا الروح یمكنها أن تصل إلى میناء الراحة السمائية].

(العظة ٤٤ - ص ٢٨٣).

(ح) العلاقة بین الروح القدس والنفس فی حالة سكنی الروح الدائم هي بمثابة حصول النفس على أعظم كنز للخیرات السمائية، فتصیر في أوج الغنى وكأنها استؤمنت على كل ما لله، تأخذ وتعطي بلا حساب. أما بدون الروح القدس فالنفس مها حاولت التظاهر بالغنى، فهي الشقية والبائسة والفقيرة والعريانة، تتحدث عن الغنى وهي تتضور جوعاً، وتبشر بالسعادة وهي فی البؤس تقیم، وتباهی بالحلل النورانية وعربها منظور لدى كل السمائيين.

يقول القديس أنبا مقار:

[الذين من الله يطلبون فيجدون كنز الروح القدس السماوي ، يضيء الله قلوبهم فيكملون بر الفضائل وغاية الصلاح الذي في وصايا الرب... بمساعدة غنى النعمة غير المنظور فيهم . من أجل هذا يقول الرسول «لنا هذا الكنز في أوان من الخزف» (٢ كور ٤ : ٧) . أي لما كانوا في الجسد حُسبوا أهلاً لأن يمتلكوا في باطنهم قوة الله المقدسة (أف ٣ : ١٦) . فكل من امتلك هذا الكنز السماوي وامتلكه في باطنه ، أي كنز الروح القدس ، فإنه يصير قادراً أن يكمل في روحه (مت ٣ : ١٥) بر الوصايا وعمل الفضائل ، بنقاوة وبدون عيب وبلا اغتصاب أو صعوبة . فلنتوسل إلى الله ونطلب منه باجتهاد ونتضرع بانسكاب لكي يهبنا مجاناً كنز روحه القدوس ، لكي بذلك نستطيع أن نسير في جميع وصاياه بدون لوم ولا عيب ونكمل بر الروح] .

(العظة ١٨ — ص ١٥٢) .

[المسكين العريان الفقير يهلك من الجوع إذ ليس له ما يتاعه ، أما من كان ذا خزائن وأموال فإنه بسهولة وبلا تعب يتسلط على أي شيء يمتلكه — كذلك النفس العريانة المحرومة من شركة الروح القدس ، تكون في شدة الخطية القاسية ، ومهما حاولت فإنها لا تثمر ثمرة واحدة من ثمار بر الروح بالحق ، إلا إذا حصلت أولاً على شركة هذا الروح ذاته ...] .

(العظة ١٨ — ص ١٥٣) .

[لذلك يجب على كل واحد أن يغصب نفسه على التوسل إلى الله لكي يُحسب أهلاً لنوال كنز الروح القدس السماوي ، حتى يقدر أن يتمم وصايا الرب بطهارة بلا تعب أو صعوبة أو عيب ، الأمر الذي لا يمكنه أن يتممه بدون كنز الروح حتى ولو بالإغتنصاب ، لأن النفس إذا كانت محرومة من شركة الروح القدس ، كيف تقدر أن تحصل على أعمال وغنى الروح ؟] .

(العظة ١٨ — ص ١٥٣) .

[الإنسان الغني عندما يريد أن يصنع وليمة فاخرة لضيوفه ، يأخذ الأموال من

خزائنه و يعمدُ لضيوفه بالعز والفخر؛ أما الفقير فإنه إن أراد ذلك، يستعير كل شيء حتى المائدة والأواني، فإذا انتهت الوليمة يرد لكل إنسان ما اقترضه منه و يعود فقيراً كما كان... هكذا الأغنياء بالروح القدس الذين عندهم الغنى السماوي وشركة الروح مع نفوسهم، إذا تكلموا بكلام الحق ووعظوا الآخرين بالأقوال الروحانية، فإنما يصدر هذا من ذخيرتهم الروحية التي حصلوا عليها، ولا يخشون الضلال، لأنهم حائزون على الكنز السماوي الذي منه يُخرجون الصلاح و يُعزّون بالروح، و يُحيون نفوس سامعيهم «وكلامي وكراتي لم يكونا بكلام الحكمة الإنسانية المقنع بل ببرهان الروح والقوة» (١ كو ٢: ٤)؛ أما الفقير الذي لا يملك غنى المسيح، ولم تمتلك نفسه الكنز الروحاني الذي ينبع الصلاح بالأقوال والأعمال والأفكار والأسرار الروحانية التي لا توصف؛ فإذا شاء هذا أن ينطق بالحق ليعزي سامعيه، وهو لم ينل قوة كلمة الله ولا امتلك الحق في باطنه، فإن يقتبس آيات من الكتاب المقدس أو مما سمعه من الروحانيين يتذكرها و يرويها و يعلم بها، فيظهر وكأنه يعزي سامعيه وهم ينتفعون مما ينطق به، ولكنه حينما ينتهي مما يرويّه (نقلًا عن الآخرين) يعود هو إلى فقره وُعريه (جا ١٢: ٧). هذا لأن ليس له كنز الروح كافتناء يقتنيه لنفسه حتى يأخذ منه و ينفع ويحيي الآخرين، لأنه هو لم يحيا أولاً ولا قبل الروح القدس وابتغى به [١].

[هذا يوجب علينا أن نطلب من الله باجتهاد قلب وإيمان، حتى يهبنا أن نجد في قلوبنا هذا الغنى، أي كنز المسيح، بقوة الروح القدس وفاعليته، حتى إذا قبلنا نحن منه أولاً ما هو لفائدتنا أي الخلاص والحياة الأبدية والرب نفسه، حينئذ نستطيع أن نفيد غيرنا (لو ٢٢: ٣٢)].

(العظة ١٨ - ص ١٥٢ - ١٥٥).

[وأخص كل شيء هو المداومة في الصلاة، ولكن يوجد أمر ضروري وهو أن يحصل الإنسان على كنز حياته في نفسه وفي عقله، وهو الرب، حتى إذا كان يشتغل أو يصلي أو يقرأ يكون حاصلاً على ذلك الذي لا يزول وهو

الروح القدس .[

(العظة الثالثة — ص ٢٣).

(ط) العلاقة بين الروح القدس والنفس من كثرة الإلتحام ودوام فاعلية الروح في النفس ، وهي تشبه الحجر المسامي ، لما يتشبع بالماء و يتخلله الماء باستمرار ويحيط به من كل الجهات ، فإن الماء يخرج منه وكأن الحجر صار ينبوع ماء ؛ هكذا النفس الصلابة الجافة الجامدة تصير بدوام فعل الروح القدس ينبوعاً تجري منه أنهار ماء حي !!

يقول أنبا مقار :

[وهكذا ليس لفاعلية الروح القدس في النفس انقطاع ، بل من فعل إلى فعل ، حتى تصل النفس إلى كمال الروح ويتم تطهيرها من أهوائها الفاسدة وتتحد بالروح المعزي بألفة لا توصف ، وتختلط بالروح تماماً ، وتُحسب النفس أهلاً لأن تصير روحانية في ذاتها بهذا الإختلاط . وكالحجر في وسط المياه ، هكذا هذه النفوس تصير مغمورة بالروح القدس متشبهة بالمسيح نفسه ، حيث تكون حاصلة في باطنها على فضائل قوة الروح بلا تغيير وبلا عيب من داخل ومن خارج ، لأن الروح يكون قد أتى بهم إلى الكمال] .

(العظة ١٨ — ص ١٥٧ ، ١٥٨) .

(ي) العلاقة بين الروح القدس والنفس ، علاقة تحننية فائقة العطف .

فالروح القدس وهو القداسة والنور والمجد لا يطيق أن يبقى بلا عمل إزاء النفس العارية المنضوحة بنجاساتها وظلمتها وخزبها وعارها ، فهو إذ يحتويها يغطئها بمجده و قداسته الفائقة ، وهكذا تلبس النفس النور والمجد الإلهي والبهاء والقداسة والبر ، إذ تلبس الروح القدس . ولكن كل هذا على أساس شرط غاية في الأهمية ، وهو أن تدرك النفس أنها هي الشقية والبائسة والفقيرة والعريانة فعلاً ، وتطلب من جراء خشيتها العظمى لله أن يغطئها برحمته !!

يقول أنبا مقار:

[إن كان أحد عرياناً من الملابس الإلهية السمائية التي هي قوة الروح القدس، كما قال بولس الرسول: «إن كان أحد ليس فيه روح المسيح فهو ليس من خاصته» (رو ٨: ٩)، فعليه أن يبكي ويتوسل إلى الرب حتى ينال الثوب الروحاني الذي من السماء ويأخذ غطاءً لنفسه العارية، العارية عن القوة الإلهية، لأن كل من هو غير مكسي بكساء الروح القدس فهو مكسو بالعيب، عيب الشهوات الدنية.

إن كان أحد يوجد عرياناً في وسط الناس، يحل به خزي عظيم وفضيحة، ويهرب منه حتى أصدقاءه وأقاربه، كذلك ينصرف الله عن النفوس غير المكسية بلباس الروح القدس، كونها لم تلبس الرب يسوع في ملء ثقة الإيمان بالقوة والحق.

الإنسان الأول لما رأى نفسه عرياناً خجل، فما أعظم فضيحة العري الجسدي، ثم كم بالحري تكون النفس العارية عن القوة الإلهية، التي لم تكتسب بعد بلباسها الأبدي الروحاني غير الموصوف، الرب يسوع، بل تظل في شهوتها الفاضحة.

كل من كان عرياناً غير مكتسي بالمجد الإلهي، عليه أن يستحي ويقر بفضيحته، كما استحي آدم من عري جسده، حتى وبعد أن ستر نفسه بورق التين، فلم يزل خجله يلزمه، لعلمه بفقره وعريه الحقيقي (إلى أن جاءه المسيح)، هكذا فلتطلب النفس من المسيح حتى يكسوها بمجده، دون أن تحاول أن تعمل لنفسها غطاءً مزيفاً من أعمال برها، مدعية أن عليها لباس الخلاص (إش ٦١: ١٠)، لأن من استند على برّه دون برّ الله (رو ٣: ٤)، أي المسيح الذي صار لنا من الله برأ وخلاصاً وفداء (١ كو ١: ٣٠)، فإن برّه (الذي يستتر به) يصير في اليوم الأخير ظاهراً كخرقة دنسة (إش ٦٤: ٦).

(العضة ٢٠—ص ١٦٥—١٦٧).

[إذا بقيت الطبيعة البشرية عريانة بذاتها ولم تقبل عشرة الطبيعة الإلهية والإمتزاج بها، فإنها تبقى ذليلة ولا يستقيم حالها أبداً، لأن النفس دُعيت لتكون هيكلًا لله وبيتاً له وعروساً... فإذا قبلت نفسك الروح السماوي وعاشرتة، ودخل هو إلى نفسك، فحينئذ تصير رجلاً كاملاً لله وإبناً وارثاً].

(العظة ٣٢ - ص ٢٤٣، ٢٤٤).

[يقول الرسول (٢ كور ٥: ٣): «إن كنا لابسين فلا نوجد عراة»، يعني لا نوجد مجردين من شركة الروح القدس وعشرتة، الذي فيه وحده تجدد النفس المؤمنة راحتها. ولأجل هذا يتشجع المسيحيون العائشون بالحق والقوة ويفرحون عند خروجهم من الجسد، لأن فهم هذا البيت الذي لم تصنعه أيدي، وهو قوة الروح الساكن فيهم، فإذا نُقض بيت الجسد، لا يخافون، لأن لهم البيت السماوي، بيت الروح والمجد الذي لا يفسد].

(العظة الخامسة - ص ٤٨، ٤٩).

(ك) العلاقة بين الروح القدس والنفس، لا تبلغ إلى مستوى اللبس فحسب، بل إن الروح القدس وهو اللؤلؤة الكثيرة الثمن يهب ذاته للنفس البشرية، فتبدو النفس، وهي متكلمة بالروح القدس، وكأنها حاملة لعلامة وختم الملوكية، فتُحسب من ذرية الملك السماوي.

يقول القديس أنبا مقار:

[اللؤلؤة التي في تاج الملوك لبس لأحد غير الملك أن يتقلدها، كذلك الإنسان إن لم يولد من الروح القدس الملك السماوي فيصير من الذرية السماوية الملوكية (أي إبناً للملكوت) وإبناً لله، فلا يقدر أن يلبس هذه اللؤلؤة السماوية الكثيرة الثمن، أي الرب. أما الذين أعطوا سلطاناً أن يصيروا أولاد الله، فهؤلاء عندهم اللؤلؤة يلبسونها، ويحيون، ويملكون مع المسيح إلى الأبد، كما قال الرسول: «لأنه هكذا كما لبسنا صورة الأرضي نلبس أيضاً صورة السماوي»

(١ كور ١٥: ٤٩).

(العظة ٢٣ - ص ١٧٤).

(ل) العلاقة بين الروح القدس والنفس ، علاقة تطهير عميق وفعال كالمالح المعظم بالنسبة للحم الطري . وهذا الفعل العميق والسري ألمح الله إليه لما طالب في الناموس قديماً أن تملح كل ذبيحة بملح ، حتى تصير مقبولة أمام الله .

وقد نبه الرب يسوع كثيراً إلى معنى الملح الروحي . لعلنا ندرك معناه على المستوى النسكي والعملي .

يقول أنبا مقار:

[إن كان أحد عنده كمية من اللحم وتغافل عنها ولم يضع فيها ملحاً ، فلا بد أنها تنتن ، كذلك الطبيعة البشرية فهي بمثابة اللحم ، أما الملح فهو الطبيعة الإلهية التي للروح القدس ؛ فإذا لم يُخلط الطبيعة البشرية بملح اللاهوت الصالح المقدس ، فلا يمكن للنفس البشرية أن تخلو من عفونة الخطية ... أما بدون مساعدة الروح القدس فهذا جاهدت النفس فإنها تضل ضلالاً عظيماً ، لأن مثل هذه النفس لا تكون أصلاً أهلاً للأماكن السمائية ، أي الملكوت (يو ١٤: ٢ ، أف ٢: ٦)] .

(العظة ٢٤ - ص ١٧٨ ، ١٧٩).

[فن حيث كان الرسل في نفوسهم أنواراً أعطوا النور لكل المؤمنين ، فأثاروا قلوب الناس بنور الروح السماوي ، ذلك الذي هم أنفسهم كانوا مستنيرين به . وكما كانوا ملحاً في ذواتهم ، كذلك كانوا يملحون كل نفس مؤمنة بملح الروح القدس ، كانوا يملحون نفوس البشر من داخل بملح الروح ، فيصلحونها و يشبتونها و يطيبونها من رائحتها العفنة . فكما أن اللحم إذا لم يملح يفسد ويمتلئ عفناً و يعيش الدود على نتانته ، كذلك كل نفس لا تصلح بالروح القدس ولا تملح بالملح السماوي - أي قوة الله - تنقلب حالاً إلى

عفونة ويسكنها تنن الأفكار الشريرة. والدود اللعين الشرير—أي
أرواح النجاسة—ترتع فيها، «قد انتثت وقاحت جراحاتي» (مز ٣٨: ٥).
ولكن إذا فرت النفس إلى الله وآمنت وطلبت ملح الحياة أي الروح المحب
الصالح، فحينئذ الملح السماوي يبيت لوقته الدود الكربة وينزع النتانة
ويطهرها بقوته... لأنه هكذا حدد الله في الناموس قديماً على سبيل المجاز أن
تُمَلِّح كل ذبيحة بملح (لا ٢: ١٣).

(العظة الأولى—ص ١٠).

(م) العلاقة بين الروح القدس والنفس، هي علاقة النور بالظلمة. والنور هو
الذي يأتي دائماً إلى الظلمة، الروح القدس مصباح النفس، ولكن أعجب ما في هذه
العلاقة السرية أن النفس المظلمة بدوام قبولها للنور، تصير منيرة ثم تصير نوراً!! النفس
تتحول إلى نور بسبب طبيعة الروح القدس السخية المتواضعة، لأن الروح القدس يعطي
في النهاية نفسه، يعطيها لكل نفس تقبله!!

يقول أنبا مقار:

[إن النفس تحتاج إلى المصباح الإلهي وهو الروح القدس، الذي ينير بيت
النفس المظلم].

(العظة ١١—ص ٧٦).

[فن حيث كان الرسل في نفوسهم أنواراً!! أعطوا النور لكل المؤمنين فأثاروا
قلوب الناس بنور الروح السماوي، ذلك الذي هم أنفسهم كانوا مستنيرين
به].

(العظة الأولى—ص ١٠).

[كذلك النفس التي تستنير بحسن المجد الذي لا يوصف، حسن مجد النور
الذي لوجه المسيح، وتشارك في الروح القدس بالكمال، وتُحسب أهلاً
لتكون مسكناً لله وكرسياً له، حيث نصير كلها عيناً، وكلها نوراً، وكلها
وجهاً، وكلها مجداً، وكلها روحاً].

(العظة الأولى—ص ٧).

(ن) العلاقة بين الروح القدس والنفس ، هي علاقة حياة بموت . فالروح محيي بلاهوته والنفس ميّنة بخطيئتها . وهذه في الحقيقة أعلى وأعظم علاقة تربط الروح القدس بالنفس ، فالنفس بالروح القدس تصبح حية ومنيّرة بالنسبة لله والملكوت وحياة الدهر الآتى . وبدون الروح القدس النفس ميّنة ومظلمة فيما لله !!

يقول أنبا مقار:

[كما أن الجسد بدون النفس يكون ميّناً ، ولا قدرة له على عمل أي شيء ؛ كذلك النفس بدون الروح القدس تكون ميّنة بالنسبة لملكوت الله ، ولا قدرة لها على فعل أي عمل من أعمال الله] .

[وكما أن حياة الجسد في هذه الدنيا هي النفس ، كذلك النفس في الأبدية حياتها هي روح الله . ولهذا يجب على طالب الإيمان أن يلتصق نوال الروح القدس ، لأنه حياة النفس . وقد جاء الرب خصيصاً ليمنحنا روحه القدوس الذي هو النور « والحياة كانت نور الناس » (يوحنا ١ : ٩) . فالذي لا ينال في هذا العالم نور الروح الإلهي ، فإنه لا يعاين النور وقت خروجه من الجسد ، ولا يدخل ملكوت الله] .

(العتبة ٣٠ - ص ٢٣١ ، ٢٣٢) .

(س) العلاقة بين الروح القدس والنفس ، كالعلاقة بين يوم السبت وبين الجسد المتعب الواقع تحت مرارة العبودية وشقاء السخرة . فكما كان السبت في العهد القديم هو يوم البهجة والراحة والعتق من كل عمل وهمّ وتعب وعبودية وسخرة من كل نوع ، هكذا صار الروح القدس هو السبت العظيم ، سبت الراحة الأبدية ، والعتق الروحي ، وبهجة الخلاص من كل عبودية وسخرة من كل نوع ، وبالأخص عبودية الشيطان وسُخرته المرة ، وذلك بالنسبة للنفس البشرية التي قبلته ودخل إليها !!

يقول أنبا مقار:

[لأن الرب دعا نفس الإنسان إلى الراحة الجديدة : « تعالوا إلي يا جميع المتعبين والثقيلي الأحمال وأنا أريحكم » (مت ١١ : ٢٨) ... وأحمالها الثقيلة هي أفكارها

الباطلة النجسة ونير أعمال الخبث. وكأن النفوس التي تطيع الدعوة وتأتي إليه يريحها من هذه الأفكار الثقيلة الباهظة ويطلقها من كل إثم، وهكذا تحفظ النفس السبت الجديد الدائم، السبت الصحيح المبهج المقدس، وتعيّد عيد الروح القدس، عيد الفرح والخدمة النقية المقبولة لدى الله... فالجهد لمن ارتضى بمعاملة خلائقه، الآب والإبن والروح القدس إلى الأبد آمين].

(العظة ٣٥ - ص ٢٥٣).

ويقول أنبا مقار:

[إن الراحة الحقيقية في نظر المسيحيين، هي افتدائنا من نير الخطايا؛ وحصولنا، بعد تطهير قلوبنا، على ملء الروح، ثم سكنى ذلك الروح داخلنا بقوة الفعالة، لأنه هو الذي يستحسنا بعد ذلك للتقدم. وبالإنجال فإن الروح القدس هو الذي يمتد بنا دائماً إلى الأمام. «فلنجهد إذن أن ندخل تلك الراحة» (عب ٤: ١١).]

عن الخطاب الكبير المترجم من الفرنسية عن الأصل اليوناني.

(ع) الروح القدس فرح النفس وملكوها:

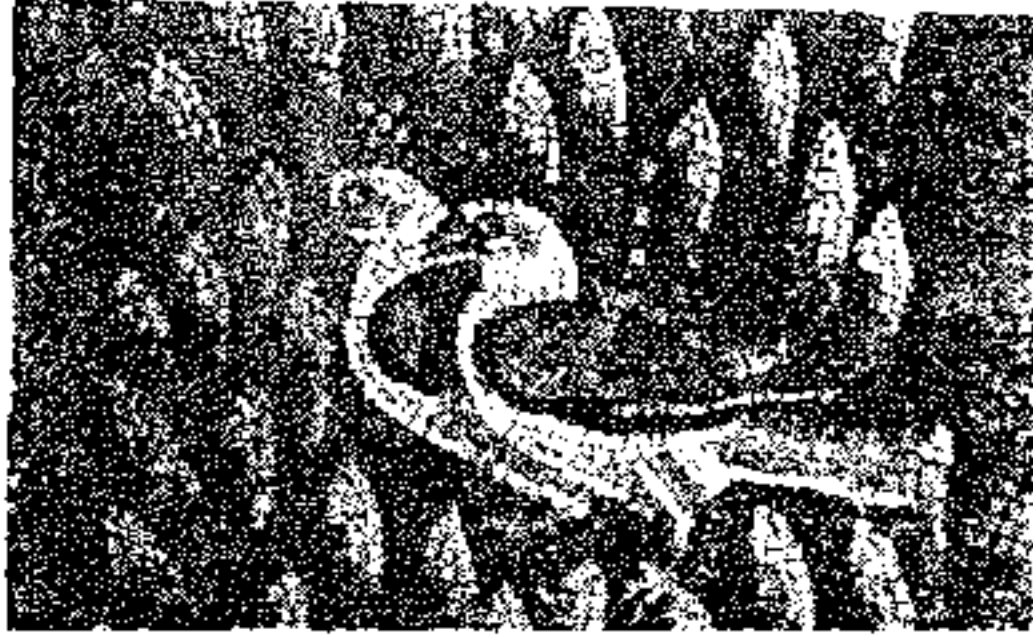
يقول أنبا مقار:

[... المحبة هي القوة التي توجه النفس نحو الله، بعمل الروح الذي يكمل الإتحاد الوثيق بين نفسنا ومحبة الرب. هذا يتم بواسطة الصلاة، إنما بتدخل المعونة الإلهية الموهوبة للمختارين، الذين حُسبوا أهلاً لها. وهكذا تتولد المحبة السماوية الشديدة والمودة الحارة التي تُضرم في النفس نار الروح القدس. ... وهذا يدفع المؤمن أن يلح طالباً من الله بصلوات متواترة أن يكمل له القول: «سكنت الفرح في قلبي» (مز ٤: ٧)، أو بحسب قول الرب: «ها ملكوت الله داخلكم» (لو ١٧: ٢١). لأن ما هو هذا الملكوت الداخلي إلا فرح الروح، هذا الذي يتدفق بقوة في النفوس المستعدة. أليس هذا الفرح، وهذه «الراحة المثمرة»، وهذا «السكر الروحاني»، كل هذا أليس هو نفس

ما يتذوقه المختارون في الفردوس في نور مجد الله ؟

إن عربون هذا الفرح المفرط وبأكورته تعطى للنفوس البارة الأمانة،
عن طريق الشركة الحية الفعالة مع الروح القدس، كما يقول بولس
الرسول: «فالذي يعزينا في ضيقنا ويقويننا لنحتمل كل تجربة هو هذا
الروح عينه الذي سيعزيكم أنتم أيضاً من قبل الله» (راجع ٢ كور ١: ٤)،
وأيضاً كالمزمور القائل: «قلبي وجسمي ارتكضا بالإله الحي» (مز ٨٤: ٢)،
وأيضاً: «أشبع نفسي كأنها من شحم ودسم» (مز ٦٣: ٥)، وأقوال أخرى
مشابهة. والمقصود من هذا الفرح والتهليل بالروح وهذه التعزية هو التمتع
بالله].

عن الخطاب الكبير المترجم من الفرنسية عن الأصل اليوناني.



ثانياً: أهمية عمل الروح القدس داخل النفس في صراعها ضد طبيعتها القديمة

الذي يقرأ للآباء، يدرك في الحال أهمية العمل الخطير الذي يقوم به الروح القدس لموازرة النفس في صراعها بعد المعمودية ضد طبيعتها القديمة؛ بحيث يتراءى للقارىء أنه بدون عمل الروح القدس يستحيل على النفس الإنسلاخ من عاداتها القديمة، ومن انحلال طبيعتها، ومن تواطئها الأول مع الشيطان.

كذلك فإن التشجيعات التي يبثها الآباء بكلماتهم النارية الملهبة فينا، من جهة سخاء الروح القدس، وتودده المجاني لنفوسنا، بحسب توصية الرب يسوع، يجعلنا في الحقيقة أمام دينونة عظمى إذا أهملنا طلب معونة الروح القدس ليلاً ونهاراً.

(أ) الروح سباق إلى الدعوة للتوبة وسباق إلى المعونة:

إن جميع الآباء والتساك وكل الذين دخلوا بالحق في مواعيد الله لا يمكن أن ينسوا البداية الرائعة، كيف دعاهم الله بطرق متنوعة كان الروح القدس في جميعها سباقاً إلى الدعوة، سباقاً إلى المعونة، سباقاً إلى تقديم عروض المحبة والتعليم، حتى أن النفس الخاطئة لا تجد أية قدرة على مقاومة إغراء الروح القدس وتودده الوديع المذهل داخل النفس، مهما كانت أكوام الخطايا والعثرات والزلات التي تراكمت فوق حياة النفس.

يقول أنطونيوس:

[قبل كل شيء أنا أطلب خلاصكم بالرب، وأقول إن النفوس التي بلغت إليها بشارة روح الله من رجال ونساء... يكون قلبهم مستعداً أن يتبع روح الله فيقبلون مواعيد الله براحة].

[وقبل كل شيء فإن الروح القدس بدعوتهم ويسهل عليهم كل الأمور،

حتى يحملوهم الدخول في التوبة، ويُظهر لهم طرقها على الحقيقة، ليتوبوا بأرواحهم بالقوة ويقمعوا الجسد والروح، حتى يطهرا كلاهما و يصيرا وارثين للحياة الأبدية].

(العظة الأولى—ص ١٠، ١١).

ويقول أنبا مقار:

[ينبغي للإنسان أن يذوق نعمة الله لأنه قال: «ذوقوا وانظروا ما أطيب الرب» (مز ٣٤: ٨).

فهذه المذاقة هي هي فضيلة الروح القدس، الذي تناله النفس بفعل الإيمان وبايقان القلب، لأن كل بني النور خدام العهد الجديد بالروح القدس لا يتعلمون (فقط) من البشر، بل تعليمهم من الله يكون، لأن النعمة ذاتها تكتب في قلوبهم ناموس الروح].

(العظة ١٥—ص ١١٢).

[وكما أن النحلة تصنع عسلها سراً في الخلايا، كذلك النعمة تعمل محبتها في القلب سراً].

(العظة ١٦—ص ١٣٦).

(ب) الروح يقف حارساً على باب التوبة، يقنع النفس بطرق عديدة بعدم الرجوع عنها.

بعد أن يدعو الروح القدس و يسهل الدخول للتوبة، يقف حارساً للنفس، حتى لا تتجاوزها شهواتها الأولى وتجبرها إلى الحنث في توبتها. وهو يستخدم في ذلك كافة الطرق لتحذير النفس، فإذا سمعت النفس، وصبرت، وانقادت للروح، يفتح أمامها طريق التوبة بمواهبه وتعزياته التي تفوق العقل.

يقول أنبا أنطونيوس:

[روح التوبة يعزي الإنسان و يعرفه أن لا يرجع إلى ورائه، ولا يتعلق بشيء

من أمور العالم، و يفتح عيني النفس أيضاً للتوبة الحقيقية، لكي تتطهر النفس مع الجسد، ويكونا كلاهما في الطهارة واحداً، لأن هذا هو تعليم الروح القدس، إذ يسعى أمامهما، ويظهرهما، ويمحو عنها الطبائع المزوجة في الجسد، وينقلها إلى الحلقة الأولى التي كانت قبل المخالفة، ولا يبقى في الإنسان شيء من أمور العدو. وعند ذلك يصير الجسد تابعاً لإرادة العقل، يطهره في كل شيء، ويتعلم من الروح القدس، كما قال الرسول: «إني أخضع جسدي وأستعبده» (١ كور ٩: ٢٧).

(الرسالة الأولى—ص ١١، ١٢).

[لأن الروح القدس المعزي المأخوذ في المعمودية يعطينا العمل بالتوبة ليردنا ثانية لرئاستنا الأولى].

[كل الذين يعتمدون للمسيح يلبسون المسيح، كما قال الرسول (غل ٣: ٢٧)، و ينالون نعمة الروح القدس...].

(الرسالة السابعة—ص ٤٦).

(ج) الروح لا يُلزم النفس بالتوبة، ولكنه يزكيها للنفس فقط، فإن قبلت أعانها، وإن حثت تركها.

الروح يزكي التوبة، و يذيق النفس شيئاً من سلام الله وفرح الروح وهبة الخلاص في البداية، فإن هي قبلت الدعوة، وانقادت للحق، وصادقت مع صوت الحكمة، أحاطها الروح القدس بمعونات وتعزيات أكثر فأكثر، حتى تقوى على كل شهواتها وعاداتها القديمة. ولكن إن هي تحامقت، وانجذبت لشهواتها الحمقاء وعاداتها القديمة انحصر الروح القدس وتراجع، وظهرت على المسوح قوات العدو وتسوق النفس إلى مصير مظلم. وهكذا يستمر الصراع داخل النفس إلى أن تقرر النفس موقفها النهائي الذي تتحمل وحدها مسؤوليته.

يقول أنبا أنطونيوس:

[إذا تسلحت النفس بالصبر الدائم والشهادات التي من أنفاس الله، فإن

الروح القدس يرشد العقل إلى تطهير النفس والجسد كليهما... فإن غفل الإنسان عن هذه الشهادات والتعاليم التي سمعها، فحينئذ تقوى عليه الأرواح الردية، وتنجس جسده، وتشككه في كيف تأتي إليه المعونة].

(الرسالة الأولى—ص ١٢، ١٣).

[فإن رجعت النفس ولصقت بروح الخلاص، فعند ذلك تعلم أن الصبر من أجل الله هو راحتها وسلامها].

(الرسالة الأولى—ص ١٣).

ويقول أبنا مقار:

[ولكن إن تجاسرت نفسه وقاومت ترتيب الروح القدس، فإن القوة التي وُضعت فيه تنسحب، وبذلك تتولد في قلبه محاربات واضطرابات، ثم تضايقه آلام الجسد في كل لحظة بمهاجمة العدو].

[فإن تاب قلبه وتمسك بوصايا الروح القدس، فإن معونة الله تكون عليه].

(الرسالة إلى أولاده—ص ١٥، ١٦).

(د) الروح القدس هو القادر على إيقاف عمل الإنسان العتيق وإبطال سلطان الشهوات والعادات بقوة فائقة للعقل، فهو رجاء الخلاص الوحيد أمام الإنسان المربوط بخطاياها. لذلك ينبها الآباء من جهة التوسل والصراخ واللجاجة بلا هدوء ولا توقف ولا ملل حتى ننال هذه القوة الفائقة.

يقول أبنا مقار:

[فلنتوسل إلى الله إذن أن ينزع منا الإنسان العتيق، لأنه هو وحده القادر على نزعنا مع الخطيئة، لأنها أقوى منا، بحيث أنها استأسرانا واستعبدانا في مملكتها...]

لأن الخطيئة أصبحت ممزوجة بالنفس، مع أنه لكل منها ما يختص بطبيعته. ولكن لا يمكن افتراق النفس من الخطيئة، إلا بأن يرسل الله هدوءاً، ويُسكت الروح الشرير (العامل) في النفس والجسد... فلنتمس من الله أن

يهب لنا أجنحة حمامة (مز ٥٥: ٦)، أي الروح القدس، لنطير إليه ونطمئن، ويفرق عنا الروح الشرير، ويقطعه منا نفساً وجسداً، لأنه هو وحده القادر على ذلك].

(العظة الثانية—ص ١٨).

[لأن بمعصية الإنسان الأول دخل فينا الفساد، وهو فساد أهوائنا الغريب عن طبيعتنا، ولكنه مهبطاً في الطبيعة بطول العادة والألفة، إلا أنه يقتضي أن يُستخرج ثانية بواسطة ضعف طبيعتنا، أي موهبة الروح القدس، لنعود إلى حال النقاوة الأصلية. ولكن طالما نحن لم نل محبة الروح السمائي، بالطلبات والتضرعات المستديمة، وبالإيمان، والصلاة، والزهد في العالم، وطالما لم تلتصق طبيعتنا بهذه المحبة التي هي الرب (١ يوحنا ٤: ١٦)، فنتقدس بمحبة الروح القدس بعد تدنسها بالخطيئة ثم نستمر بلا عيب إلى النهاية بالإجتهاد في وصايا الرب، فلا يمكننا الحصول على الملكوت السماوي].

[فكما أن الحديد إذا أُلقي في النار يتحول عنه الجوهر اليابس الذي لطبيعته ويصير ليناً بقدر مقامه في النار، كذلك النفس التي تنكر العالم، وتعلق شوقها بالرب بالتفتيش الكثير والكثيرة والجهد، وتنتظره انتظاراً دائماً بالإيمان والرجاء حتى تنال النار السمائية ومحبة الروح، حينئذ تنفك من محبة العالم، وتفلت من كل فساد الأهواء، وتغير طبيعتها من يبوسة الخطيئة، وتخضع للعريس السمائي بحب شديد لا يوصف].

(العظة الرابعة—ص ٣٤، ٣٥).

[جميع الذين يُحسبون أهلاً حقاً أن يشتركوا في الروح القدس الذي هو المحبوب السمائي، فإنهم يتجردون بالكلية من حب العالم، ويُغمرون بالشهوة السمائية].

(العظة الرابعة—ص ٣٥).

[النعمة حينما يلمحها الإنسان من على بعد يفرح بها، ولكن حينما تدخله القوة الإلهية وتمسك أعضائه كلها وتستأسر قلبه ولبّه لمحبة الله، فإنه يتغير ويصير

شخصاً آخر].

(العظة السابعة—ص ٥٩).

[يجدر بالنفس التي تؤمن بالمسيح إيماناً صحيحاً أن تنتقل (كو ١: ١٣) وتتغير من حالتها الفاسدة إلى حالة الصلاح، ومن طبيعتها الدنيئة إلى طبيعة إلهية، وأن تتجدد بقوة الروح القدس، وهكذا تصير أهلاً للملكوت السموات].

(العظة ٤٤—ص ٢٨٣).

[فسيلنا أن نؤمن بمواعيده الفائقة بكل القلب، فإن الذي وعد هو أمين. لذلك يجدر بنا أن نحب الرب، وأن نجتهد في كل الفضائل بكافة الطرق، طالبين على الدوام وبلا انقطاع أن ننال موعد روجه تماماً كاملاً، لكي تحيا نفوسنا ما دمنا في الجسد، لأنه إذا لم تنل نفوسنا في هذه الحياة تقديس الروح بكثرة الإيمان والصلاة، وتشترك في الطبيعة الإلهية... فلا تكون أهلاً للملكوت].

(العظة ٤٤—ص ٢٨٥).

[لذلك يجب على كل واحد أن يغصب نفسه على التوسل إلى الله، لكي يُحسب أهلاً لنوال كنز الروح القدس السماوي، حتى يقدر أن يتم وصايا الرب بطهارة، بلا تعب، أو صعوبة، أو عيب، الأمر الذي لا يمكنه أن يتمه بدون كنز الروح حتى ولو بالإغتصاب، لأن النفس إذا كانت محرومة من شركة الروح القدس، كيف تقدر أن تحصل على أعمال وغنى الروح؟].

(العظة ١٨—ص ١٥٣).

ويقول أنبا أنطونيوس:

[الذي يطلب من الرب باجتهاد ومحبة بحسب وصاياه وتعاليمه، فإن الرب يكون معه ويعطيه نعمة الروح القدس... والذين استحقوا هذه النعمة، سعوا حسب الوصية بكل قوتهم ونياتهم، فقبلوا روح البنوة وتعلموا من الروح القدس.

اطلبوا لكي النار التي ألقاها الرب يسوع على الأرض يلقىها في

قلوبكم لتستزيعوا أن تتدربوا في عزائمكم وحواسكم].

(الرسالة الثالثة—ص ٢٣، ٢٤).

(هـ) الروح القدس لا يعمل وحده ضد الجسد العتيق داخل النفس، بل لابد من إرادة مقاومة العالم ومن الجهاد المتواصل، وأن تكون إرادة الإنسان على موافقة تامة مع الروح القدس، وعلى أعلى يقظتها، وإلا يتوقف عمل الروح القدس و يصير وجوده بلا فائدة.

يقول أنبا مقار:

[وكما أن الطفل الرضيع الذي يأتي إلى هذه الدنيا لا يبقى في قامته الطفولية طول الأيام، ولكنه يكتسب كل يوم نمواً جديداً حسب النواميس الحفية للطبيعة التي تعمل فيه، إلى أن يبلغ إلى عمر الرجل الكامل وملء الإدراك في خبرة الحياة؛ هكذا أيضاً وبنفس الحال يحدث للذي يولد من فوق بواسطة الماء والروح، فإنه لا ينبغي أن يبقى في الطفولة الروحية و يتوقف عن النمو، بل ينبغي عليه، بالصراع واحتمال الآلام التي تواجهه بكثرة، أن يستخدم الصبر ويتقدم كل يوم في عراكه المتواصل، إلى أن يصل إلى ملء القامة الروحية التي كتب عنها الرسول: «إلى أن ننهي جميعنا إلى وحدانية الإيمان ومعرفة ابن الله، إلى إنسان كامل، إلى قياس قامته ملء المسيح، كي لا نكون فيما بعد أطفالاً مضطربين ومحمولين بكل ربح تعليم، بحيلة الناس، بمكر، إلى مكيدة الضلال، بل عاملين الحق في المحبة، ننمو بكل وسيلة في ذلك الذي هو الرأس المسيح» (أف: ٤: ١٣-١٥).

وفي موضع آخر أيضاً: «ولا تشاكلوا هذا الدهر بل تغيروا عن شكلكم بتجديد أذهانكم، لتختبروا ما هي إرادة الله الصالحة المرضية الكاملة» (رو: ١٢: ٢)، حتى تبلغوا منتهى المشيئة الإلهية، محققين ملء قامته النمو الذي هو فيض الروح. لأن في الولادة الجسدية يصل الطفل إلى ملء النمو بواسطة القوة الطبيعية التي تأتي به، من تلقاء ذاتها، إلى قامته الرجل الكامل،

حيث يظهر جلياً أن العناية الإلهية العامة هي التي حددت هذه الغاية دون تدخل قط من إرادة الإنسان الحرة، لأن إرادة الإنسان لا تدخل في نمو الجسد. ولكن بالنسبة للولادة من فوق — الولادة حسب الروح — فلا توجد هذه القوة التي تعمل بدون جهاد، إنما يلزم هنا تدخل الجهد الشاق والصراع والمثابرة والإرادة التي لا تكل، وبالإجمال كل وسائل الجهاد الشخصي، بمقتضى كلمة ربنا «اجتهدوا أن تدخلوا من الباب الضيق» (لوقا: ١٣: ٢٤)، وقوله أيضاً: «لأن ملكوت السموات يُغصب» (متى: ١١: ١٢)، وأيضاً: «بصبركم اقتنوا أنفسكم» (لوقا: ٢١: ١٩)، «من يصبر إلى المنتهى... فهذا يخلص» (متى: ١٠: ٢٢). ويقول الرسول: «ولنحاضر بالصبر في الجهاد الموضوع أمامنا» (عب: ١٢: ١)، «هكذا اركضوا لكي تنالوا (الإكليل)» (١ كور: ٩: ٢٤)، وأيضاً: «ما أكثر ما يحتاج خدام الله إلى الصبر».

إذن، فإنه بالعمل الجاد والجهد الشخصي وبالآلم والمعاناة يصل المرء إلى النمو، فبقدر ما يتقدم المرء في ممارسة الوصايا عن حب وحرارة، بنفس هذا القياس تنشئ نعمة الروح الملازمة لجهاد الإنسان تحصيلاً أكبر في التجديد الروحي. لأنه وإن كان من المؤكد أننا بالنعمة والغفران الإلهي نتقبل الخلاص، إلا أن هذا هو أيضاً من عمل الإيمان، والحب، والجهاد، والإستعداد الشخصي، وذلك بالتصميم على النمو والتقدم لبلوغ القياس الكامل للقامة الروحية، لأنه بالنعمة والجهاد معاً يتم لنا ميراث الحياة الأبدية.

فليس شيء يتم بعمل القوة الإلهية أو النعمة بدون الجهد، وغيره الإنسان القوية التي تشارك بالفعل في تقدمه ونموه، كما أنه أيضاً ليس شيء يتم نتيجة العمل الشخصي أو الجهد وغيره دون موازنة الروح القدس وتعضيده synergy ، الذي يجعلنا قادرين على الوصول إلى ملء قامة الحرية والنقاوة: «إن لم يبني الرب البيت فباطل تعب البنائين وإن لم يحرس الرب المدينة فباطل سهر الحراس» (مز: ١٢٧: ١). وأيضاً: «لأنه ليس سيفهم امتلكوا الأرض ولا ذراعهم خلصتهم (مع أنه لا بد من الجهاد ومناطحة

الأعداء)، لكن هي ذراعك يارب ويمينك المقتدرة ونور وجهك» (مز ٤٤: ٣).

إذن يلزم الإتحاد الكامل بين القوة الإلهية وجهادنا الخاص، وباختصار يعلمنا النبي عن أمرين:

الأول: هو أن كبرياء المتكلمين على ذواتهم يؤدي إلى السقوط.

والثاني: هو أن بالإيمان والمحبة، ونحن مستندون على النعمة، نبلغ رجاء الحياة الأبدية.

ما هي إذن هذه الإرادة الصالحة التي يحثنا الرسول على اقتنائها، كل واحد لنفسه، بغيرة لا تفترو ولا تنقطع؟ أليست هي نفسها تلك التي يشير إليها الرب في التطويبات قائلاً: «طوبى للأنقياء القلب لأنهم يعاينون الله» (مت ٥: ٨)؟ وأيضاً: «كونوا أنتم أيضاً كاملين كما أن أباكم الذي في السموات هو كامل» (مت ٥: ٤٨)؟

فالتخلص من الخطية هو وعدٌ تحمله لنا هذه الآيات، ولكن على أساس الكف عن شهوات الشرور، وتقديس القلب، بواسطة الشركة مع الروح، الذي يكمل ويقُدس إلى كل ملء الله، كل نفس استسلمت لله عن إيمان وحب.

(عن الخطاب الكبير المترجم من الفرنسية عن الأصل اليوناني).

ويقول أبنا مقار أيضاً:

[ومرة ثانية، يطلب إلى أولئك الذين حُسبوا أهلاً أن يتقبلوا روح الموعد في المعمودية، يستحثهم على السعي في التقدم قائلاً: «لذلك أنا أيضاً إذ قد سمعت بإيمانكم بالرب يسوع ومحبتكم نحو جميع القديسين، لا أزال شاكرًا لأجلكم ذاكراً إياكم في صلواتي، كي يعطيكم إله ربنا يسوع المسيح أبو المجد، روح الحكمة والإعلان في معرفته، مستتيرة عيون أذهانكم لتعلموا ما هو رجاء دعوته، وما هو غنى مجد ميراثه في القديسين، وما هي عظمة قدرته الفائقة نحونا نحن المؤمنين» (أف ١: ١٥-١٩).

ورغبة منه في أن يعبر بأكثر وضوح عن شركة الروح واقتنائه، يستطرد مبيناً النموذج الكامل لهذه العطية: «حسب عمل شدة قوته الذي عمله في المسيح، إذ أقامه من الأموات...» لكي تنالوا أنتم أيضاً الملء حسب قوة روحه].
(عن الخطاب الكبير المترجم من الفرنسية عن الأصل اليوناني).

يقول أنبا مقار:

[إن قوة نعمة الله في الإنسان وموهبة الروح القدس، التي تُحسب النفس الأمينة أهلاً لقبولها، يتبعها جهاد عظيم، وصبر كثير، وطول أناة، وتجارب وبلايا تُمتحن بها إرادة الإنسان بأصناف الشدائد كلها، فإن لم تحزن الروح في أي أمر بل تكون موافقة للنعمة في تكميل الوصايا، فإنها تُحسب أهلاً لأن تُطلق من شدائدتها، وتنال ملء تبنى الروح، مع ما قيل عنه من سر الغنى الروحي والحكمة التي ليست من هذا العالم. وهذه جميعها يشترك فيها المسيحيون العائشون بالحق].

[ولكن لم يُسمع قط أن أحداً اقتنى نفسه واقتنى روح المحبة السمائي دون أن يبتعد عن أشياء هذا العالم، ويبدل نفسه في حب المسيح... جاعلاً عقله كله، وقاصراً اعتناؤه وتلهفه، على طلب جوهر النفس العقلي، منتظراً برجاء كامل مجيء الروح القدس عليه...].

(العظة التاسعة--ص ٦٧، ٦٨، ٦٩).

[إن النفوس التي تحب الله وتشتهي أن تلبس المسيح بإيمان ورجاء زائد لا تحتاج إلى من يذكرها، ولا تكون قط خالية من شهوة المحبة الإلهية... ولو أنها تصبح أحياناً في فراغ (جفاف)، ولكن لأنها تكون مسخرة بكليتها في صليب المسيح، فإنها تشعر يوماً فيوماً بحسب اختباري بتقدمها الروحاني نحو العريس السمائي، ولأنها تكون مجروحة بشهوة سمائية وجائعة لبر الفضائل، فإنه يكون لها اشتياق عظيم، لا يخمد، إلى الروح القدس ليضيء عليها.

وبقدر ما تُحسب أهلاً للمواهب الروحانية، يزداد فيها الشوق

الإلهي، الذي يكون قد ملأها اضطراباً، ولا تكف عن تفتيش ذاتها
باجتهاد وبلا ملل؛ وبقدرة ما نحس بالترقي الروحاني، تزداد جوعاً وعطشاً
إلى اقتناء النعمة...

فمثل هذه النفوس التي تحب الرب حباً حاراً لا ينطفئ، تستأهل
الحياة الأبدية، وتُحسب أهلاً للإفتداء من الأهواء الدنيئة، وتنال نور
الروح القدس بالتمام، وحضوره الذي لا يُوصف، والشركة السرية بملء
النعمة].

(العظة ١٠ - ص ٧١، ٧٢).

[فجميع الذين هم للخدمة، و يفعلون كل شيء ببشاشة وغيره وإيمان وحب
لله، فعملهم هذا يأتي بهم بعد فترة إلى معرفة الحق عينه، لأن الرب ينكشف
لنفوسهم والروح القدس يعلمهم طريقه].

(العظة ١٢ - ص ٩٥).

[فكل من شاء أن يرضي الله بالحق وينال منه النعمة السماوية، نعمة
الروح القدس، وأن ينمو في الروح القدس، فهو مُطالب بأن يغصب
نفسه إلى وصايا الله كلها، ويُخضع لها قلبه النافر... ويداوم الصلاة
والطلب إلى الله كل حين، حتى وبعد أن ينال رغبته ويزوق الله ويصير
شريكاً في الروح القدس... والروح ذاته يمنحه هذا، ويعلمه الصلاة
الحقيقية، والمحبة الصحيحة، والوداعة الصادقة، التي كان قبلاً يشتتها
ويغصب نفسه إليها...]

[فلنغصب إذن نفوسنا إلى التواضع العقلي والوداعة والمحبة، حتى ولو لم
يكن للقلب إرادة في ذلك، ملتصقين ذلك من الله بالإيمان والرجاء
والمحبة بلا انقطاع، بأمل وانتظار أن يرسل روحه إلى قلوبنا، حتى نصلي إلى
الله ونسجد له بالروح بالحق، والروح ذاته يصلي فينا، لعل الروح
نفسه يعلمنا الصلاة الحقيقية التي لا نقدر على تحصيلها الآن
بالإغصاب...].

(العظة ١٩ - ص ١٦٣).

[فن أراد أن يصير شريكاً في المجد الإلهي ، وينظر الرب في قوة نفسه بوجه مكشوف كما في مرآة ، عليه أن يطلب المعونة من الله بشدة قوته ، ويجب لا يخمد ، ورغبة لا تتوقف ، بل ومن كل قلبه ليلاً ونهاراً... وهو لا يمكنه أن ينال ذلك ، إلا إذا حرم نفسه من لذة العالم ، ومن شهوات القوة المعادية (١ بط ٢ : ١١ ، يوحنا ٨ : ٤٤) .]

(العظة ٢٥ — ص ١٨٢) .

[فلنُصَلِّ ، إذن ، نحن بكامل ثقة الإيمان والحس ، لننال روحه القدوس... حتى لا يعود يتسلط علينا خداع هذا العالم الحاضر ، بل نكون في ملء ثقة الروح... ولا نياس ، لأن نعمة الله ترضي بقبول الخاطئين التائبين... فلنأت بقلب مستقيم منفصل عن هموم الأشغال ، فيعطينا شركة الروح .
وإرادة الإنسان هي كمعين طبيعي... وتتمام عمل الروح القدس يستند بكليته على إرادة الإنسان ، وكذلك إذا وجهنا إليه كل إرادتنا ، فإنه ينسب العمل كله إلينا ، فإنه إله عجيب في كل الأمور ويفوق كل إدراك] .

(العظة ٣٧ — ص ٢٥٩) .

يقول أنبا أنطونيوس :

[اتفاق الجسد (الأعمال الجسدية من صوم وسهر وضبط حواس) مع النفس في التوبة ضرورة . فإذا نال العقل هذه النعمة ، عند ذلك يطلب بالروح القدس ، ويبتدىء بطرد عن النفس كل المصاعب التي تأتي عليها من شهوات القلب . لأن الروح القدس إذا صار للعقل شركة معه ، من جهة حفظ الوصايا التي يتعلمها ، فإنه يرشده لينزع الأوجاع (الأهواء النفسانية) عن النفس الواحدة بعد الأخرى ، التي تكون قد امتزجت بالجسد ، أو التي تكون في النفس خاصة من أعلى الرأس حتى أسفل القدمين :

+ العينان تنظران بطهارة واستقامة ، ولا يبقى فيها شهوة غريبة .

+ والأذنان تسمعان بالسلام من جهة كل الخليقة ، ولا تحتملان النجاسة .

+ اللسان يتكلم بالخير و بطهارة... لأن العقل إذا تقوى وابتدأ يأخذ من الروح، فإن اللسان يتطهر و يفحص كل كلمة ينطق بها، حتى لا تكون فيها إرادة جسدانية.

+ واليدان لا تعملان بحسب هوي النفس، ولكن الروح يعدّهما لرفع الصلاة و عمل الرحمة و العطاء، فيتم القول: «إن رُفِعَ يدي كقربان المساء» (مز ١٤١: ٢).

+ والبطن يصير مدققاً و يتحرز من المآكل و المشارب، و يتخلص من الشهوات و الشبع التي تختلط بها قوة العدو، والتي تكون قد تسلطت على البطن بسبب النفس الشهوانية. لأن كل الذين يطلبون الطهارة، فإن روح الله يهديهم إلى الإستقامة (العفة). وهكذا يتم القول: «فإذا كنتم تأكلون أو تشربون أو تفعلون شيئاً فافعلوا كل شيء لمجد الله» (١ كو ١٠: ٣١).

+ والرجلان يضبطهما القلب الذي يكون قد امتلأ بالنعمة، و يحركهما بإرادة الروح القدس لتخدما في الأعمال الصالحة.

+ لأن الذي يطلب الخلاص بالحقيقة و يتمسك بالطهارة، فإن الروح القدس ينزع عنه حركات (الخطية) براحة، و الروح القدس يصير ملجأ له و قوة، و يطفئ عنه كل الشرور المتحركة عليه. وهكذا يرجع الجسد تحت سلطان الروح القدس.]

[فإذا دامت النفس على الصبر، و الإستماع الحسن للروح القدس الذي يجتذبها للتوبة، فإن الله يترأف على تعيها و أتعاب الجسد، الذي هو كثرة الصوم، و السهر، و المهذّب في الكتب المقدسة، و الصلاة بغير فتور، و الخدمة لجميع الناس، بقلب طاهر و مسكنة الروح، وهكذا ينجيها الرب من جميع التجارب و يخلصها برحمته.]

(الرسالة الأولى—ص ١٢، ١٣، ١٤).

[أطلبوا لكي النار التي ألقاها الرب يسوع على الأرض بلقيها في قلوبكم، لتستطيعوا أن تتدربوا في عزائمكم و حواسكم.] (الرسالة الثالثة—ص ٢٥).

[وروح الله لا يسكن في نفس أو جسد خاطئ ، لأنه قدوس وبعيد عن كل غش].

(الرسالة الرابعة—ص ٢٧).

[إن كل من لا يبغض ما يختص بالأرض وكل أعمالها من كل قلبه ، ويرفع عقله إلى العلا نحو الآب ، فلا يستطيع أن يخلص . أما من استطاع ذلك ، فالرب يتأف على أتعابه ، ويندم عليه بالنار غير المنظورة غير المادية ، لتتحرق كل الأوجاع التي فيه وتطهر عقله ، وعند ذلك يسكن فيه الروح القدس ، ويكون معه].

(الرسالة الخامسة—ص ٢٩).

[إن محبة الرب تتعاهد ضمائرنا ، وتساعد كل الذين قد جعلوا أفكار قلوبهم مرتبطة بتذكارات كنيسة الأطنار ليل نهار ، هؤلاء يكون الروح القدس مذكراً لهم دائماً ، يطلب عنهم ، لأنهم قد صاروا له أولاداً ، لأنه هو ولداهم بالله].

(الرسالة الثانية عشر—ص ٦٢).

[إن كل إنسان ، رجلاً كان أو امرأة ، فيه قوة محبة كائنة للحركة ، إما جهة الإلهيات وإما جهة الجسديات ، فالإلهيون يحبون اللاهوتية ، والجسديون يحبون الجسديات ، أما أنتم فبسبب أن اللاهوتية فيكم ، فإني أحكم بكل قلبي وروحي لإقتنائكم الله فيكم . وقد صرتم عندي في مكانة عظيمة ، ولذلك أطلب من أجلكم لكي تزدادوا في محبته لتتم اللاهوتية فيكم].

(الرسالة الثالثة عشر—ص ٦٥).

(و) عدم الإذعان للروح القدس خسارة عظيمة ، وأي مقاومة أو عناد يُنهي بسرعة على حالة النعمة التي يكون فيها الإنسان ، حيث يدخل الإنسان في تأديب مُرّ ، ويزوق معنى التخلي وهجران النعمة ، تلك التي توقعنا في يد الشيطان . علماً بأن الإستمرار في معاندة الروح القدس ، وإهمال إنذاراته ، قد ينتهي بهجران لا عودة فيه ، وسقوط نهائي من النعمة .

يقول أبنا مقار:

[فسبيننا أن نجتهد، وبغاية التبصر نسعى في عمل خلاصنا، بخوف ورعدة،
ومها كنتم أنتم الذين صرتم شركاء في روح المسيح، فلا ترتفعوا في
نفوسكم على أي وجه، سواء كنتم حقراء أو عظماء، ولا تتكبروا على
النصيحة، ولا تعاندوا روح النعمة، لئلا تُنفوا من الحياة التي كنتم شركاء
فيها.]

(عظة ١٢—ص ١٠٣).

[سؤال: هل يسقط من له موهبة النعمة؟

جواب: إن أتبع الإهمال يسقط لا محالة، لأن اعداءنا لا يتوانون في إثارة
الحرب علينا (١ بط ٥: ٨) ولا يتوقفون (عن المقاومة) قط.

[سؤال: هل تبقى النعمة في الإنسان بعد سقوطه؟

جواب: الله يشاء أن يعود الإنسان إلى الحياة، وينصحه بأن يعود ثانية إلى
البكاء والتوبة، فالنعمة تبقى لتجعلك محصناً بزيادة، بتوبتك عن الأشياء التي
ارتكبتها.]

(العظة ١٥—ص ١٠٩).

[فيها قد ترى أن الذين قد تجددوا وذاقوا الموهبة السماوية يسقطون، لأن
الإنسان له إرادة لإرضاء الروح، وإرادة لإحزانه.]

(العظة ٢٧—ص ٢١٣).

[أولئك أيضاً الذين ذاقوا نعمة الله، وصاروا شركاء الروح القدس؛ إن لم
يصونوا أنفسهم صيانة تامة، فإن النور ينحجب عنهم انحجاباً كاملاً ويصبحون
أشر مما كانوا عليه أولاً في حال دينونتهم، ليس أن الله هو الذي تحول أو ضعف
أو أن الروح ينطق، بل الأشخاص ذواتهم لا يوافقون النعمة فيطرحون
ويقعون في مصائب... «أبعد ما ابتدأتم بالروح تكملون الآن بالجسد»
(غل ٣: ٣).]

(العظة ١٥—ص ١٢١).

ويقول أبنا أنطونيوس :

[إذا تسلحت النفس بالصبر الدائم والشهادات التي من أنفاس الله ، فإن الروح القدس يرشد العقل إلى تطهير النفس والجسد كليهما... فإن غفل الإنسان عن هذه الشهادات والتعاليم التي سمعها، فحينئذ تقوى عليه الأرواح الرديئة، وتنجس جسده، وتشككه في كيف تأتي إليه المعونة].

(الرسالة الأولى—ص ١٢، ١٣).

[لأن بولس الرسول يقول: «لا تطفئوا الروح» (١ تس ٥: ١٩)... واعلموا يا أولادي أن الروح لا ينطقء منا، إلا بالكلام الباطل، والمزاج، وأعمال أحر كثيرة لا يمكن أن أكتبها واحدة فواحدة].

(الرسالة الحادية عشر—ص ٦١).

[وأنا أبوكم، أجتهد أيضاً معكم، وأطلب من أجلكم، لكي تقبلوا هذا الروح، لأني أعرف أنكم كاملون وقادرون على قبوله. لأن كل من يفلح نفسه بهذه الفلاحة، فإن الروح يُعطى له في كل جيل وإلى الأبد—وأعرف أناساً قبلوه، ولما لم يكملوا هذه الفلاحة، لم يثبت فيهم].

(الرسالة الثامنة—ص ٥٠، ٥١).

(ز) إن وجود الروح القدس في النفس لا يمنح حصول التجارب والأحزان والضيقات المتنوعة، بحسد الشيطان، بل إن الروح القدس يستخدمها لمصلحة النفس، وتنمية إيمانها، وترسيخها في المحبة. لذلك يندرنا الآباء بشدة، أن لا نرفض التجارب، أو نمحزن لمقاومة الشيطان لنا، بل بالحري نزداد عناداً وثباتاً ورجاءً، حتى يفرح بنا الروح القدس، ويحارب عنا، ثم يُدخلنا الراحة الأخيرة.

يقول أبنا مقار:

[إن قوة نعمة الله في الإنسان وموهبة الروح القدس التي تُحسب النفس الأمانة أهلاً لقبولها، يتبعها جهاد عظيم، وصبر كثير، وطول أناة، وتجارب، وبلايا، تُمتحن بها إرادة الإنسان بأصناف الشدائد كلها، فإن لم تمحزن الروح

في أي أمر، بل تكون موافقة للنعمة في تكميل الوصايا، فإنها تُحسب أهلاً أن تُطلق من شدائدنا، وتنال على تبنى الروح، مع ما قيل عنه من سر الغنى الروحي، والحكمة التي ليست من هذا العالم، وهذه جميعها يشترك فيها المسيحيون العائشون بالحق].

(العظة التاسعة—ص ٦٧، ٦٨).

[إن حرية الإرادة التي في قدرة الإنسان محصورة ومحدودة في مقاومة الشيطان فقط، وليس لها قدرة السيطرة على الشهوات مطلقاً، لأن داود النبي يقول: «إن لم يبني الرب البيت فباطلاً يتعب البناؤون، وإن لم يحرس الرب المدينة فباطلاً يسهر الحارسون» (مز ١٢٧: ١). لأنه لا يمكن لأحد أن يمسي على الحية ويدوس الأسد والتنين، إلا إذا جاهد أولاً في تطهير نفسه، ثم نال قوة من القائل: «ها أنا أعطيتكم سلطاناً لتدوسوا الحيات والعقارب وكل قوة العدو» (لو ١٠: ١٩). لأنه لو كانت الطبيعة البشرية قادرة على أن تقاوم مخائلة الشيطان بدون سلاح الروح القدس الكامل، ما كان الرسول بولس قد قال: «والله السلام سيسحق الشيطان تحت أقدامكم سريعاً» (رو ١٦: ٢٠)، وأيضاً: «يبيده الرب بروح فمه» (٢ تس ٢: ٨). ولهذا أمرنا المسيح أن نطلب من الله: «لا تدخلنا التجارب لكن نجنا من الشرير»، فإن لم يكن لنا عون آخر عال نخلص به من سهام الخبيث المتوقدة ونُدعى به للبنوة، فكل سيرتنا لن تجدي نفعاً].

(العظة ٢٥—ص ١٨١).

[النفس إذا كان لها إقامة في شركة الروح القدس، فإن طول إقامتها في نار الروح ونوره الإلهي يحصنها ضد أية مضرة من أي روح شرير، لأنه إذا اقترب من النفس فإنه يحترق بنار الروح السمائي].

(العظة ٣٠—ص ٢٣٣).

[ومتى صار قلب الإنسان وكأنه قد ذبل (بالتجارب)، وكاد يعثر في كل تجارب العدو، حينئذ يرسل الله، محب البشر والمعني بخليقته، قوة مقدسة،

و يثبتته ، و يُخضع قلبه ونفسه وجسده وكل أعضائه إلى نير البارقليط . لأنه هو قد قال : « احملوا نيري عليكم وتعلموا مني لأني وديع ومتواضع القلب » (متى ١١ : ٢٩) .

[ومتى تَجرب بكل أنواع (التجارب) ، فإن الروح القدس يبدأ يعلن له الأشياء السماوية (١) ، أي كل ما يعود بالإستحقاق والعدل على القديسين ، وعلى كل الذين وضعوا رجاءهم في رحمته] .

(الرسالة إلى أولاده : ١١ ، ١٣) .

ويقول أبنا أنطونيوس :

[فإذا دامت النفس على الصبر والإستماع الحسن للروح القدس الذي يجتذبها للتوبة ، فإن الله يتراءى على تعبها وأتعاب الجسد ، التي هي كثرة الصوم ، والسهر ، والهذيد في الكتب المقدسة ، والصلاة بغير فتور ، والخدمة لجميع الناس ، بقلب طاهر ومسكنة روح ، وهكذا ينجيها الرب من جميع التجارب ويخلصها برحمته] .

(الرسالة الأولى — ص ١٦) .

[وتشبه النفس ، التي تسكنها نار الله وحرارة الأعمال الصالحة التي اشتعلت بها قلوبهم — تشبه طيراً ذا جناحين يطير بها مرتفعاً في السماء ... ، فأجنحة النفس المتعبدة لله هي قوة نار الله التي تطير بها النفس إلى العلا ، فإذا عدمت هذه النار ، لا يصير لها استطاعة للإرتفاع كالطير الذي تُزع جناحه !! ...

فلا تدعوا قوة هذه النار تُزع منكم ، لأن حروباً كثيرة كائنة لكم من الشيطان لأجل هذه النار المعطاة لكم من الرب لكي ينزعها منكم ، لأنه يعلم أنه لا قوة له عليكم ، ما دامت نار الله فيكم ... لهذا يقاوم بشدة النفوس المتعبدة لله عبادة حسنة ، بأوجاع كثيرة ، يلقبها في النفس ليطفئ هذه النار التي هي قوام كل فضيلة ؛ فإذا انقلب الشيطان وارثد خائباً ، فإن روح الله يسكن فيهم ، وإذا سكن الروح القدس فيهم ، يريحهم من جميع أعمالهم (جهاداتهم ضد

(١) لذلك يسميه الآباء روح الإستعلانات .

الخطيئة)، ويجعل نير الله حلواً لديهم جداً، ويجعل فرح الله فيهم نهاراً وليلاً،
ويربي عقولهم ويغذيها!!

ولأجل محبة ربنا للبشر، يطلق على محبيه تجارب مضادة، حتى لا يتعظم
قلوبهم، بل يشبتوا في الجهاد، وحينئذ يصير بدل القوة ثقل وضعف، وعوض
الفرح حزن، وعوض الراحة والهدوء قلق، وعوض الخلاوة مرارة. وبكثير مثل
هذه بصاب مُحِبِّ الله، فإذا تقوى في الجهاد وغلب، فإن روح الله يكون
معه في كل شيء ويقويه!!].

(الرسالة الثامنة عشر - ص ١٠٥، ١١٢).

[لأن التجارب لا تأتي بقوة إلا على الذين قد قبلوا الروح القدس،
لأنهم، عند قبولهم الروح، تأتي عليهم التجارب من الشيطان، لكون الروح
القدس يطلقها عليهم، لأن الشيطان ليس له سلطان أن يغصب أحداً من
المؤمنين إلا أن يُعطى ذلك من جهة الروح القدس].

(الرسالة التاسعة عشر - ص ١١٤، ١١٥).



ثالثاً: الروح القدس يختم النفس بخاتم العهد ويعطيها ميثاق الروح

وهكذا بعد أن يجتاز الروح القدس بالنفس كل الإختبارات اللازمة لخلاصها،
وتحتمل التجربة بصبر وطول أناة، يزكّيها الروح القدس ويملاها من خمره الجديدة،
ويضع على رأسها إكليل البر، فتحس النفس بنهايتها السعيدة، كما أحس بولس
الرسول، وتشهد الشهادة الأخيرة الحسنة، فلا تكف عن التسبيح والترتيل والشكر.

يقول أبنا مقار:

[كذلك النفس التي تستنير بحسن المجد الذي لا يوصف، حسن مجد النور الذي
لوجه المسيح، وتشتترك في الروح القدس بالكمال، وتُحسب أهلاً لتكون
مسكناً لله وكرسياً له، حيث تصير كلها عيناً وكلها نوراً وكلها وجهاً وكلها
مجداً وكلها روحاً، والمسيح نفسه قائدها وسائقها وحاملها وساندها، ويد
الإنسان (المسيح) من تحت الكاروب يقودها بزمام الروح ويهدها في
الطريق].

(العظة الأولى—ص ٨).

[كذلك النفوس المقدسة، تنقاد وتتهدي في طريقها بروح المسيح، إذ
يرشدها إلى حيث يشاء، فإن شاء أقامت في التأملات السماوية، وإن شاء
لبثت في الجسد (الأعمال)، وإن شاء لازمته في خدمته. لأنه كما أن أجنحة
الطائر هي له بمنزلة الرجلين، كذلك نور الروح السماوي، فهو يتخذ من الأفكار
المناسبة أجنحة للنفس، ويهدي الطريق أمامها، ويوجهها حيث يستحسن
هو].

(العظة الأولى—ص ١٤).

[ريح الروح القدس الذي ينسم على عرس، وينعش الذين هم في النور الإلهي، وينفذ في جوهر النفس كله، وأهكارنا، وكذلك بروح ويرطب أعضاء الجسد براحة إلهية لا توصف].

(العظة الثانية—ص ٢١).

[أما طرائق عمل الروح القدس في النفس فهو تارة يعطيها أن تفرح فرحاً لا يوصف، وتارة يجعلها كعروس تنعم بألفة عريسها بملذات إلهية، وتارة يجعلها تكون كالملائكة بالخفة غير منحصرة بالأمر الأرضية، وتارة يجعلها تسكر بالروح بالأسرار الإلهية، وأحياناً تصير حاملة لهموم كل جنس البشر، تندم عنهم، وتتشفع في ذرية آدم، حيث يلهب فيها الحب من جهة الطبيعة البشرية، فتنوح وتولول عليها، وأحياناً يتقد فيها فرح الروح لمحبة الإنسان، دون أن تفرق بين الجيد والردىء، وأحياناً تتضع جداً بالروح، لتعيش تحت كل شخص، حاسبة نفسها أقل وأدناً الكل. وأحياناً تحارب بأسلحة الروح، كبطل يهجم على أعدائه، ويقاثلهم بجمرة و يظفر بهم، وأحياناً تستريح النفس، وتصير في هدوء عظيم وسكون وصمت، منهيمة بملذات روحانية، وأحياناً تعلمها النعمة بفهم وحكمة لا توصف، بمعرفة الروح الفائقة].

[وهكذا، ليس لفاعلية الروح القدس في النفس انقطاع، بل من فعل إلى فعل، حتى تصل النفس إلى كمال الروح، ويتم تطهيرها من أهوائها الفاسدة، وتتحد بالروح المعزي بألفة لا توصف، وتختلط بالروح تماماً، وتُحسب النفس أهلاً لأن تصير روحانية في ذاتها بهذا الإختلاط].

(العظة ١٨—ص ١٥٦، ١٥٧).

[التنفس التي لا يكون مطبوعاً عليها صورة الروح القدس السمائي بالنور الذي لا يوصف^(١)، فإنها لا تليق بالأجساد السماوية، لأن الذي دُعي إلى الولاية وليس عليه لباس العرس طرد خارجاً، لأنه لم يكن حاملاً للصورة

(١) ويُرمز إليها بالهالة النيرة التي تُرسم حول رأس القديس.

السماوية، لأن هذه هي علامة الرب وختمه المختوم على النفس - أي الروح القدس بنوره غير الموصوف].

(العظة ٣٠ - ص ٢٣٢).

[قد أتى ربنا يسوع المسيح ليحوّل ويجدد ويخلق ثانية النفس التي انعكست بالشهوات الدنيئة والمعصية، بحيث أنه يمزجها بروحه الإلهي، ليصنع لها عقلاً جديداً، وعيوناً جديدة، وآذاناً جديدة، ولساناً جديداً روحانياً، وبالإختصار يصير المؤمنون به بشراً جديداً، وإناءً جديداً، بعد أن يمسخهم بنوره، ليصب فيهم من الخمر الجديدة، أي روحه القدوس، كما قال إن الخمر الجديدة توضع في زقاق جديدة (مت ٩: ١٧)].

(العظة ٣٧ - ص ٢٨٠).

[والروح القدس يعين هؤلاء، و يصونهم، و يرشد أنفسهم إرشاداً محسوساً به. كذلك فإن الروح القدس يلهم القديسين والأشخاص الموشحين به التسبيح، والترنيل، والصلاة لله بنقاوة قلب].

(العظة ٤٧ - ص ٣٠٠، ٣٠٢).

[ومتى صار قلب الإنسان وكأنه قد ذبل (بالتجارب)، وكاد يعثر في كل تجارب العدو، حينئذ يرسل الله، محب البشر والمعني بخلقته، قوة مقدسة، ويثبته، ويُخضع قلبه ونفسه وجسده وكل أعضائه إلى نير البارقليط، لأنه هو قد قال: «احملوا نيري عليكم وتعلموا مني لأني وديع ومنواضع القلب» (مت ١١: ٢٩)].

(الرسالة إلى أولاده: ١١).

[ومتى تجرب بكل أنواع (التجارب)، فإن الروح القدس يبدأ يعلن له الأشياء السماوية، أي كل ما يعود بالإستحقاق والعدل على القديسين، وعلى الذين وضعوا رجاءهم في رحمته].

(الرسالة إلى أولاده: ١٣).

[وبعد هذا كله يقطع البارقليط عهداً مع نقاوة قلبه وثبات نفسه وقداسته

جسده وتواضع روحه، فيجعله يتجاوز كل الخليفة. ويعمل فيه الروح القدس، بحيث أن فمه لا يتكلم بأعمال الناس، ويرى المستقيم بعينيه، ويضع حارساً لفمه، ويرسم طريقاً مستقيماً لخطواته، ويقتني برّيديه، والمثابرة في الصلاة مع تعب الجسد والسهر المتكرر. هذه الأشياء يرتبها البارقليط فيه بقياس إفراز، وليس بتشويش، بل بهدوء].
(الرسالة إلى أولاده: ١٤).

ويقول أنبا أنطونيوس:

[اعلموا يا أولادي الأحباء بالرب، أن الروح القدس أزلي سرمدني، يفوح رائحة زكية حلوة، لا توصف بلسان، كما قيل. من هم الذين عرفوا لذة الروح وحلاوته، إلا الذين استحقوا أن يحل فيهم. وهذا معلوم أن كثيرين لم يستحقوه، لأن روح التوبة لا يسكن في نفوس التائبين إلا بعد أتعاب كثيرة جداً. فإذا سكن فيها، يسلمها الروح القدس، ويحل فيها].
[وأيضاً الروح القدس لا يسكن في نفس منكبرة، بل في أنفس المتواضعين، الذين أفكارهم جميعها في الكمال. فإذا سكن في هؤلاء هذا الروح، فإنهم يرسلون للرب شكراً عظيماً وتمجيداً أكثر، لأنهم استحقوا حلول الروح القدس فيهم].

(الرسالة التاسعة عشر—ص ١١٢، ١١٣).



الفصل الثاني

الروح القدس في تعاليم مار إسحق

إن تعليم مار إسحق في جملته يعتبر امتداداً لتعليم القديسين الذين سبقوه، حيث يقرر ذلك في كتاباته النسكية التي تركها، معتبراً نفسه تلميذاً لمن سبقوه، وبالأكثر للقديس أنبا مقار الكبير. وهو يذكر أنه يستقي معرفته بتدقيق من كتاب أنبا مقار الذي كان بين يديه (وهو مفقود الآن).

ومار إسحق يُعتبر من القديسين القلائل الذين تركوا لنا منهجاً متكاملًا في الحياة النسكية. وقد خصَّ الروح القدس وعمله داخل النفس بجزء كبير من تعاليمه وإرشاداته، التي ضمَّنها كتبه الأربعة المعروفة. ونحن نقدمها مع تعليقات بسيطة قبل كل قول، عسى أن تجد منفذاً لقلب القارئ، فتحرك نفسه لإقتبال هذه النعمة الفائقة القدر.

(١) الصلاة وعمل الروح القدس

جزء أول - مير أول

(أ) الصلاة ومعونة الروح - «النعمة هي الملكوت»:

+ الصلاة إذا كانت بدافع الحب الإلهي تشجع الضمير وتلبس العقل قوة، ومنها يتكون الرجاء الذي يلهب الضمير، ويجعل المجاهدين يصبرون على كل الضيقات وكل شرور الأرض، ويستهيون بها إزاء الخيرات الموعود بها. وعلى هذا المنوال تظل النعمة وقوة الروح تشجع الضمير من وقت إلى وقت، ويراهما كما في مرآة.

+ والصلاة الكاملة تنير الطريق الضيق الصاعد فوق هذا العالم وترفع النفس نحو السماء. وبالصلاة تنحدر (تنسكب) النعمة، هذه التي تسمى الملكوت.

+ والإحساس بالنعمة يجعل الإنسان ينسى كل ما على الأرض ، حيث يتأكد الإنسان أن القوة هي من الله ، وبينما الإنسان على الأرض ، تكون سيرته في السماويات . ومحس الإنسان أن له مقرباً ومعيناً سمائياً غير منظور يعضده في كل وقت و يرفع الإنسان فوق طبيعته .

جزء أول - ميمر ثان

(ب) المجاهدة في الصلاة بتغصب والحصول على النعمة ومعونة الروح القدس :
+ إغصب نفسك قليلاً ، وأنت تجد نعمة عند الله .

لأنك بقدر ما تغصب ذاتك في الصلاة ، تقرب منك المعونة الإلهية ، وتأخذ قوة من الروح القدس الخفي .

(ج) تكريم الصلاة وتوقيرها يؤهل للحصول على النعمة وعلى عمل الروح القدس :

+ بقدر الكرامة التي يقدمها الإنسان لله في الصلاة بحركات الجسد وبالضمير معاً ، تأتيه نقاوة الحركات وإستضاءة ، ويؤهل لنعمة كثيرة من العلاء بتدبير الله .

+ الإهتمام بوقار الصلاة ورفع اليدين ووقوف متعطف وسجود منسحق ، هذه تعتبر زي الصلاة الحسن ، وبقدر ما يزين (الإنسان) نفسه بهذا الزي ، فإنه يؤهل سريعاً لعمل الروح القدس .

+ إذا لم نوافق الأفكار والمناظر التي تتشكل في فكرنا وقت الصلاة وقاتلناها (بنشاط) ، فإن النعمة تؤازرنا .

٢ - الجهاد وعمل الروح القدس

جزء أول - ميمر ثان

+ لا تصدق يا أخي أنه بدون جهاد الأعمال يمكن أن ينعتق الإنسان من الآلام (الشهوات المريضة) أو يشرق عليه نور النعمة . لأننا رأينا أنه لا تُعطى المواهب إلا لأشخاص محبين للجهاد (عمالين) قد تعرّوا من الإنسان العتيق .

٣ - جهاد الفضيلة يؤهل لفعل الروح القدس

جزء أول - ميمر ثالث

+ فضيلتان تؤهلان الإنسان لموهبتين :

الصلاة بغير فتور ولا طيامة، مع هدم لح أفكار الشهوات (الآلام) ومجاذبات الشياطين حال ما تظهر في الفكر أو يحس بها القلب . هاتان الفضيلتان تلدان وتمنحان موهبتين إلهيتين، تشملان جميع مواهب الروح الأخرى، ويعتبرهما الأب إشعياء (الإسقيطي) أنهما تفوقان كافة الفضائل لأنها أرفع منها جميعاً . هاتان الموهبتان هما :

الأولى : حركة روحانية داخل النفس تنأجج بنار الروح القدس لحب الله الكامل .

والثانية : رؤية نور مجد المسيح . « بنورك نعاين النور » (مز ٣٦ : ٩) .

٤ - الجهاد ضد الأفكار الشريرة وعمل الروح القدس

+ إذا تجلد المتوحد وثبت في السكون ولم يرتج في الجهاد، يبتدىء بجد الراحة قليلاً قليلاً وتعينه النعمة على الدوام، وتطرد الشياطين من أمامه بفعل ومشورة الروح القدس « اللاصق به » .

٥ - الجهاد بالأعمال الجسدية وعمل الروح القدس

جزء أول - ميمر رابع

+ كما أنه لا يستطيع إنسان أن يشعل النار المادية المنظورة من دون نوع من أنواع الوقيد، هكذا من دون العمل المحسوس بالجسد لا يؤهل الإنسان لنار النعمة الإلهية في قلبه، ولا يمكن أن يفتني حرارة الحب الإلهي ومعرفة الله .

٦ - احتمال الضيقات وعمل الروح القدس

+ الذي يشقى ذاته من أجل الله ويجاهد وهو خائف من الخطية يستحق أن يرى عجائب الله . لأن المتضايق من أجل الله يحمله الله على كفه أيما كان .

ولا يدنو منه شربنوع التجربة إلا لكي يُظهر الله عنايته به!!، كما يقول القديس باسيليوس: [من ذا الذي نال روح الله بالإتساع وكثرة المآكل؟!] .

٧ - احتقار أباطيل العالم ومحبة الآخرين يلازمها الروح القدس + كلما يهان العالم عندك، تزداد فيك المحبة نحو الآخرين، ويلازم هذا نعمة الروح القدس .

وكلما ازداد فيك التمسك بالعالم، نقصت فيك محبة القريب .

٨ - من احتمال التجارب، يوهل الإنسان لعناية الروح القدس + من يقرع باب الكتب بحكمة، باب الفضيلة يفتح أمامه، ومن يدخل باب الفضيلة، باب التجارب يفتح عليه .

من يدخل باب التجارب من أجل الله، تحيط به عناية الله وتلتصق به الملائكة . ومن يصبر على المجاذبات التي تصادفه في هذا الباب، يوهل لعناية الروح القدس .

٩ - الإلتضاع يحرك الروح القدس

+ إذا لم ينضع الإنسان لا تقترب منه المعونة الإلهية . لأن نعمة الله قائمة عن بُعد تراقب الإنسان على الدوام خصوصاً وقت الصلاة . فإذا تحرك فيه فكر اتضاع تقترب منه النعمة في الحال ومعها ربوات من المعونات . وهذه تُمنح وقت الصلاة أكثر من بقية الأوقات .

١٠ - السؤال بالليل والنهار بدموع يوهل لعطية الروح القدس + الذي يتمف أمام الله بالليل وبالنهار يسأل الله غفران خطاياها بدموع وحزن، يجود عليه بقوة بالروح القدس لكي يكمل في محبته ويحفظ وصاياها .

حتى وإذا لم يكن قد استحق بعد لدموع النعمة، وحتى ولو امتنعت عليه دموع ندم النفس، فإن حزن قلبه وتندامة ضميره تقوم له بدل الدموع، ولكن على أن لا يهدأ من الصلاة والظنبة .

١١ - ترتيب المزامير والإمتلاء من الروح القدس

جزء أول - ميمر سادس

+ الذي يداوم ترتيب المزامير، بدون طياشة، يمتلىء من الروح القدس.

١٢ - الصلاة بحرارة الروح

تحرق الشهوات والأفكار

+ حرارة الصلاة واهذيب بالله تحرق الآلام (الشهوات المريضة)، والأفكار الشريرة كما بنار إلهية.

١٣ - الثبوت الدائم في الصلاة والروح القدس

جزء أول - ميمر سابع

+ إثبت في الصلاة أكثر من أي خدمة أخرى، لتنال دالة...، ومعونة من النعمة، وقوة إلهية تحمل عليك.

١٤ - إذا كثرت النعمة تزداد جرأة الإيمان

جزء ثاني - ميمر أول

+ إذا كثرت النعمة في الإنسان، أحب البر والتقوى، وهان عليه الموت في سبيلها، ولا يعود يبالي بمؤذيات الجسد، مهما بلغت، لأنه يقيسها مقابل الراحة المزمعة.

١٥ - سُكنى الروح القدس والتعزية بالتجارب

جزء ثاني - ميمر رابع

+ إذا سكن الروح القدس النفس، فإنه لا يعزبها بالإسترخاء والراحة؛ بل بالتعب والضيق الدائمة، يعلمها وينشطها ويحكمها للمعرفة، لأن إرادة الروح القدس أن يكمل بالآلام والأتعاب تدبير محببه، أما الذين يسعون وراء حياة الراحة، فهؤلاء ليس روح الله يسكن فيهم بل روح الشيطان، هوذا بولس الرسول يفتخر أنه كان يموت كل يوم. وهذا الأمر هو الذي يفرز ويفصل ما بين بني الله وبني العالم، فبنو الله بالأتعاب يعيشون أما بنو العالم فيالراحة والتنعيم.

١٦ - القراءة المستنيرة تؤهل لعمل الروح القدس

جزء ثاني - ميمر خامس

المبتدئون في السيرة الروحانية إذا كان قصدهم مستقيماً، فإنهم إذا ابتدأوا بالقراءة فإن النعمة تبتدىء بعمل معهم .

١٧ - الروح القدس يعمل في الصلاة الحارة النقية

جزء ثاني - ميمر سادس

+ ليس هناك وقت أقرب وأوفق لعمل الروح القدس من وقت الصلاة، لأن فيها يتكلم الإنسان مع الله، وفي هذا الوقت حيث التضرع والطلب تكون حركة النفس والفكر مُنجمعة إلى الله شاخصة فيه، فيبتلع الضمير بالكلام مع الله . في هذا الوقت يبتدىء الروح القدس يجود على النفس، بمعرفة، حسب درجة الإنسان .

١٨ - الروح القدس البارقليط وقوة الإيمان المعزي

جزء ثاني - ميمر ثامن

+ الإيمان هو نور يشرق داخل النفس، بعمل النعمة، وبشهادة الضمير يستند القلب، فيثق بالرجاء بيقين، بدون انقسام أو أي ظن، وليس من التقليد أو سماع الأذن . والقديسون بقوة الإيمان يتدبرون بتنعم... وقوة هذا الإيمان التي تحل عليهم في كل وقت وكل مكان هي من البارقليط . وهذه القوة - أي البارقليط - تشتعل كل النفس كما من حرارة النار، وتجسر على الأشياء الخطرة بثقتها بالله واتكائها عليه .

١٩ - عمل الروح القدس المفاجيء

جزء ثاني - ميمر تاسع

+ إن النعمة قد تفتقد الإنسان «بغته»، فتفيض أحياناً الدموع من عينيه بغير توقف، أو يمتلىء من حزن توبة حاد يتحرك في القلب، أو فرح بغير سبب واضح، أو بلذة السجود الكثير (المطانيات).

٢٠ - الروح القدس وحزن التوبة

جزء ثاني - باب مشورات مفيدة

+ لا نظن أنه من دون النعمة الإلهية يمكن أن يقع حزن التوبة في القلب، لأنها موهبة يقبلها الإنسان خفياً برحمة الله للإنجذاب إلى الحياة.

٢١ - تبادل مستمر بين عزاء الروح القدس وبين التخلية والأحزان والفتالات

باب مشورات مفيدة

+ هذا الأمر كتب عنه القديس أبنا مقاربينايا كثيرة واهتمام، لتذكرة الإخوة وتعليمهم، لثلا يسقطوا في قطع الرجاء وقت انقلاب العزاء إلى الضد.

قال أبنا مقاربينايا:

[التقلب يحدث لكل إنسان كتقلب الرياح، في وقت برد وبعد قليل حرارة. وهذا إنما يكون لتدرجنا في الطريق وتدريبنا: وقت قتال ووقت معونة من النعمة، وقت تدخل النفس في ألم مفسد وتتوالب عليها أمواج صعبة؛ ثم يحدث التغيير وتفتقد النعمة، فتملأ القلب فرحاً وسلاماً من الله وأفكاراً عفيفة صالحة - وهنا يشير القديس أبنا مقاربينايا بقوله: «أفكار عفيفة صالحة» إلى أن ما قبلها كانت بالضرورة أفكاراً وحشية نجسة - (التعقيب هنا لما إسحق). ثم إذا تواترت هكذا العوارض من صالح إلى ما هو ضده لا تضعف وتقصّر وتقطع الرجاء. كما أن في وقت افتقاد النعمة لا تفتخر بل بالحري في وقت الفرح انتظر الضيقة - وقول القديس أبنا مقاربينايا: «لا تقصر وتقطع الرجاء وقت تواتر الضيقة» ليس معناه أن نقعد ولا نحارب قبالة الضيقة - (التعقيب هنا لما إسحق). أما الذي يتخلف عن هذا فهو يكون من نصيب الذئاب] .

إنتهت رسالة أبنا مقاربينايا.

ويستمر تعقيب مار إسحق هكذا:

+ يا للمعجب من هذا القديس أبنا مقاربينايا - كيف بكلمة صغيرة حصر هذا

الفصل الكثير المفهومات والمعاني، فاستطاع أن يطرد الشك بالتنام من فكر القاريء عندما قال: «المتخلف عن هذا هو من نصيب الذئاب»، و يقصد بذلك الذي يريد أن يسلك وحده في طريق لم يسر فيها الآباء القديسون. + وفي موضع آخر يقول القديس أنبا مقار: [إذا دنت منا الملائكة القديسون، فإنهم يملأوننا من الرؤية الروحانية، ويهرب من أمامنا جميع المقاومين، ويكون لنا عندئذ هدوء وسلام لا ينطق بهما].

٢٢ - التوبة والروح القدس

الجزء الثاني - روح التوبة

+ التوبة إذا سكنت في القلب تعلم الإنسان اتضاع النفس والإزدراء بالذات، وهذان هما حصن كل الفضائل. كما توحى إليه التوبة بأعمال تفصية كثيرة خفية وظاهرة، تفعل في القلب وتنقيه وتعدّه لقبول الروح القدس.

٢٣ - الروح القدس والإحتراس والتدقيق

الجزء الثاني - روح التوبة

+ أنا أشير عليك أيها الشائب المتضع لأجل الحب، إن كنت قد ظفرت بالرحمة وتنقيت بالتوبة وبدأت تؤهل لأفعال الروح القدس، احترس أن لا تسب حواسك، واحفظ قلبك ونسك بطنك، واحرص على الوداعة التي فيك، وبالأكثر احفظ لسانك، وتضرّع بدموع كثيرة أن يحفظك المسيح خفياً وظاهراً، ورتل مع داود النبي «روحك القدوس يارب لا تنزعه مني» (مز ٥١: ١١).

٢٤ - إمكانية السقوط بعد نيل النعمة

الجزء الثاني - روح التوبة

+ حتى ولو أن القلب يتقدس بحلول الروح القدس ويؤهل لإستعلان أسرار المعرفة، إذا الإنسان بدأ يستعمل الإنحلال وعدم الإحتراس، ويتهاون في التدبير، ويميل إلى الشبع، ويرجع إلى قيئه الأول، فإن القلب يظلم بالتخلية، ويخيب من النور والحياة والنعمة.

٢٥ - الروح القدس والإتكال على ذراع البشر

الجزء الثاني - في ترتيب السكون

+ لا تتكل على إنسان، لئلا تخيب من النعمة.

٢٦ - الروح القدس والجهاد ضد الخطايا

الجزء الثاني - في ترتيب السكون

+ الإنسان الذي يحارب قبالة الآلام (الشهوات المريضة) بحسب الوصايا لكي يقطعها من القلب، فإن النعمة لا تهدأ من مساعدته خفياً.

٢٧ - الروح القدس والصوم

الجزء الثالث - الباب الرابع

+ الصوم واسطة بين الناموس القديم والنعمة المجانية الموهوبة لنا من المسيح تعالى، ومن يتهاون بالصوم يتراخى ويضعف عن بقية الجهادات. وبدل النصره يضع نفسه في خطر قبالة الإنهزام في الحروب، لأنه بدون الصوم يكون قد وفد إلى الجهاد عارياً من السلاح (الصوم)، لأن الصوم هو درع الأعضاء، والجوع هو سلاح الحفظ، الذي يجعل الفكر رصيناً ثابتاً عند مصادمة الآلام الصعبة والضوائق المحزنة!!

٢٨ - الروح القدس والصلاة الدائمة

الجزء الثالث - الباب الرابع

+ إذا أقل الإنسان للصلاة الدائمة فهو يكون قد بلغ إلى كمال السيرة، لأن الروح القدس يكون ساكناً فيه، لأنه إذا لم يقبل الإنسان موهبة البارقليط على التحقيق، لا يمكنه أن يصلي على الدوام براحة، لأن الروح القدس إذا سكن في إنسان، فإنه لا يفتر عن الصلاة، لأن الروح فيه يصلي على الدوام، فإن كان مستيقظاً أو نائماً لا تنقطع الصلاة من نفسه.

٢٩ - الروح القدس والصلاة الروحانية

الجزء الثالث - الباب الرابع

+ الصلاة الروحانية هي حركة النفس الداخلية، عندما تكون في شركة مع الروح القدس؛ حيث ترتفع النفس فوق طبيعتها وتتخلف عن الشعور بالأمر الحاضرة.

٣٠ - الروح القدس ومعونة البسطاء المتكلين على الله

الجزء الثالث - الباب السادس

+ نعمة الله تحمل الناس ذوي الطهارة والبساطة، الذين ألقوا مقاليدهم في يد الله ونبذوا العالم من كل قلوبهم وساروا وراءه حسب وعده. فتصرّح أنت إلى الله، وإليك تجاه نعمته، ونُح، واشقّ الليل والنهار أمامه، إلى أن يُنفذ لك معونة نعمته.

٣١ - الروح القدس والسقوط في البرودة والثقل

الجزء الثالث - الباب الرابع عشر

+ أنا أتصرّح إليك بمحبة إذا أنت تجرّبت بهذه الأمور (البرودة وثقل الأعضاء)، التي يطلقها الله على الإنسان ليمتحنه ويختبره بها، انهض حالاً بجمرة وغيرة، وانفض عنك (التهاون والكسل)، واغضب نفسك قليلاً، فإن النعمة تدنومك كما كانت أولاً، وتأتيك قوة أخرى مُحقّ في أنواع كثيرة من المعونات، وحينئذ يتعجب الإنسان من مثل هذا التغيير و يتفلسف.

٣٢ - الروح القدس والتجارب

الجزء الثالث - الباب الرابع عشر

+ إن البارّي، سبحانه، قد رأى بحكمته أن تكون النعم بمقدار الحزن!! فلا يمكن أن تأتي موهبة عظيمة وتسبقها تجربة ضعيفة!! والعزاء على مقدار الحزن!!

لأن هذه وتلك مرتبة بمقدار بعضها على البعض.

تأتي التجربة، وبعد ذلك المواهب والنعم!! أو أن النعمة تأتي أولاً وتعقبها التجربة!!

على أن التجربة لا تأتي إن لم يسبق الله ويرفع منزلة النفس عن مقدارها الأول .
غير أن النعمة لا تتقدم إلى أحد إن لم يسبق ويدق التجارب، وهذه وتلك للتهذيب.

٣٣ - الروح القدس والصبر في الضيقات

الجزء الثالث - الباب الحادي والعشرون

+ كل الضيقات والأحزان التي لا تحملها بصبر، عقابها يتضاعف عليك . وصبر الإنسان يزيل مصائبه، أما صغر النفس فهو أصل العذاب .
الصبر قوة تتولد من سعة القلب، وعسير على الإنسان أن يحصل عليها بدون النعمة الإلهية، التي تتحنن على الإنسان من مواصلة الصلاة والطلبات والدموع الغزيرة . وأيضاً بمقدار اتضاعك ينعم عليك الروح بالصبر في أحزانك؛ وعلى قدر احتمالك يخف عليك ثقل شدائدك ويزداد عزائك؛ ومن كثرة عزائك تزداد محبتك لله؛ وبقدر محبتك تعظم مسرتك بالروح القدس!!

٣٤ - الروح القدس ونعمة العزاء

الجزء الثالث - الباب السابع والعشرون

+ إذا كثر الصبر في نفوسنا، فإنه يكون دليلاً على أننا قبلنا نعمة العزاء في الخفاء = (أي البارقليط، أي المعزي).

٣٥ - الروح القدس والحركة الأولى داخل النفس للخلاص

الجزء الثالث - الباب الثامن والعشرون

+ إن الحركة الأولى الحائلة في الإنسان من قبل محبة الله للبشر، عملها هو أن ترشد النفس إلى الخلاص، وهي تأتي في القلب حتى قبل أن تتغير طبيعته (العتيقة)، ويتبع هذه الحركة تهاون بالعالم، وتتبع منها جميع الحركات الصالحة المؤدية إلى الحياة.

٣٦ - الروح القدس وسكنى النعمة في القلب

الجزء الثالث - الباب الثامن والعشرون

+ النعمة لا تأتي دفعة واحدة وتسكن بالكمال في النفس ، بل قليلاً قليلاً ، لأنه لا بد أن يكون وقت للتجربة ووقت للعزاء . ولا يزال هذا يلازمنا إلى وقت الخروج من العالم .

٣٧ - الروح القدس ومذمة الناس

الجزء الثالث - الباب الحادي والثلاثون

+ الإنسان الذي يطلق لسانه على كل الناس بالجبد والردية ، لا يؤهل لنعمة الله .

٣٨ - الروح القدس ورفع النعمة بفته

الجزء الرابع - في أنواع الأفكار

+ الإنسان الذي يلومه ضميره ثم يسوّف ويدوس على ضميره بلا تقويم ، وبعد هذا تظل عناية الله تنبهه للتوبة ولا تكف عن تأديبه ؛ في وقت تقمعه وفي وقت تكرمه ؛ وفي وقت ترذله وتخزئه بالعوارض والأمراض والخسارات ، ثم تجذبه بالرحمة للتقويم - وبالرغم من ذلك كله يقيم هو مزدرياً متهاوناً بطلاً لا يتحرك لنخس النية ، ترتفع منه النعمة بفته .

٣٩ - الروح القدس وضبط الهوى

الجزء الرابع - مشورات نافعة

+ الذي يغلب مشيئة نفسه ويضبط هواه ، هو مجاهد نشيط ، والنعمة تعمل فيه بزيادة .

٤٠ - الروح القدس ومحبة الصلاة

الجزء الرابع - مشورات نافعة

+ الذي خارجاً عن الصلاة يظل ضميره منشغلاً بكلام الله ، يكون قد ربط نفسه بعمل عظيم متضاعف ، والنعمة تعمل فيه بزيادة .

٤١ - الروح القدس والصلاح المفروس في طبيعة النفس

الجزء الرابع - رؤوس معرفة

+ الصلاح موضوع في طبع النفس ، كالنار الموضوعة في طبع الحجر والحديد وهي مفتقرة لمن يحركها . والذي يحركها هو النعمة مع حرص الإنسان واجتهاده (هذا الكلام عجيب جداً وعميق جداً) .

٤٢ - الروح القدس والصلاة بدون كلمات منطوقة

الجزء الرابع - رؤوس معرفة

+ الذبيحة غير الهيولية (غير المادية : أي الروحانية) هي سجود العقل عندما يشخص بالصلاة ، وإنما بدون كلمات منطوقة ، بل بالروح ، حيث العقل يظل مطأطأ رأسه أمام العظمة .

+ توجد صلاة بكلمات منطوقة ، ولكن غير محدودة وغير محفوظة : هذه من فعل الإرادة الصالحة . وتوجد صلاة بكلمات غير منطوقة : هذه من فعل الروح القدس والنعمة والمعونة خفياً .

٤٣ - الروح القدس وتقديس القلب والكلمة

الجزء الرابع - رؤوس معرفة

+ القداسة هي أن الإنسان يتقدس بقوة فعل الروح القدس بالصلاة .
+ وإلى أن يتقدس قلبنا بروح الرب ، لن نقدر أن نفرز الحركات التي من الشيطان ، والتي من الملائكة ، والتي من الطبع ، والتي من تحريك الروح القدس .
+ إلى أن تتقدس كلمتنا بالروح القدس ، لن تكون مخيفة للشياطين ، ولن تخضع لها الطبايع الصامتة أو الناطقة .

+ إلى أن نتطهر من أفعال الخطيئة ، لا يحل في أنفسنا الروح القدس .
+ إلى أن يصفو العقل ، ما يستطيع أن يشترك في فعل الروح القدس .
+ إذا امتزجت قوة الروح القدس بهذيد العقل ، يرتفع العقل إلى قدرة الدهش في الله .

٤٤ - الروح القدس وإمكانية الإحساس به

الجزء الرابع - رؤوس معرفة - مير أول

+ الإحساس بالنعمة عقلياً إنما يبدأ بالإحساس بعمل التوبة عقلياً، (يقصد الإحساس المعقول وليس الإحساس الملموس).

٤٥ - الروح القدس وتقديس هيكل النفس والصلاة الدائمة

الجزء الرابع - رؤوس معرفة - مير أول

+ عمل القديسين بني النور هو عمل ميخائيل وجبرائيل، ومن مائدة واحدة يفتدون، وصلاة القديسين بني النور لا تنقطع لأنه قد تقدّس هيكل نفسهم بالروح.

٤٦ - الروح القدس وذبيحة جسد المسيح

الجزء الرابع - رؤوس معرفة - مير أول

• في الساعة التي يقدم فيها الكاهن ذبيحة جسد المسيح ودمه المحيي، يحل الروح القدس ويمنح الغفران للخليقة. والشاروبيم والسيرافيم والملائكة يقفون بهش عظيم، ويفرحون بالأسرار المقدسة بمعجب لا ينطق به.

٤٧ - الروح القدس والقفز في الطريق الضيق بتسرع

الجزء الرابع - رؤوس معرفة - مير أول

+ ليس لنا أن نبلغ إلى الميناء الهاديء بالوثب، ولا أن نعبّر إلى بلد السلامة بدون صبر على الضوائق والتجارب المختلفة، ومقاساة شرور الشياطين والجهادات والحروب الصعبة حتى الدم؛ ولا يمكن أن نحسّ بالحق بدون النعمة وهداية الأب الروحاني.

+ أما الصبيان بحرارة الوثبات الطبيعية (الطموح الروحي بالنشاط المزيف)، فإنهم بسبب حماسهم المعثر يترأى لهم أنهم بلغوا هدفهم عندما يقرأون سيرة الآباء ويتمثلون بكلامهم أو يسمعون تعليماً يفوق قامتهم. هؤلاء تمقتهم النعمة وتحكم عليهم أن يصبروا ولا يقفزوا في الهواء ظانين أنهم يعملون العظام، وتحكم عليهم أن يعملوا في الكرم بهدوء حتى زمان الراحة الحقيقية. فإذا تجاسروا بزيادة، تنغلي عنهم النعمة

فيقعوا في ربوات التجارب، و ينمحقوا بالآلام الجسد، وتغشاهم ظلمة النفس،
وتستهزىء بهم الشياطين.

٤٨ - الروح القدس وعمله بعد المعمودية

الجزء الرابع - رؤوس معرفة - ميمرثان

+ الذي قد وُلد روحياً من العماد المقدس وتعلمد للتدبير الملائكي، ينبغي له أن يعمل
ويجاهد مقابل الآلام، ويسأل نعمة الله أن يولد للطهارة، ويؤهل إلى ما هو فوق
الطبع بسر استعلان الروح القدس، لكي يقبل عربون مجد كرز البنوة.
+ نحن نأخذ الروح القدس بعد العماد كالعربون لإبطال الخطية، ونبيل قوة
نقاتل بها قبالة الآلام والشيطان، فإذا تأكلنا لنقاوة القلب بالجهاد مقابل الآلام
(الشهوات المريضة)، فإن الروح القدس يزيد لنا قوة منه لكي نستطيع أن نكون
فوق الطبع، وأن نقبل مجد الرب باستعلان نوره غير المنطوق به.
+ هذه القوة - قوة الروح القدس - كملت كل الأبرار والقديسين في أجيالهم.
هذا هو الروح القدس الذي دُعي من ربنا روح البارقليط، ودُعي من بولس
الرسول مكمل القديسين، واصطلاح الآباء على تسميته روح الإستعلانات.

٤٩ - الروح القدس يقرع ولا يستطيع الدخول

الجزء الرابع - رؤوس معرفة - ميمرثان

+ ما دامت الشهوات (الآلام) ثابتة في القلب، والنفس تميل إليها وتتنازل
معها، فإن الروح القدس لن يجد له راحة داخل تلك النفس، يقرع ولا يستطيع
العبور للداخل، غير أنه يصبر ويثابر على قرع باب القلب كطبيعة محبته.

٥٠ - الروح القدس ودعوة الخطاة

الجزء الرابع - رؤوس معرفة - ميمرثان

+ إفهم هذا أيضاً، أنه حتى العشارون والزناة لا تهدأ النعمة من أن تدعوهم
وتوقفظهم وتجذبهم للتوبة، وتذيقهم طعم الحياة، وتصيدهم بصنارة روحانية للحياة
الأبدية.

كلمة في الختام

لم نشأ أن نبوّب أقوال مار إسحق ، لأنها بوضعها الحالي تتناسب في تدرجها مع كل قارئ ، وبقينا لو انفتح قلب القارئ لاستطاع أن يكسب كثيراً جداً من هذه السطور القليلة بوضعها البسيط هذا .

ويلاحظ القارئ أن ما دونناه عن الروح القدس في هذا الكتاب ، إنما هو خبرات أعظم الآباء النساك الذين عاشوا بالروح وتكلموا بالروح وكتبوا لنا شيئاً مما عاينوه ومارسوه ، فالأمر الآن لا يختص بمعرفة ونقاش وجدل ، إنما يختص بتوبة وحياة في مخافة الله بسر الروح .

يا رب ارسل فيضاً من روحك القدوس على كنيستك في هذه الأيام ،
واملاً شعبك من مواهب الروح ،
ليذوق مختاروك بهجة الخلاص ، ويفرحوا بنور وجهك ، ويتهللوا بعمل
نعمتك في حياتهم كل يوم ،
بصلوات كل قديسيك الذين كملوا في المجد
وصلوات قديسيك الذين لا يزالون يجاهدون في الحق .
وبالأكثر اماً رأس كنيستنا البابا شنودة وكل إخوته المطارنة والأساقفة
بكل ملء الروح .
حتى يسري عمل نعمتك في مجراه التقليدي إلى كل فرد في رعيتك
المقدسة .

العظة السابعة والخمسون (*)

للقدّيس مقار يوس الكبير

١ - الروح يهبُّ حيث يشاء.

فهو يهبُّ على النفوس المضيئة المشعة الإلهية التي تشتاق بشدة أن تخدمه بكل اجتهاد.

فإن كانت مطيعة للروح المستحق كل سجود، فهو يعطيها مخافة الله وحرارة المبتدئين.

ومتى صار ذلك فيها، يعطيها أن تبغض العالم تماماً وكل ما يمكن اشتهاؤه فيه للهلاك: الذهب والفضة وثياب الجسد المغرية، كما أيضاً الأب والأم والزوجة والأولاد.

ثم يجعل عمل الله للإنسان أحلى من العسل ومن شهد العسل، سواء كان تعب الأصوام أو سهر الليالي أو السكون *ησυχία* أو خدمة الآخرين أو الصدقة، فإن كل أمور الله تصير له حلوة.

٢ - ولكن متى علّمه كل ذلك، فإنه يسلمه إلى التجربة.

وحينئذ كل ما كان له حلواً، يصير له ثقيلاً وصعباً.

وكثيرون من الذين لم يجربوا قبل ذلك، يسقطون تحت هذا الثقل و يصيرون جسديين. وهم الذين يقصدهم بولس حينما يقول: «أبعدما ابتدأتم بالروح، تكملون الآن بالجسد؟ أهذا المقدار احتملتم عبثاً؟» (غل ٣: ٣، ٤).

(٥) وهي إحدى سبع عظات لم تترجم بعد لأي لغة، مرقمة من ٥١ إلى ٥٧؛ ترجمت من الفرنسية عن الأصل اليوناني في الباترولوجيا جريبكا.

وقد رأينا أن نقدمها للقارىء هنا في الحتام، كنموذج للتركيز الأبائي على فعل الروح القدس داخل النفس.

فما احتملوه عبثاً إنما هو الأتعاب التي احتملوها من أجل الله .

لأن الإنسان الذي تلاشى عزمه تماماً وترك السعي ، لم يفقد فقط أجر أتعابه ، بل صار معرضاً لعقاب أعظم ، لأنه احتقر وبدد النعمة التي من فوق .

٣ - أما إذا قاوم الإنسان الشيطان في هذه التجربة الأولى وغلبه ، فإن الله يعطيه حرارة متصلة رزينة وبدون اضطراب . لأن الحرارة الأولى كانت مندفعة ومشوشة وغير منتظمة ؛ وأما الثانية فهي أفضل ، وهي تولد الرؤيا ، إذ أنها تثمر بالصبر وليس بها اضطراب ، بل هي صادقة وغير مشوشة .
فثل سفينة راسية في ميناء هادئ ، هكذا الحرارة الثانية كلها سلام .

٤ - والآن أيها الأولاد ، اقتنوا هذه الحرارة الثانية لكي تخف عليكم جميع الأشياء ، لأن هذه الحرارة التي بحسب الله تطرح إلى خارج كل الآلام ، وتطردها من الإنسان كل ثقل (ضجر) ، وتجعل اللاهوتية تساكته بحيث يصير هيكل الله ، كما هو مكتوب «سأسكن معهم وأسير بينهم» (لا ٢٦: ١١، ١٢، ٢ كو ٦: ١٦) .

٥ - فإذا شتم أن تعود إليكم الحرارة التي فارقتكم ، فهذا ما ينبغي أن تعملوه :
ليقطع الإنسان عهداً بينه وبين الله ، وليقل في حضرته :
«إغفر لي ما صنعت في تهاوني» ، وأيضاً «لن أعود أعصاك بعد» .

ولكي يحفظ نفسه في المستقبل من كل تهاون ، يجب عليه أن لا يعطي ذاته أبداً أية راحة جسدية ولا نفسية ، بل ليكشف أفكاره أمام الرب نهاراً وليلاً ، وليبكي بلا انقطاع أمام الرب وليبكي نفسه بكل حزن قائلاً لها : «كيف صرت متهاونة حتى الآن ؟ كيف بقيت قفرة كل هذه الأيام ؟» .

ولكي يحفظ في نفسه ذكر الدينونة والملكوت الأبدي ، يجب عليه أن يبكي نفسه باستمرار قائلاً لها : «كيف !... أجزل الله لك كل هذه الكرامات وأنت تعيشين في التهاون ؟ لقد أخضع لك الخليفة كلها وأنت لا تكونين مطيعة ؟» . فتي قال هذا لنفسه مبكثاً إياها ليلاً ونهاراً وفي كل ساعة ، فإن الحرارة الإلهية تعود إليه سريعاً - ولكن

حرارة أفضل على كل وجه من الأولى.

٦ — لما أحس الطوباني داود الضجر نازلاً عليه قال: «تفكرتُ في أيام القدم في السنين الدهرية وكنت أتأمل» (مز ٧٧: ٥)، وأيضاً: «تذكرت الأيام الأولى ولهجت في كل أعمالك، وفي صنائع يديك كنت أتأمل، صارت نفسي لك مثل أرض بلا ماء» (مز ١٤٣: ٥، ٦).

فتى استقدت الحرارة داخلك، اشتغل بالهذيذ بعظام الله.

□ وحينئذ ستخلص بنعمة الآب والإبن والروح القدس إلى الدهر، آمين.



كتاب

العنصرة

يوم الخميس

(سنة ١٩٦٠)

المحتويات

رقم عام/خاص

- أولاً: في معنى العنصرة
٥/١٣٩
- ثانياً: في مظهر العنصرة (أ) معنى الريح في المفهوم اللاهوتي
٩/١٤٣
- (ب) معنى النار في المفهوم اللاهوتي
١١/١٤٥
- ثالثاً: في أقنوم العنصرة (أ) أقنوم الروح القدس
١٥/١٤٩
- (ب) علاقة الروح القدس بالآب والإبن
١٧/١٥١
- (ج) إرسال الروح القدس إلى الكنيسة
١٩/١٥٣
- رابعاً: في مر العنصرة (أ) الهياة التي حل بها الروح القدس
٢١/١٥٥
- (ب) النتائج التي ترتبت على حلول الروح القدس
٢٢/١٥٦
- خامساً: في إنسان العنصرة (أ) عمل الآب في الإنسان الجديد
٢٦/١٦٠
- (ب) عمل الإبن في الإنسان الجديد
٢٩/١٦٣
- (ج) عمل الروح القدس في الإنسان الجديد:
٣٤/١٦٨
- (أولاً) الروح القدس والماء (الميلاد الثاني)
٣٤/١٦٨
- (ثانياً) الروح القدس والميرون (المسحة)
٣٨/١٧٢

العنصرة

أولاً - في معنى العنصرة

أصل الكلمة (١):

كلمة العنصرة كلمة عبرية أصيلة، وهي ليست آرامية ولا سريانية؛ وهي تستعمل في العبرية الحديثة في ما كانت تُستعمل فيه في العبرية القديمة تماماً. وأصل الكلمة «عَسَار» ومنها كلمة «عَسَرِت» التي جاءت منها كلمة العنصرة. والكلمة «عسار» معناها «اجتمع» أو «جمع»، حيث كانوا يجتمعون و يعيدون في هذا العيد. وهي تأتي أيضاً بمعنى «منع» أو «امتنع» لأنه يمتنع فيه العمل لأنه يوم مقدس.

وعيد العنصرة عند اليهود هو «عيد الأسابيع»، أو «عيد الحصاد»، أو «عيد الخمسين». وعيد الأسابيع ترجمته العبرية «هَجَشبعوت»، حيث «حاج» بمعنى عيد، و«شبعوت» = السبوعات أي الأسابيع. ويسميه العلماء وبالأخص علماء التلمود «عَسَرِت»، أما عيد الحصاد فترجمته العبرية «حاج هفصير» حيث «هفصير» هو الحصاد، وأطلق على هذا العيد في الترجمة اليونانية نذورا كلمة «بنتيكستي» أي الخمسين.

والكنيسة استعارت هذه الكلمة (العنصرة) كما هي وأطلقتها على عيد حلول الروح القدس. ولأنه يقع في اليوم الخمسين من قيامة الرب فهي تسميه أيضاً بعيد «البنتيكستي» أي عيد الخمسين.

وكلمة «العنصرة» تشير في أصل اشتقاقها اللغوي إلى «الجمع» أو «الحفل»، لذلك فالكنيسة مُحَقِّقة أيضاً في جعل إسم العنصرة وفقاً على هذا العيد بالذات، لأن في

(1) Dictionaire de Maleh

هذا اليوم تقدّس محفل التلاميذ بحضور الروح القدس تقديساً مستمراً، فصار ذلك المحفل المقدس كنيسة مقدسة، ثم يفارقها الروح القدس منذ ذلك اليوم إلى وقتنا هذا...

لا عجب إذن أن تعيد الكنيسة عيد العنصرة، هو عيدها.

وهي لا تغفل في عيدها هذا أن تصلي مع الكنيسة المنتصرة أختها التي في السماء، فتترفع في هذا اليوم بخوراً كثيراً جداً مع صلوات متواترة على أرواح المنتقلين كنوع من الشركة المتصلة وتبادل الشفاعة، لأنها ترى في ذلك كمال التعييد!



في سفر التكوين نقرأ كيف خلق الله الإنسان من تراب الأرض؛ خلقه وأعطاه نسمة حياة على صورته ومثاله... وقصة سقوط الإنسان في المعصية وانغلابه للشر والخطية، وسريان حكم الموت في كيانه الإنساني قصة تحوي من الأسرار العميقة شيئاً لا يُستهان به، نود لو نعود إليها بالشرح والتوضيح في مناسبة أخرى لو يشاء الله ذلك،... ولكننا نعلم على كل حال أن الإنسان الأول أنسل نسلًا بعد قبوله الموت في كيانه نتيجة لخطيته، وبذلك صار كل بني آدم في الخطية يولدون وبالخطية يموتون...

كان هذا إلى أن جاء المسيح الرب منقذ جنسنا من الخطية والموت... لأنه «هو نفسه حمل خطايانا في جسده على الخشبة لكي نموت عن الخطايا فنحيا للبر» (٢)...

ولما مات المسيح رفع عنا حكم الموت «لأن الموت الذي ماته قد ماته للخطية» (٣) وبذلك صارت طبيعتنا البشرية حرة مرة أخرى؛ ولكن ظلت في حاجة إلى قوة جديدة تحفظها، وإلى عمل إلهي جديد يرفعها إلى مستوى القداثة اللائقة بحياة الشركة مع الله... «لكي لا يعيش (الإنسان) أيضاً الزمان الباقي في الجسد لشهوات الناس بل لإرادة الله» (٤).

(٤) ١ بط ٤: ٢.

(٣) روم ٦: ١٠.

(٢) ١ بط ٢: ٢٤.

في يوم الخميس من موت الرب وقيامته تقبّلت الطبيعة البشرية هذه القوة الروحية الجديدة، تقبّلتها بصورة ظاهرة، فحلّ الروح القدس على التلاميذ جهاراً بصوت مسموع ومنظر أخاذ، ودخل وملاً الطبيعة البشرية فجدد خلقها وقوّأها ورفع من مستواها الروحي بشكل عملي إعجازي فائق، أدهش الذين عاينوا حوادث ذلك اليوم العظيم الخالد...

في يوم الخميس حدث فعل خلّقي جديد في طبيعة الإنسان، ظهرت مقاعبه في سلوك التلاميذ وفي إمكانياتهم وفي لغتهم وفي مفهوماتهم وفي علمهم، الأمر الذي حير رؤساء الكهنة والحكام؛ ولكن لم يقتصر هذا التغيير المفاجيء الشديد على التلاميذ، بل المدهش حقاً أنه انتقل إلى كل من آمن واعتمد وقبل وضع اليد، حتى فهم جيداً أن حلول الروح القدس على التلاميذ كان عملاً تكليلاً لأعمال الخليفة الأولى... لذلك نرى أن يوم الخميس أصبح مرتبطاً باليوم السادس من سفر التكوين ارتباطاً جوهرياً من حيث خلقة الإنسان...

فالعنصرة من هذا الوجه ميلاد جديد للتلاميذ في طبيعة جديدة خلقها المسيح من جسده بموته وقيامته وعمل الروح القدس...

وحيث نتأمل في الوضع الذي كمل فيه هذا العمل الخلّقي الجديد نندهش إذ نجد أنه لم يتم بصورة فردية كخلق آدم الأولى، بل كان التلاميذ مجتمعين معاً «مع النساء ومرم أم يسوع»^(٥) في حالة خشوع وصلاة. إذن فطبيعة الإنسان استقبلت خلقها الروحية الجديدة على صورة كنيسة!!!

هذا معناه أن ميلاد الإنسان الجديد محصور في ميلاد الكنيسة، وطبيعة الإنسان الجديدة لا بد وأن تشمل في صميم جواهرها ارتباطاً حياً وصلّة وثيقة بالكنيسة... لا توجد فردية في الخليفة الجديدة!!

نحن نأخذ طبيعة الإنسان الجديد من الكنيسة، ولا يمكن لأحد أن يولد من الماء

(٥) أع ١: ١٤.

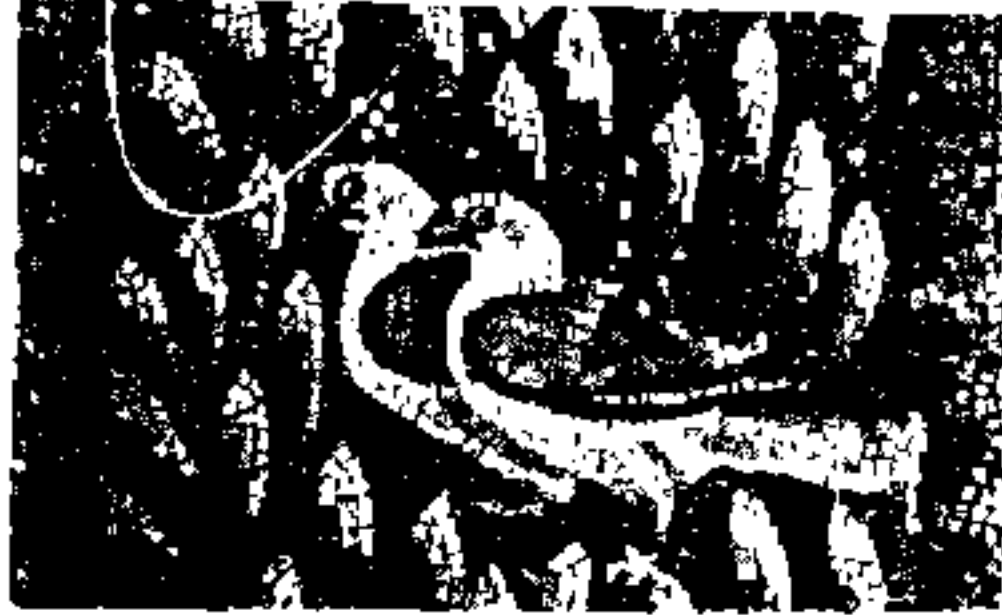
والروح و يصير خليقة جديدة في المسيح يسوع خارج الكنيسة...

العنصرة إذن عيد الكنيسة، هو ذكرى ميلادها...

ميلاد الكنيسة ليس قصة، هو حياة متحدة بطبيعة الروح القدس.

نحن نحيا في ميلاد كنيستنا، نحيا في طبيعتها الجديدة المتحدة بالمسيح والروح.

العنصرة عيد الحياة بالروح للذين يعيشون حقاً في المسيح...



ثانياً - في مظهر العنصرة

استعلن الروح القدس في يوم الخمسين في مظهرين، مظهر ريح عاصف ومظهر
اللسنة كأنها من نار...

«ولما حضر يوم الخمسين كان الجميع معاً بنفس واحدة، وصار بفتة من السماء
صوت كما من هبوب ريح عاصف وملأ كل البيت حيث كانوا جالسين وظهرت لهم
اللسنة منقسمة كأنها من نار واستقرت على كل واحد منهم^(٦)».

(أ) معنى الريح في المفهوم اللاهوتي:

مما يلفت النظر في اللغتين العبرية واليونانية أن الريح والروح لها كلمة واحدة
تعبر عنهما، ولكن لا تقتصر الصلة بين الريح والروح في الإشتراك اللفظي فقط، بل
نكتشف من حديث المسيح مع نيقوديموس في الأصحاح الثالث من إنجيل يوحنا أن
هناك تشابهاً بين طبيعة عمل الريح وعمل الروح من وجهة الميلاد الجديد من الماء
والروح: «الريح تهب حيث تشاء وتسمع صوتها لكنك لا تعلم من أين تأتي ولا إلى
أين تذهب، هكذا كل من وُلد من الروح».

وأكثر من ذلك نلاحظ أن حضور الله كثيراً ما يكون مقروناً بهبوب رياح عاصفة
فمثلاً في سفر أيوب نقرأ هكذا: «فأجاب الرب أيوب من العاصفة»^(٧).

وفي المزمور الخمسين نقرأ: «يأتي إلهنا ولا يصمت، نار قدامه تأكل وحوله عاصف
جداً»^(٨).

وناحوم النبي يتكلم من جهة ذلك: «الرب في الزوبعة وفي العاصف
طريقه»^(٩)، وموسى مع الشعب ارتعبوا لما خاطبهم الرب: «من وسط النار

(٦) أع ٢: ١-٣.

(٧) أي ٣٨: ١.

(٨) مز ٥٠: ٣.

(٩) نا ١: ٣.

والعاصف» (١٠)، وإيليا أيضاً لم يواجه الله إلا بعد عبوره في الريح العاصف: «وإذا بالرب عابرو ريح عظيمة وشديدة قد شقت الجبال وكسرت الصخور أمام الرب» (١١).

أما في سفر حزقيال فنعر على عمل الريح والروح معاً في اصطلاح واحد يعبر تعبيراً عن وحدة سرية في المفهوم اللاهوتي بينها إذ يقول النبي: «فقال لي تنبأ للروح تنبأ يا ابن آدم وقل للروح هكذا قال السيد الرب هلم يا روح من الرياح الأربع وهب على هؤلاء القتلى ليحيوا» (١٢)، فع أن الهبوب هو من طبيعة الريح إلا أننا نجد هنا من عمل الروح أيضاً...

من ذلك نستطيع أن نكون فكرة من وجهة لاهوتية عن الريح العاصف الذي اقترن به الروح القدس وقت حلوله يوم الخمسين، فهو في الواقع تعبير عن حضور الله، هو إشارة واضحة عن لاهوت الروح القدس، وبالأخص قول الكتاب عنه: «صار بغتة من السماء صوت كما من هبوب ريح عاصفة».

فهو ريح سمائي... نقرأ عنه فيما بعد أنه ملأ البيت ثم ملأ جميع الحاضرين في البيت... إذن فهو روح مالىء للمكان والزمان والكيان، الله وحده هو الذي يملأ المكان والزمان والكيان...

لذلك نجد في هذا الريح السمائي، الحاضر في المكان والمالىء الكل، حضوراً إلهياً وإنما على نمط جديد؛ ففي العهد القديم نجد بعض أمثلة فردية حلّ فيها الروح ولكنه كان حلولاً مؤقتاً ومغلقاً، مغلقاً لأنه لم يكن يستطيع أن يؤثر في الطبيعة البشرية آنذاك تأثيراً عاماً مولدأ كما حدث يوم الخمسين وصار ينتقل إلى كل من يعتمده التلاميذ و يضعون عليه اليد...

الروح استطاع يوم الخمسين أن يدخل التلاميذ ويملأهم كما يملأ الريح المكان؛

(١٠) تث ٥: ٢٢، ٢٣ (الترجمة السبعينية) - ويلاحظ أن هذا النص يُقرأ ضمن نبوات الساعة الأولى من صلوات السجدة مساء يوم عيد العنصرة). (١١) مل ١٩: ١١. (١٢) حز ٣٧: ٩.

لأن حجاب الخطية الذي كان يفصل الطبيعة البشرية عن عمل الروح رفعه المسيح إلى الأبد...

(ب) معنى النار في المفهوم اللاهوتي:

لورجعنا للآيات والأمثلة التي تكلمنا فيها عن حضور الله في الرياح العاصفة نجد أن الريح فيها مقترنة بالنار دائماً... لذلك فعنى اقتران الريح بألسنة النار في يوم الخمسين أمر ذوبال من حيث المعنى اللاهوتي...

ولكننا نجد في النار تعبيراً أقوى عن شيء ما في طبيعة الله، حتى قيل مرة: إن «إلهنا نار آكلة» (١٣) بل ورأينا النار المشتعلة في العليقة تعبيراً مباشراً عن حضور الله؛ والتقليد يحدثنا عن نار العليقة أنها تعبير واقعي عن طبيعة اللاهوت...

وإذا أضفنا إلى ذلك حضور الله في عمود النار ليلاً في محلة الإسرائيليين واستجابة الرب من السماء بنار على ذبائحه المقبولة، وحضور الله في هيكل سليمان يوم تدشينه على هيئة نار، كل هذا يوجه فكرنا إلى معنى ألسنة النار المنقسمة التي ظهرت يوم الخمسين؛ فهو تعبير عن عمل طبيعة الله يوم الخمسين وإشارة ضمنية إلى طبيعة الروح القدس الناري.

كان التلاميذ المجتمعون في حالة خشوع وصلاة يقدمون ذبائح شكر من شفاه معترفة بفضل الرب يسوع؛ فكانت استجابة الرب من السماء كما هي العادة بنار استقرت على كل واحد منهم...

كانت النار الإلهية قديماً تأكل الذبيحة كلها، لأن الذبيحة كانت تحمل خطايا مقدمها، ولكن نار يوم الخمسين لم تحرق التلاميذ لأن خطايا التلاميذ حملها الرب في جسده على الخشبة...

(١٣) عب ١٢: ٢٩.

ناريوم الخمسين كانت للإنارة والتطهير...، وجدت تلاميذ مجتمعين باسم الرب بأذهان مستعدة لقبول الحق، لذلك استقرت عليهم النار على هيئة لسان... واللسان الناري يشير إلى معرفة الحق والنطق به: «متى جاء ذلك روح الحق فهو يرشدكم إلى جميع الحق» (١١).

نحن وجدنا الريح يملأ المكان كله وجميع الحاضرين، وكان هذا توضيحاً لعمل الله المتساوي في طبيعة الإنسان الواحدة...

أما النار الإلهية فتجدها تنقسم وتتوزع على كل واحد منهم بمفرده توضيحاً لتقسيم المواهب حسب قياس قامة كل واحد في الإدراك والإيمان...

إذن فالطبيعة البشرية تتجدد بالتساوي، أما المواهب فتمنح بتقسيم وامتياز وتفاوت...

ولكن لا نستطيع أن نقف عند حد الإستنارة في معنى المظهر الناري للروح القدس، فنحن لا زلنا نرى في ألسنة الروح القدس النارية التي استقرت على التلاميذ تعبيراً إلهياً عن معنى انسكاب محبة الله الملتهبة (١٥) في قلوب التلاميذ، وتقبل روح الغيرة المتأججة نحو الله «غيرة بيتك أكلتني» (١٦)، وتعبيراً عن سريان النار الإلهية في طبيعة الإنسان العقلية واشتعالها لتكون ذبيحة حية ناطقة دائمة الإحتراق: «من أجلك غمات كل النهار، قد حُسبنا كغنم للذبح» (١٧).

ناريوم الخمسين كانت نار الله، أنارت فكر الكنيسة بالحق وأهبت قلب الإنسان الجديد بالحب الإلهي والغيرة والبذل.

لقد تشاركت طبيعة الكنيسة البشرية في طبيعة الله النارية يوم الخمسين، ومن هذه الطبيعة ولد الإنسان الجديد.

(١٧) روم ٨: ٣٦.

(١٦) مز ٦٩: ٩.

(١٥) روم ٥: ٥.

(١٤) يوح ١٦: ١٣.

الكنيسة استوعبت في يوم الخمسين نار الله فأخيمتها هذه النار وقلّستها وهي تعطي أثرها الآن لكل المولودين منها...

لسنا في حاجة من جديد إلى السنة نارية كيوم الخمسين، لأننا لسنا أمّا بل نحن أولاد؛ لسنا طبيعة والدة بل طبيعة مولودة؛ الكنيسة هي الأم ذات الطبيعة الوالدة...

الكنيسة أم روحانية خلقها المسيح وأظهرها في العالم حديثاً بتجسده وأخصبها بالروح القدس يوم الخمسين، وهي الآن تلد بنين مقدسين من طبيعتها «المقدسة» المخصبة بنار الله: «إن قدرته الإلهية قد وهبت لنا كل ما هو للحياة والتقوى... لكي تصيروا بها شركاء الطبيعة الإلهية» (١٨). نار يوم الخمسين هي من قدرة الله، هي قوة فائقة من عند الله جاءت فقلّست الإنسان...

التقديس هو اشتراك في طبيعة الله «صرنا شركاء الطبيعة الإلهية»، «كونوا قديسين لأنني أنا قدوس» (١٩)، التقديس من وجهة طبيعة الله نراه فعلاً نارياً، وبالنسبة لأقانيم الله وجدناه من اختصاص الروح القدس!!!
الروح القدس... يقّس...

الروح القدس سبق فقّس بطن العذراء ليتصور المسيح فيها و يولد.
وفي يوم الخمسين قدس الطبيعة البشرية ككنيسة ليتصور فيها إنساننا الجديد حسب يسوع المسيح و يولد.

نحن نولد من بطن كنيسة تقّست «بنار الله» بالروح القدس.
أليس هذا ما وعد به سابقاً: «هو سيعمدكم بالروح القدس ونار» (٢٠)؟
حينما نعتمد الآن في الكنيسة نولد مقدسين لأن كنيستنا «مقدسة».
أليس هذا هو لقبها الأول: «كنيسة مقدسة جامعة رسولية أرثوذكسية»؟
الكنيسة اعتمدت «بالروح القدس ونار»، وأما نحن فنولد من معموديتها «من الماء والروح» (٢١)...

(٢١) يوحنا ٣: ٥.

(٢٠) مت ٣: ١١.

(١٩) ١ بط ١: ١٦.

(١٨) ٢ بط ١: ٤ و٣.

النار تحرق كل حياة أرضية وتبيدها، لذلك إذا هي اقترنت بالروح القدس «روح القدس ونار» تعني حتماً حياة إلهية محضة خالية من كل ما هو أرضي... هذه هي طبيعة الكنيسة، إلهية في كل شيء وبكل معنى، خالدة...

أما الماء فهو يحمي كل ما على الأرض، ولا شيء يمكن أن يحيا على الأرض بدون ماء!! لذلك حينما يقترن الماء بالروح القدس فهو يعني حياة بشرية على الأرض ولكن حسب الله!!... وهذه هي طبيعة كل من يولد من الكنيسة: يحيا على الأرض ولكن «ليس حسب الجسد بل حسب الروح» (٢٢).



ثالثاً- في أقنوم العنصرة

(أ) أقنوم الروح القدس:

«متى جاء المعزي الذي سأرسله أنا إليكم من الآب روح الحق الذي من عند الآب ينبثق فهو يشهد لي» (٢٣).

في كتاب العهد القديم نقرأ عن أنواع من الحلول مفاجئة فردية «لروح الرب» (٢٤)، حينما كان يحل على الأنبياء متكلماً فيهم؛ ولكنه لم يكن حلولاً أقنومياً؛ بل بقوته الكاشفة للحاضر والمستقبل وفعله التنبؤي فقط... لم يكن له في العهد القديم أثر واضح دائم في طبيعة الإنسان...

أما ابتداءً من يوم الخمسين فهو يحل بكل هباته وعطاياه، يحل بشخصه كمحيي ومعزي ومبكت...

كان يُعرف في العهد القديم بـ «روح الرب»، أما في يوم الخمسين فاستعلن اقنومه المتميز «الروح القدس»، واستعلنت صفته الخصوصية «الباراكليت» (= المعزي). والقديس باسيليوس في رسالته عن الروح القدس يصفه هكذا:

[إن اسمه الخاص الذي يكشف عن طبيعته هو «الروح القدس» وهو ينم عن خلوه من معنى المادة خلواً مطلقاً، وعدم تجسده بهيئة ما، كما يكشف ضمناً عن عدم قابليته للإنقسام... والإسم ينص على أنه مصدر التقديس] (٢٥).

أما عن كلمة «باراكليت» التي ترجمتها «المعزي» فيقول القديس باسيليوس:
[يدعى الروح القدس بـ «الباراكليت» كما يدعى الإبن بـ «الوحيد»،
والمسيح نفسه قال: «وأنا أطلب من الآب فيعطيك مغزياً آخر يملك معكم

(٢٤) أش ١١: ٢، ٦١: ١.

(٢٣) يو ١٥: ٢٦.

(25) St. Basil, *On the Spirit*, Hom. IX, N.P.N.F., 2nd Ser., VIII, p. 15.

إلى الأبد» — حيث هنا كلمة «مُعزّي» ترجمة لكلمة «پارا كليت» [٢٦].

وفي الحقيقة نجد أن عمل الروح القدس وتعرفنا عليه كأقنوم قد بدأ قبل يوم الخمسين، إذ نقرأ عنه أنه حل على العذراء بصفته الأقمومية لتحمل في بطنها الإبن متجسداً...

ثم نقرأ عنه في عماد الرب لما حل عليه في الأردن ليمسحه للخدمة. ثم مرة أخرى أنه أقام الرب يسوع المسيح حياً من بين الأموات.

من هذا نتبين العلاقة الوثيقة التي بين الروح القدس والمسيح؛ فسواء قديماً في النبوات، أم حديثاً في الميلاد والعماد والقيامة، نجد الروح مُعلناً المسيح!!

ونحن في العنصرة لم نستقبل الروح القدس لنتعزى به عوض المسيح؛ فالروح القدس جاء ليشهد للمسيح وتهيئنا للإتحاد به، وهو لا يزال يعمل لهذا ولن يكف عن ذلك إلى الأبد: «يمكث معكم إلى الأبد» (٢٧). «لا يتكلم من نفسه... ذلك يمجديني لأنه يأخذ مما لي ويخبركم» (٢٨).

فغاية الروح القدس هي أن يُعرِّفنا المسيح؛ كما أن غاية المسيح أن يُعرِّفنا الآب؛ فكما أن «ليس أحد يأتي إلى الآب إلا بي (بالمسيح)» (٢٩)، كذلك أيضاً «لا أحد يقدر أن يقول أن يسوع رب إلا بالروح القدس» (٣٠).

إذن فليس للروح القدس عمل منفصل عن عمل الإبن؛ بل إنه يعمل فينا ليكون إنساننا الجديد له «سمات الرب يسوع» (٣١)، وليكون «المسيح حياتنا» (٣٢)، وليصير لنا «فكر المسيح» (٣٣)، و«يحل المسيح بالإيمان في قلوبكم» (٣٤)، وأن نكون «أعضاء المسيح» «من لحمه وعظامه» (٣٥)... غاية الروح القدس فينا هي

(26) St. Basil, *On the Spirit*, Hom. XIX, N.P.N.F., 2nd Ser., VIII, p. 30.

(٢٧) يو: ١٤: ١٦.	(٢٨) يو: ١٦: ١٣، ١٤.	(٢٩) يو: ١٤: ٦.
(٣٠) ١ كو: ١٢: ٤.	(٣١) غل: ٦: ١٧.	(٣٢) كو: ٣: ٤.
(٣٣) ١ كو: ٢: ١٦.	(٣٤) أف: ٣: ١٧.	(٣٥) أف: ٥: ٣٠.

المسيح... أن يشهد فينا له، وأن يشهد لنا أمام الآب... أن يقدسنا في المسيح و يقدمنا
بالمسيح إلى الآب... لهذا ولهذا فقط أرسله المسيح من عند الآب!!

إن الروح القدس هو الأقنوم الثالث؛ هو الرب المحيي؛ نعبه ونعبده في شخصه مع
الإبن والآب بلاهوت واحد.

قلنا: إنه أقنوم العنصرة، أي الأقنوم الذي استعلن لنا يوم الخمسين بكمال بهائه
وضيائه وعظمته... روح الحق الذي يعلمنا أن نسجد بالروح والحق؛ لهذا رتب
الكنيسة الرشيدة المؤيدة بالروح القدس أن تكون صلوات عيد العنصرة والجميع
سجوداً: «ولكن تأتي ساعة وهي الآن حين الساجدون الحقيقيون يسجدون للآب
بالروح والحق، لأن الآب طالب مثل هؤلاء الساجدين له، الله روح والذين يسجدون
له فبالروح والحق ينبغي أن يسجدوا» (٣٦).

جميع الناس يسجدون لله ولكن قليلين من يسجدون لله بالروح والحق!
الكنيسة تعيد للعنصرة وهي ساجدة إكراماً للأقنوم الثالث الذي علمنا الحق!
العنصرة عيد السجود لله بالروح والحق...

(ب) علاقة الروح القدس بالآب والإبن:

«ومتى جاء المعزي الذي سأرسله أنا إليكم من الآب روح الحق الذي من عند
الآب ينبثق فهو يشهد لي» (٣٧).

لسنا في صدد بحث لاهوتي؛ ولكن قول المسيح «أرسله أنا إليكم من الآب»
أجبرنا أن نتبع المعنى اللاهوتي في كلمتي «الإنبثاق» و«الإرسال».

لوتعمقنا معنى الإنبثاق نفهمه أنه دوام الإنبعاث كانبعاث النور من مصدره أو
كانبعاث الروح من مصدر الحياة، حتى أن كلمة «انبعاث» في الأصل العبري تحمل

(٣٧) يوحنا ١٥: ٢٦.

(٣٦) يوحنا ٢٣: ٢٤.

تماماً معنى «الإنبثاق».

وقد رجعنا إلى القديس باسيليوس في إحدى رسائله عن الروح القدس فوجدناه يتكلم عن الإنبثاق هكذا:

[الروح القدس الذي من نبعه تستمد كل الخليقة صلاحها هو متصل بالإبن ولا يُدرَك إلا متصلاً به، أما كيانه فيأخذة من الآب الذي ينبثق منه... الإبن هو الذي يعلن الروح القدس؛ الروح القدس ينبثق من الآب في الإبن... الروح القدس يُستعلن في الإبن وبه] (٣٨).

وقول القديس باسيليوس ينير عقلنا جداً وخصوصاً في جعل الإنبثاق شديد الوضوح أنه من الآب فقط ولا يمكن أن يكون من الآب والإبن، إذ جعل الإنبثاق فعلاً غائياً أي له غاية، وغايته تنصبُّ في الإبن: منبثق من الآب في الإبن.

إذن لا يمكن أن يكون منبثقاً من الآب والإبن، وإلا لزم أن يكون منبثقاً منها في آخر أو إلى آخر، ومن يكون هذا الآخر؟

لا يمكن أن يكون العالم أو الإنسان، لأن هذا معناه: إما أن يكون العالم أو الإنسان قائماً أزلياً كأزلية الإنبثاق! وإما أن الإنبثاق نفسه — المتعلق بالعالم أو الإنسان (غير الأزلي) — هو أيضاً غير أزلي، وكلا الوضعين خطأ.

أما إذا قيل أن الروح القدس منبثق من الآب والإبن إلى لا شيء، فهنا تُصاب كلمة «الإنبثاق» بعجز كلي يفقدها معناها ومبناها، كأن تقول مثلاً: إن النور منبثق من المصباح إلى لا شيء، فالنور إن لم يكن له ما يستقبله كيف يدعى نوراً وكيف يُقال أنه منبثق؟

كذلك الروح القدس هو روح ونور وحق وحياة وحب منبثق من الآب ومستقر في الإبن، مُعلن في الإبن ومستعلن أيضاً بالإبن؛ وعلى هذا الأساس استطاع المسيح أن

(38) *St. Basil's Letters*, XXXVIII, 4, N.P.N.F., 2nd Ser., VIII, p 138.

يرسله من عند الأب !!

(ج) إرسال الروح القدس إلى الكنيسة :

لقد استُعلنت الكنيسة أول ما استُعلنت في تجسد الابن ؛ لأن اتحاد اللاهوت بالناسوت هو في الواقع أصل ومعنى وحقيقة الكنيسة (اجتماع الله بالناس).

لذلك فظهور الله في جسد إنسان هو أول استعلان لطبيعة الكنيسة ، وتحقيق وجودها عملياً على الأرض .

الروح القدس كان واسطة هذا الإتحاد السري الذي تم بين اللاهوت والناسوت ؛ فقد تسلمنا من التقليد الشريف أن بطن العذراء حملت نار اللاهوت كما حملت العليقة نار الله وهي مشتعلة فيها دون أن تحترق «لأن الذي حُبل به فيها هو من الروح القدس» (٣٩).

فإذا نحن نظرنا إلى المسيح المولود من العذراء من وجهة اللاهوت الكنسي لتيقنا أنه هو هو الكنيسة في معناها الإلهي المطلق ، وما بقي علينا بعد ذلك إلا أن نبحث كيف نتحد بهذه الكنيسة ، أو كيف نصير نحن كنيسة !

معروف أن جسد المسيح الإلهي هو الكنيسة : «إياه جعل رأساً فوق كل شيء للكنيسة التي هي جسده ملء الذي يملأ الكل في الكل» (٤٠).

إذن الإتحاد بالكنيسة يعني بلا شك الإتحاد بالجسد الإلهي ... لا يمكن الإتحاد بالجسد الإلهي إلا بتوسط الروح القدس ... و يشترط أن يتم هذا الإتحاد بفعل الإيمان ؛ لذلك فهو لا يتم بالعيان المنظور أو المحسوس وإنما سرّاً ... إذن فجيء الروح القدس أمر لازم لإتحادنا بالكنيسة ، واختفاء جسد المسيح المنظور أمر لازم لتكميل هذا الإتحاد بالإيمان ... بهذا نفهم قول المسيح : «إنه خير لكم أن أنطلق ؛ لأنه إن لم أنطلق لا يأتيكم المعزي ؛ ولكن إن ذهبت أرسله إليكم» (٤١).

(٤١) يوحنا ١٦: ٧.

(٤٠) أف ١: ٢٢، ٢٣.

(٣٩) مت ١: ٢٠.

هذا حق ومنطقي أيضاً أن لا يأتي الروح القدس ليعمل الكنيسة الجديدة الجامعة طالما كانت الكنيسة الوحيدة جسد ربنا يسوع قائمة منظورة على الأرض.

كان يلزم بالفعل أن ينطلق المسيح بجسده المنظور وبشخصه المعزي فيرسل معزياً آخر مساوياً له أي الروح القدس «وأنا أطلب من الآب أن يعطيكم معزياً آخر ليحكث معكم إلى الأبد»^(٤٢)، لكي بتوسطه يصنع من جسده الإلهي السري الكنيسة الجامعة.



(٤٢) يوحنا ١٦: ١٦.

رابعاً - في سر العنصرة

(أو ماذا تم بين المسيح والكنيسة بحلول الروح القدس)

لما انسكب الروح القدس على التلاميذ حصل تجديد واضح في طبيعتهم؛ بل نستطيع أن نقول أن طبيعتهم تغيرت معالمها تغييراً كلياً؛ لقد صاروا شيئاً جديداً أو بلغة الكتاب صاروا أناساً آخرين (٤٣)... وأصبح التلاميذ المجتمعون في العلية قوة جديدة من نوع لم تألفه البشرية قبل ذلك...

وهمنا أن نلاحظ أن التغيير أو التجديد لم يكن فردياً بل جماعياً...

لم يكن هذا نتيجة قوة مبهمة حلت عفواً على التلاميذ فألهبتهم للخدمة أو منحتهم ألسنة جديدة وشجاعة للعمل، كما يظن بعض المحدثين؛ ولكن كان هذا نتيجة تغيير جوهري أصاب طبيعة التلاميذ في صميم كيانها؛ أما هذه المواهب وهذه التغييرات التي ظهرت على التلاميذ في حياتهم وسلوكهم فكانت مظاهر ونتائج ثانوية تنبئ بما حدث في الطبيعة البشرية ممثلة في التلاميذ والرسل الذين تعتبرهم الكنيسة الأولى «كنيسة الرسل».

أما ماذا حدث لطبيعة الكنيسة الأولى وقت حلول الروح القدس فنستطيع أن ندركه من الملابس التي رافقت حلول الروح القدس ومن النتائج التي ترتبت على هذا الحلول:

(أ) الهيئة التي حل بها الروح القدس يوم الخمسين:

لم يحل الروح القدس بهيئة حمامة كما حل في وسط مياه الأردن ليعطي قوة العماد بالماء والروح، بل حل بألسنة كأنها من نار واستقرت على كل واحد منهم... إذن فنحن أمام «عليقة مشتعلة بالنار» حسب الرمز، أو طبيعة إلهية متحدة بطبيعة بشرية حسب شرح الرمز أو صورة النبوة بميلاد المسيح من العذراء كما تسلمنا من التقليد الشريف!!

(٤٣) ١ صم ١٠: ٦.

إذن حلول الروح القدس يوم الخميس لا يشير إلى منح قوة روحية مجردة أو منح عطايا ومواهب جزافاً، بل الأمر جد خطير فهنا إشارة سرية إلى أنه حدث اتحاد غير منظور بين طبيعة إلهية وطبيعة بشرية، وماذا تكون الطبيعة الإلهية إلا جسد المسيح السري بالذات الذي سبق المسيح وأشار إلى أخذه وأكله والاتحاد به والشبوت فيه!! كان لا يمكن ولا يستطيع التلاميذ أن يتقبلوا الطبيعة الإلهية بدون المسيح بل ولم يكن ممكناً أن يتقبلوا الروح القدس كأقنوم إلا على أساس الإتحاد بجسد المسيح، فالجسد الإلهي هو الطريق الوحيد الذي يوصلنا بالله، و يوصل الله بنا «فإذ لنا أيها الإخوة ثقة بالدخول إلى الأقداس بدم يسوع طريقاً كرسه لنا حديثاً حياً بالحجاب أي جسده» (٤٤).

إذن غاية التجسد الإلهي قد بلغت ذروتها يوم الخميس حينما صار الكل في المسيح: «ملء الذي يملأ الكل» (٤٥). فالجسد الإلهي المعبر عنه بـ «ملء اللاهوت جسدياً» (٤٦) صرنا منذ يوم الخميس «مملوئين فيه» (٤٧).

لقد اتحد المسيح بالكنيسة فاكتسبت الكنيسة كل ما للمسيح... لقد صار وكمل في العلية ما بُدئ به في بيت لحم. لقد ولد المسيح في بيت لحم لتولد الكنيسة في العلية...

(ب) النتائج التي ترتبت على حلول الروح يوم الخميس:

بعد حلول الروح القدس يوم الخميس قامت الكنيسة فوراً وانطلقت تخدم المعمودية وتجدد الآخرين؛ بأي سلطان فعلت الكنيسة هذا؟ هل خدمة المعمودية كانت بسلطان الروح القدس؟ إن كان الأمر كذلك فكيف يستقيم معنى الآية: «الذي ترى الروح نازلاً ومستقراً عليه فهذا هو الذي يعمد بالروح القدس» (٤٨)...

إذن لا يمكن أن يكون الروح القدس هو الذي يعمد بالروح القدس!! بل المسيح

(٤٦) كو: ٢: ٩.

(٤٥) أف: ١: ٢٣.

(٤٤) عب: ١٠: ١٩، ٢٠.

(٤٨) يو: ١: ٣٣.

(٤٧) كو: ٢: ١٠.

نفسه هو صاحب السلطان في التعميد... هو يعمّد بالروح القدس...

وما هو العماد إلا الشركة مع الرب، شركة إتحاد فعلي في موته ودفنه وقيامته؛ فمن الذي يستطيع أن يعطي سلطان الموت والدفن والقيامة إلا صاحب السلطان فيها!!

إذن فالكنيسة انطلقت تعمد لا بقوة مجردة هبطت على التلاميذ، ولا كهبة خاصة من الروح القدس، ولا حتى بسلطان الروح القدس؛ ولكن المسيح نفسه بشخصه هو الذي كان يعمّد بالروح القدس بسلطانه الشخصي غير المنظور... وهو لا يزال يعمّد حتى الآن... فيجب أن تفرّق الكنيسة بين الكاهن الذي يخدم السرّ وبين المسيح مُجري السر بسلطانه الشخصي بتوسط الروح القدس.

ومن هذا يتضح لنا أن النتائج التي أسفر عنها حلول الروح القدس يوم الخمسين وأهمها وأخصها قدرة الكنيسة على العماد الذي يتضمن إعطاء طبيعة جديدة مخلوقة في المسيح؛ يشير إشارة واضحة صريحة أن الكنيسة قبلت يوم الخمسين شخص المسيح، مسيح الأردن، المسيح المعمّد. وبذلك كملت شهادة الوحي التي أشار إليها يوحنا المعمدان يوم أن رأى المسيح: «وأنا لم أكن أعرفه، لكن الذي أرسلني لأعمد بالماء ذاك قال لي الذي ترى الروح نازلاً ومستقراً عليه فهذا هو الذي يعمد بالروح القدس» (٤٩).

القديس أغسطينوس يوضح هذا المعنى و يؤكد:

[ربما يدهشكم أن تقرأوا عن يسوع أنه «هو الذي يعمد بالروح القدس» ثم يعود الكتاب يقول: «مع أن يسوع لم يكن يعمد بل تلاميذه»، فما هو هذا الأمر هل هناك نص خطأ وقع ثم عاد الوحي فصححه؟ حاشا، أم أن كلا النصين صحيح وأن يسوع فعلاً كان يعمّد ولا يعمّد؟ الحقيقة هي أن المسيح كان يعمّد بقوة سلطانه بينما كان تلاميذه يعمّدون الجسد بأيديهم، وهو لم يكف عن التعميد لأن تعميده كان تطهيراً — والتطهير لا يُرى — و يسوع لا يزال

(٤٩) يو: ١: ٣٣.

يعتمد حتى الآن، لأنه طالما نحن نعتمد فيسوع هو المعمد.

إن سلطان المعمودية الذي أخذه الرب «هو سيعمد بالروح القدس» لم يعطه لأي خادم بل احتفظ بسلطانه حتى أن كل الذين اعتمدوا من أيدي خدام (كهنة) لا يجوز أن ينسبوا معمديتهم للخدام بل للرب نفسه.

إن سلطان التعميد لم ينتقل من الرب إلى أي إنسان، غير أن خدمة التعميد قد صارت للآخرين، السلطان ذاته لم ينتقل إلى أحد أما الخدمة فأعطاهما للصالح وغير الصالح [٥٠].

لذلك نجد الكنائس القبطية القديمة تحتفظ في بيت المعمودية فوق جرن المعمودية مباشرة وإلى جهة الشرق بصورة للسيد الرب خارجاً من ماء الأردن وعليه الروح القدس شبه حمامة لتعبّر عن شهادة إيمانها أن المسيح هو الذي يعتمد طبقاً لشهادة الوحي التي نطق بها يوحنا «الذي ترى الروح نازلاً ومستقراً عليه فهذا هو الذي يعمد بالروح القدس».

هذا هو سر العنصرة، هذا هو الذي تم يوم الخمسين بين المسيح والكنيسة؛ المسيح اتحد بالكنيسة، بجسده الإلهي، فصار للكنيسة طبيعة جديدة مخلوقة في المسيح يسوع؛ وقبلت الكنيسة تبعاً لذلك شخص يسوع الممسوح بالروح القدس، مسيح الأردن، خادم الجليل، واعظ الناصرة.

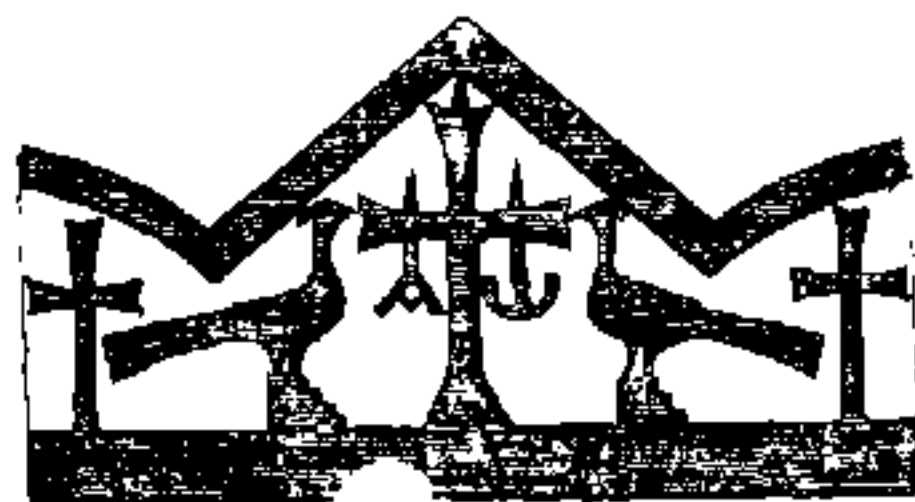
الكنيسة بعد أن حلّ المسيح فيها صارت تعتمد مباشرة، لم تكن هي التي صارت تعتمد بالماء والروح القدس بل مسيحها شخصياً، رأسها غير المنظور.

حينما مُسح المسيح بالروح في الأردن ليباشر خدمة التعميد صار هو المعمد منذ ذلك اليوم إلى الأبد، «دُفع إليّ كل سلطان في السماء وعلى

(50) St. Augustine, *Hom. Gosp. of John*, Tract. XV, 3, V, 9, 11, N.P.N.F. 1st. Ser., VII, p. 100.

34, 35.

الأرض... فاذهبوا... وعمدوهم... وها أنا معكم» (٥١). أما الكنيسة فصارت تلد له
بنين من بطنها التي هي المعمودية المقدسة بعد أن «تمخض بهم» (٥٢) (تعظهم بكلمة
الخلاص) إلى أن «يتصور المسيح فيهم» (أي يكمل إيمانهم بالمسيح).



(٥٢) غل ٤: ١٩.

(٥١) مت ٢٨: ١٨-٢٠.

خامساً- في إنسان العنصرة

هذا هو محور العنصرة، قوة يوم الخمسين، عمل الروح القدس، غاية المسيح من بيت لحم حتى الجلجثة، موعد الآب الذي تكلم عنه جميع الأنبياء!!

الإنسان الجديد الذي نلبسه في المعمودية هو عمل الأقانيم الثلاثة الإلهية في طبيعتنا البشرية لتجديد خلقها من الصورة الآدمية الترابية إلى الصورة المسيحية الإلهية.

نحن نخلع في المعمودية آدميتنا العتيقة بناموسها، لنلبس مسيحيتنا الجديدة ببرها...
«إذاً إن كان أحد في المسيح فهو خليفة جديدة. الأشياء العتيقة قد مضت، هوذا الكل قد صار جديداً» (٥٣).

(أ) عمل الآب في الإنسان الجديد:

إن كل حوادث يوم الخمسين لم تكن جديدة على فكر المتبعين للنبوات؛ فقد سبق الله وأوحى إلى أنبيائه بطرق متنوعة عن إتيان يوم جديد فيه يتغير قلب الإنسان وفكره وروحه؛ ولكن لم يخص الله الأنبياء مثلما خص يوثيل النبي بالحديث والتنبؤ عن يوم العنصرة، حتى دُعي من دون جميع الأنبياء بني العنصرة.

تكلم يوثيل النبي عن مجيء اليوم الذي سيسكب فيه الله روحه على كل بشر؛ وظلت هذه النبوة بصفة خاصة تُدعى «موعد الآب»، لأنها تختص بوعده الله إرسال روحه في إرسالية عمومية للإنسان: «هذا ما قيل بيوثيل النبي: يقول الله و يكون في الأيام الأخيرة أني أسكب من روحي على كل بشر...» (٥١).

و يعود السيد المسيح يذكر تلاميذه قبل صعوده مباشرة بهذه النبوة التي على ما يُظن كان قد شرحها لهم وفسرها بتدقيق، ودعاها «موعد الآب»: «وفيا هو مجتمع معهم

(٥١) أع ٢: ١٦، ١٧.

(٥٣) ٢ كور ٥: ١٧.

أوصاهم أن لا يبرحوا من أورشليم بل ينظروا موعد الآب الذي سمعتموه مني» (٥٥).

وحدث لما حل الروح القدس واندھش الحاضرون لما رأوا وسمعوا من حوادث ذلك اليوم العظيم، أن تذكر بطرس الرسول كلام المسيح عن هذه النبوة بالذات، فقام وأخذ يشرح وعد الآب بيوثيل النبي: «فوقف بطرس مع الأحد عشر ورفع صوته وقال لهم: أيها الرجال اليهود والساكنون في أورشليم أجمعون... هذا ما قيل بيوثيل النبي» (٥٦)، وأخذ يشرح لهم موعد الآب كما سمعه من المسيح... واستطرد إلى أن أكد أن الروح القدس الذي يرونه ويسمعونه هو من الآب أرسله المسيح حسب وعده: «وإذ ارتفع بيمين الله وأخذ موعد الروح القدس من الآب، سكب هذا الذي أنتم الآن تبصرونه وتسمعونه» (٥٧).

لذلك فنحن نعتبر أن الخليقة الجديدة التي أكملها يسوع فينا على صورته في المعمودية بالروح القدس هي أصلاً وعد الآب.

وحتى هذه الصورة الجديدة التي أخذناها في المعمودية التي هي صورة ربنا يسوع المسيح «في البر والقداسة والحق» (٥٨)، لو تعمقنا أصولها لوجدناها هي أيضاً من عمل الآب؛ بل هي امتداد لبهاء صورة الله الآب غير المنظور. فنحن نقرأ لبولس الرسول في الرسالة الثانية لكورنثوس: «المسيح الذي هو صورة الله» (٥٩)، ثم نعود فنقرأ له في نفس الرسالة كيف نتحول نحن بواسطة الروح القدس إلى هذه الصورة المجيدة عينها!!... «ونحن جميعاً ناظرين مجد الرب بوجه مكشوف كما في مرآة نتغير إلى تلك الصورة عينها من مجد إلى مجد كما من الرب الروح» (٦٠).

وربما نستكثر على أنفسنا ولا نعقل بالمرّة كيف أن صورتنا تكون ممجدة أو أنها تزداد في المجد على شبه صورة الإبن، أو بالحرى على شبه صورة بهاء مجد الله الآب، ولكن

(٥٧) أع ٢: ٣٣.

(٥٦) أع ٢: ١٤-١٦.

(٥٥) أع ١: ٤، لو ٢٤: ٤٩.

(٦٠) ٢ كو ٣: ١٨.

(٥٩) ٢ كو ٤: ٤.

(٥٨) أف ٤: ٢٤.

أليست خلقتنا الأولى تمت وكملت لتكون على صورة الله : «نعمل الإنسان على صورتنا» (٦١) متكلماً بصيغة الجمع مشيراً إلى الأقانيم الثلاثة !!؟ أية صورة مجيدة هذه ! إنها أخفيت عن أعيننا بسبب الخطية...

ولكن نحن في المعمودية نغتسل ونتطهر من وسخ الخطية ؛ الروح القدس يقدسنا ويمجدنا لنحمل مرة أخرى صورة خالقنا في المجد والكرامة «إذ خلعتم الإنسان العتيق مع أعماله ولبستم الجديد الذي يتجدد للمعرفة حسب صورة خالقه !!!» (٦٢).

ولكن الإنسان الجديد لا يُستعلن تماماً الآن بالرغم من أننا نلبسه لبساً، فهو يظل كامناً فينا نحسه وبحسه الآخرون فينا، ولكن لا نراه. نحن نعيش فيه ولكن في سر، إلى أن يُستعلن تماماً بمجيء الرب : «أيها الأحباء الآن نحن أولاد الله، ولم يظهر بعد ماذا سنكون، ولكن نعلم أنه إذا أظهر نكون مثله لأننا سنراه كما هو» (٦٣).

ولو عدنا إلى حادثة تجلي الرب نقرأ هكذا : «وإذا رجلان يتكلمان معه وهما موسى وإيليا اللذان ظهرا بمجد» (٦٤)، حينما نخلع هذا الجسد الترابي، يظهر أيضاً مجد الداخل، هو مخفي عن أعيننا الآن إلى أن نخلع العتيق تماماً... سنخلعه يوم مجيء الرب فنوجد معه في المجد !! «لأنكم قد مُثِّمٌ وحياتكم مستترة مع المسيح في الله. متى أظهر المسيح حياتنا فحينئذ تظهرون أنتم أيضاً معه في المجد» (٦٥).

و يلد لنا أن نعود بهذا المجد إلى مصدره ومنبعه ؛ فالإنسان الجديد المجيد الذي يخلقه فينا الرب يسوع، هو في الواقع استجابة لمشيئة الله الآب «أن تلبسوا الإنسان الجديد المخلوق بحسب الله» (٦٦).

والمجد الذي سيقوم به هذا الإنسان الجديد عند استعلان ومجيء الرب يسوع هو بعينه المجد الذي قام به يسوع من الأموات ؛ أما المجد الذي قام به المسيح فهو بعينه مجد الآب !!... «كما أقيم المسيح من الأموات بمجد الآب هكذا نسلك نحن أيضاً في

(٦٣) ١ يوحنا ٣: ٢.

(٦٦) أف ٤: ٢٤.

(٦٢) كو ٣: ٩، ١٠.

(٦٥) كو ٣: ٣.

(٦١) تك ١: ٢٦.

(٦٤) لو ٩: ٣٠، ٣١.

جدة الحياة» (٦٧).

الآن كم هو جليل حقاً أن نكتشف عمل الآب في خلقه إنساناً جديداً!! أما هذا العمل الجليل فينحصر نوعاً ما كما رأينا، فهو إعادة صورة مجده في جبلتنا حسب سابق حكمته في خلقتنا لإعدادنا للحياة معه «في المجد».

(ب) عمل الإبن في الإنسان الجديد:

١ - أثمر موت المسيح في حياتنا:

إن لم تقع حبة الخنطة في الأرض أولاً وتموت؛ فلا ينتظر أن نحصد قحاً جديداً...

فإن كان لنا أن نفتخر بإنساننا الجديد الذي نناله بالروح القدس في المعمودية فما ذلك إلا على أساس القوة التي حصلنا عليها بموت الرب والتي بمقتضاها استطعنا أن نخلع العتيق!... هذه القوة اللازمة لخلع العتيق تساوي في عمقها اللاهوتي القوة اللازمة لانبعث الإنسان الجديد!!؛ هذه الحقيقة تتضح لنا أكثر حيناً نعلم أنه لكي نحيا ولكي نصير خليفة جديدة، مات الرب على الصليب!!

ونحن نعلم أن «الموت الذي ماتته (الرب) قد ماتته للخطية» (٦٨). إذن فموت الرب رفع عنا الخطية التي هي سبب موتنا... وهكذا نرى أن موت الرب أحيانا: «ونحن أموات بالخطايا أحيانا مع المسيح» (٦٩).

في المعمودية نحن نشترك في موت الرب، والإشتراك في موت الرب هو نفسه اشتراك في حياته بلا شك.

٢ - المسيح يجاهد معنا بعد المعمودية:

قوة موت الرب لا تزال تهبنا سلطة أيضاً على الخطية حتى بعد المعمودية، المعمودية

(٦٧) روم ٤: ٤.

(٦٨) روم ٦: ١٠.

(٦٩) أف ٢: ٥.

لا تُلغى الخطية ولكن الروح القدس يهبنا قوة ضد الخطيئة تستمر معنا كل أيام حياتنا...

نحن نجحد الشيطان والخطية في المعمودية، وبعد المعمودية نجاهد ضدّهما «إحسبوا أنفسكم أمواتاً عن الخطية... لا تملكّن الخطية في جسدكم المائت لكي تطيعوها في شهواته... فإن الخطية لن تسودكم» (٧٠).

في المعمودية نحن نتحرر من سلطان الشيطان بقبولنا المسيح إلهاً، نحن نجحد الشيطان علناً تحقيقاً لقبولنا المسيح إلهاً.

المسيح في المعمودية يطرد عنا الشيطان كما كان يطرده من الذين عليهم الأرواح النجسة في الجليل أو في الناصرة. سلطانه لا يزال بيده...

المسيح في المعمودية يمارس خدمته الأولى، يشفي كل مرض وكل سقم في الكنيسة ويطرد الأرواح النجسة...

المسيح لما اعتمد في الأردن وحلّ عليه الروح القدس، أصدعه الروح إلى البرية ليجرّب من إبليس؛ نحن نأخذ المسيح في المعمودية وفي الحال يشهد لنا الروح أننا صرنا أولاد الله، ولكن بعد ذلك يُصعدنا الروح إلى برية العالم لنجرّب من إبليس!...

نحن لا نزال بعد المعمودية نكمل قوة المعمودية، التوبة هي قوة المعمودية! في المعمودية نأخذ صورة المسيح في إنساننا الجديد، وبعد المعمودية ننمّي حواس هذه الطبيعة الجديدة، وندرّها في البر والقداسة والحق كما يحق «للإنسان الجديد المخلوق حسب الله» (٧١). مركز المسيح بالنسبة للإنسان الجديد هو الأصل الذي تنحدر منه الصورة؛ وهو مجد هذه الصورة؛ والطبيعة التي تستمد منها صفاتها، والقوة التي تتخذ منها كيائها الدائم ووجودها في الحاضر والمستقبل.

الإنسان الجديد المخلوق في المسيح يسوع حسب الله في البر وقداسة الحق سيظل في

(٧١) أف ٤: ٢٤.

(٧٠) روم ٦: ١١، ١٢، ١٤.

صراع دائم ضد العالم والجسد والشيطان؛ بعد المعمودية...

إبليس ترك المسيح بعد تجربة الجبل إلى حين، إبليس عاد إلى المسيح ليجربه فينا، المسيح فينا لا يزال يواجه العدو، هو يحارب عنا، ولكنه لا يستطيع أن يحارب عنا بدوننا...

صراعنا مع العدو مضمون النصر إن كنا نلتفت إلى المحارب عنا «ناظرين إلى رئيس الإيمان ومكمله يسوع» (٧٢).

هذا الصراع الدائم «من أجلك ثمات كل النهار» (٧٣) هو صراع لذيذ سناه بولس «الجهاد الحسن» (٧٤)، بولس أكمله بالإيمان وعبر... سوف نرى في بعض الكلمات القليلة القادمة حيناً نتكلم عن المسحة المقدسة، أن صورة الإنسان الجديد مختومة بختم المسيح والختم يحمل صورة صاحبه.

نحن معتبرون ملكاً ليسوع المسيح، كغنمة مُشتراه لتقدّم ذبيحة طاهرة، أو كعبد مُشترى لخدمة سيده، أو كجندي صالح يحارب حروب الرب...

ولكن الختم لا يحمل صورة رمزية مكتوبة بأحرف ميتة بل صورة حية ناطقة متحركة «به نحيا ونتحرك ونوجد» (٧٥)؛ ختم المسيح هو صلة حية نستمد منها كل ما للمسيح حسب قياس قامتنا الروحية، نحن ننمو في المسيح، وليس لنمونا نهاية إلى أن نبلغ «إلى قياس قامته ملء المسيح» (٧٦)، إلى أن نصل إلى حدود صورة المسيح فينا حينها «من مجد إلى مجد كما من الرب الروح» (٧٧).

وهنا نقف وقفة قصيرة نكشف فيها سر ارتباطنا بالمسيح بتأملنا في «حروف الجر» التي استخدمها بولس الرسول بوفرة ليُعبر بها عن صلتنا السرية واتحادنا الخفي بيسوع المسيح الذي نستمد منه كياننا النسيحي ووجودنا:

(٧٤) ٢ إلى ٤: ٧.

(٧٣) روم ٨: ٣٦.

(٧٢) عب ١٢: ٢.

(٧٧) ٢ كو ٣: ١٨.

(٧٦) أف ٤: ١٣.

(٧٥) أع ١٧: ٢٨.

دُفْنَا مَعَهُ، متحدّين معه بشبه موته، إنساننا العتيق صُلب معه، متنا مع المسيح، سنحيا أيضاً معه، أنتم أحياء لله بالمسيح، لا دينونة الآن على الذين هم في المسيح، الله اختارنا فيه قبل تأسيس العالم، الله عَيَّنَّا للتبني بيسوع المسيح، سبق رجاؤنا في المسيح، أحيانا مع المسيح، أقامنا معه، أجلسنا معه في السمويات في المسيح (٧٨).

من هذه التعبيرات اللاهوتية التصوفية يتبين لنا أن صلتنا «بالمسيح» أو «مع المسيح» أو «في المسيح» هي صلة عجيبة ليست من نوع مألوف لدى الفكر، لا يستطيع العقل أن يحيط بمعناها تماماً، نحن نستطيع أن نحسها فقط في أعماقنا، نحسها بالروح في الصلاة فنتحقق من صدق هذه التعبيرات ودقتها، بولس الرسول كان يصف حالة داخلية تملأ كيانه؛ إسمع وتأمل ما يقول بولس الرسول كأنه يصف رؤيا:

— «أحيا لا أنا بل المسيح يحيا فيّ» (٧٩).

— «أما نحن فلنا فكر المسيح» (٨٠).

— «ليحل المسيح بالإيمان في قلوبكم» (٨١).

— «تتمثلوا إلى كل ملء الله» (٨٢).

— «لأننا أعضاء جسمه من لحمه وعظامه» (٨٣).

«لأنكم كلكم الذين اعتمدتم بالمسيح قد لبستم المسيح» (٨٤).

بماذا نستطيع أن نعلّق على هذه المشاعر والأحاسيس الإلهية إلا أن نقول: آمين...

وليس بولس فقط بل وآباء الكنيسة عاشوا في هذه الحقائق، لبسوا المسيح لبساً وتغيروا إلى تلك الصورة عينها!!

إسمع القديس إغريغور يوس النرينزي يقول: [إن أجزاءنا التي لا تتغير إلى هذا

(٧٨) روم ٤: ٦-١١، ١: ٨، أف ٤: ١-٤، ١٢: ٢، ٦: ٥.

(٨١) أف ٣: ١٧.

(٨٠) ١ كو ٢: ١٦.

(٧٩) غل ٢: ١٩.

(٨٤) غل ٣: ٢٧.

(٨٣) أف ٥: ٣٠.

(٨٢) أف ٣: ١٩.

الشكل تبقى عديمة الشفاء... [٨٥].

ويشترك معه أيضاً القديس إغريغور يوس النيسي: [نحن نعلم أن كلمة الله صار هو المسيح الرب؛ وكل من يدركه يصير مثله] [٨٦].

ويشترك مع الإثنين القديس يوحنا ذهبي الفم: [الذي يعتمد للمسيح لا يولد من الله فقط بل إنه يلبس المسيح أيضاً، ولا تأخذ هذا على المعنى الأدبي كأنه عمل من أعمال المحبة، بل الأمر حقيقة، فالتجسد جعل اتحادنا بالمسيح واشتراكنا في الألوهة أمراً واقعاً] [٨٧].

وبولس كان حقاً يعيش في المسيح لأن المسيح كان حياته!! فهو لم يقل أن المسيح أحياء فقط بل قال: «لي الحياة هي المسيح» [٨٨]، بل قال أيضاً بصراحة ووضوح «متى أظهر المسيح حياتنا» [٨٩]. فإن كان بولس الرسول يحيا في المسيح، أليس هو شريكاً إذن في الحياة الأبدية مع الله؟ «هبة الله هي حياة أبدية بالمسيح» [٩٠].

«إننا ورثة أيضاً، وورثة الله، ووارثون مع المسيح» [٩١]. و يوحنا الرسول يدغم المعنى ويوضح كليته صلتنا السرية بالمسيح، باعتبار المسيح هو نفسه الحياة، الحياة الأبدية بقوله: «الحياة أظهرت وقد رأينا ونشهد ونخبركم بالحياة الأبدية التي كانت عند الآب وأظهرت لنا... شركتنا هي مع الآب ومع ابنه» [٩٢].

أما حواس الإنسان الجديد وسلوكه فلا يرى بولس الرسول أنها تستمد تجديدها فقط من المسيح، بل إنها تعمل بالمسيح، أو على الأصح أن المسيح يعمل بها، فهي حواس المسيح أكثر من أن تكون حواسنا «يسوع المسيح الذي صار لنا حكمة من الله وبراً وقداً وفداءً» [٩٣].

(85) Letter Cl to Cleodnius, P G 37, 181

(86) Antirrheticus Adv Apollin., 53. P G 45, 1251

(87) Cited in: *Orthodox Spirituality* by a Monk of the Eastern Church London, 1957, p 58

(٩٠) روم ٦: ٢٣.

(٨٩) كور ٤: ٤.

(٨٨) في ١: ٢١.

(٩٣) ١ كور ١: ٣٠.

(٩٢) ١ يوح ١: ٣، ٢.

(٩١) روم ٨: ١٧.

إذن تأمل معي أيها القارئ في قيمة التجسد الإلهي وفي قيمة المعمودية الرب وفي قيمة موته، وفي قيمة قيامته، وما آلت إليه كل هذه من نحونا... حتى وكأنا لم تحدث حركة ما في السماء أو على الأرض منذ أول الدهور حتى هذا اليوم الخمسين إلا وكانت تعمل لبناء الإنسان الجديد في المسيح بالروح القدس.

كم هي عميقة ومنتسعة وعجيبة حدود خلاصنا! وكم هي سهلة أيضاً!!

« كيف ننجو إن أهملنا خلاصاً هذا مقداره؟ » (٩٤).

(ج) عمل الروح القدس في الإنسان الجديد:

أولاً: الروح القدس والماء: أو الميلاد الثاني.

نحن أمام قضية نيقوديموس: كيف يولد الإنسان ثانية؟

نترك هنا الكلام للقديس يوحنا ذهبي الفم ليرد على هذا السؤال:

[وكما أن قوة النار حينما تتسلط على عروق الذهب الغشيمة المختلطة بتراب الأرض، فإنها تتحول حالاً إلى ذهب نقي؛ هكذا أيضاً بل وأكثر من هذا يعمل الروح القدس في المعمودية في الذين يغسلهم؛ إذ يحولهم إلى ما هو أنقى من الذهب عوض الطين، فحينما يحل الروح القدس « كالنار » في نفوسنا يحرق أولاً « صورة الترابي » ليعطي « صورة السمائي » فتصير كعملة جديدة بهيئة متألثة خارجة من أفران الصهر] (٩٥).

[أما كيف يُخلق الإنسان جديداً من الماء بواسطة الروح، فبنفس القوة والسر اللذين بهما تُخلق الإنسان أولاً من تراب!! وكما تقوى التراب وتشدد بإرادة الله وصار أعضاءً وأجهزة جسدية كاملة، هكذا وأكثر أيضاً يعمل الروح القدس بالماء صناعاً أموراً عجيبة وفائقة للعقل.

(٩٤) عب ٢: ٣.

(95) St Chrysostom, *On Gospel of John*; Hom X, 2, N.P.N.F., 1st Ser., XIV. 36

إذن فلا تشك في عمل الماء والروح في الإنسان الجديد بسبب أنك لا ترى؛
فأنت أيضاً لا ترى نفسك التي فيك [١٦].

و يعود نفس القديس يتكلم عن الميلاد الثاني أيضاً:
[ليس بأم وأب، ليس باضطجاع بشر ولا بالأم المخاض نولد ثانية، ولكن من
الروح القدس تُصنع أنسجة طبيعتنا الجديدة، وفي الماء نشكل ومن الماء نولد
سراً كما من الرحم... الرحم يحتاج إلى زمان كثير ليتشكل فيه الجسد أما الماء
والروح ففهما تتشكل حياة الروح في لحظة في طرفة عين!! «المولود من الجسد
جسد هو والمولود من الروح هو روح» [١٧].

(١) الروح القدس صانع هياكلنا الجديدة وموحدها:

نحن نعلم أن كل مولود يأخذ شكل والده؛ ففي العمودية ممن نولد وعلى أي شكل
يكون إنساننا الجديد؟

الروح القدس هو الذي يصنع هيكل إنساننا الجديد، يصنعه من جسد المسيح
السري الذي يملأ السماء والأرض... المسيح دخل العلية والأبواب مغلقة (١٨)، دخلها
بجسده بلحمه وعظامه (١٩)، ولما ظن التلاميذ أنه روح أراهم جسده ولسوه؛ لحم
المسيح وعظامه يمكن أن يُرى ويُلمس ويمكن أن لا يُرى ولا يُلمس.

نحن نولد من هذا اللحم ومن هذه العظام عينها: «نحن من لحمه
وعظامه» (٢٠)!!

الروح القدس يخلق هذا الهيكل الجديد من الجسد غير المنظور، وبعد أن يخلقه
يملاه: «أنتم هيكل الله وروح الله يسكن فيكم» (٢١). الروح القدس لا يخلق
هيكلنا الجديد جزافاً ولكن حسب صورة ابن الله؛ ليس من جهة منظر الجسد ولكن

(96) St Chrysostom, Hom on G. of John Hom XXV, 1, 2, N.&P.N.F. 1st Ser., XIV, 88

(97) Ibid, Hom XXVI, 1, N & P N F., 1st Ser., XIV, 80

(98) لو ٢٠: ٢٦، ١٩. (99) لو ٢٤: ٣٩. (100) أف ٥: ٣٠. (101) ١ كور ٣: ١٦.

من جهة سمات الروح في كل شيء، وبالأخص في الوداعة والطهارة والحق: «تلبسوا
الإنسان الجديد المخلوق بحسب الله في البروقداسة الحق» (١٠٢). الروح القدس يقُدس
طبيعتنا الجديدة باستمرار لتحمل صورة المسيح: «لأن الذين سبق فعرفهم سبق فعينهم
ليكونوا مشابهين صورة إبنه» (١٠٣).

أما القديس أغسطينوس فلا يكتفي بمجرد التشابه، بل يرى أن خلقتنا الجديدة هي
امتداد حقيقي في شخص المسيح:

[لنفرح ونسر ونقدم الشكر لإلهنا لأننا لم نصر فقط مسيحين، بل صرنا
مسيحاً، أتفهمون هذا أيها الإخوة بتدركون مقدار النعمة التي حلت علينا
(بالمعمودية)، إعجبوا وسُرُّوا جداً، لقد صرنا مسيحاً] (١٠٤).

إذن فعل الروح القدس الأساسي في إنساننا الجديد هو إعطاؤنا كل ما للمسيح
لتصير مناسبين للإتحاد الدائم فيه.

لذلك بعد أن ولدنا الروح القدس في المعمودية، ويشكلنا بطبيعة إبن الله، لا يسعه
إلا أن «يشهد لأرواحنا أننا أولاد الله»: «ورثة مع المسيح» (١٠٥)، إذ أنه لا يرانا
ذواتاً مستقلة عن المسيح، بل يرانا قائمين في وحدة مع المسيح؛ يرى المسيح فينا و يرانا
في المسيح...

والعلامة اكليمنديس الإسكندري يرى أن العامل الرئيسي في الإبقاء على هذه
الوحدة المتكاملة في المسيح هو الروح القدس: «ليس بعد بربري أو يهودي أو يوناني
ولا بعد رجل وامرأة بل الإنسان الجديد المخلوق ثانية بالروح القدس» (١٠٦).

والقديس إيريناوس يعبر عن هذه الوحدة بمبدأ لاهوتي معروف في كل كتاباته
مضمونه: إن المسيح استطاع بالروح القدس أن يركز البشرية في جسده وفي شخصه

(١٠٢) أف ٤: ٢٤. (١٠٣) روم ٨: ٢٩.

(104) Augustine, Hom on Gosp of John Tract XXI, 8, N & P.N.F., 1st Ser, VII, p.140.

(١٠٥) روم ٨: ١٦، ١٧. (١٠٦) Protrep XI, 112, 113 Sources Chrétiennes, 2, 180.

فصار المسيح رأساً وجسماً وشخصاً للإنسان الجديد 'المخلوق منه' (١٠٧).

والقديس يوحنا ذهبي الفم يرى أنها مقدره إلهية فائقة أن يجمع المسيح المتضادات والمتخالفات و يوحدتها بالروح القدس في جسده:
[ما معنى هذا؟ معناه أن المسيح جعل الكل وجمع أشتات المتخالفات في جسد واحد] (١٠٨).

ونحن نرى مقارنة ذات اتجاه خلقي وذات غاية متقابلة بين آدم الأول وآدم الثاني (المسيح): فأدم الأول كان الشخص الذي انقسمت منه وانقسمت بواسطته البشرية، وتعددت وتلونت وتخالفت إلى أشكال وأجناس وألسنة وأمم. وكان ذلك بسبب الخطية بتوسط الشيطان.

وجاء آدم الثاني المسيح الرب. وجمع البشرية مرة أخرى في شخصه، وصالحها في طبيعته ووحدها في وحدته؛ وذلك بسبب بره وقداسته بتوسط الروح القدس.

والقديس كيرلس الإسكندري عمود الدين يضيف إلى هذا المعنى قولاً جديداً يجيء في موضعه، حتى لا يتسرب إلى الذهن أن تمرکز البشرية في شخص المسيح الذي يناوي به إيريناوس يحمل مثلاً نوعاً من ضياع شخصياتنا وملاشاتها في انجماعها وتوحدتها بشخص المسيح فقال: إن الكنيسة التي هي جسم البشرية الجديد، ولو أنها ذات طبيعة واحدة في المسيح إلا أنها تشمل في تكوينها أشخاصاً بشريين متميزين منفردين متعددي الفضائل، غير أنهم متأصلون جميعاً في جسد المسيح الواحد يتغذون من ذات الطعام الواحد (١٠٩).

(٢) الروح القدس عامل مباشر في تكوين الشخصية الجديدة:

الروح القدس حينما يملأ هيكلنا الجديد يملأه بمواهب وقدرات جديدة؛ هذه المواهب

(107) Adv. Haer , IV, 33, 14—15; P G VIII, 1082.

(108) Hom LXV, N.&P.N.F 1st. Ser., XIV, 241

(109) De Trinitate, 1, P.G 75, 697

هي التي توجه الشخصيات وتطبعها بطابع خاص...

ليست موهبة كالأخرى، فع أن الروح واحد لكن المواهب كثيرة جداً ومتعددة...
«فلنواحد يعطى بالروح كلام حكمة، ولآخر كلام علم بحسب الروح الواحد، ولآخر
إيمان بالروح الواحد، ولآخر مواهب شفاء بالروح الواحد، ولآخر عمل قوات، ولآخر
نبوة، ولآخر تمييز أرواح، ولآخر أنواع السنة، ولآخر ترجمة السنة؛ ولكن هذه كلها
يعملها الروح الواحد بعينه قاسماً لكل واحد بمفرده كما يشاء» (١١٠).

ولكن بالرغم من هذا التمايز المتعدد النواحي في الشخصيات الموهوبة بالروح
القدس، إلا أنها تعمل بقيادة الروح الواحد لحساب المسيح!! فنحن، من ناحية، نجد
الروح القدس يوحد البشرية كلها في جسم واحد فيزيل جميع الفوارق الجنسية و يرفع
الحواجز العنصرية، فتذوب كلها وتصير البشرية كأنها عُجنت من جديد عجينة واحدة
متجانسة؛ وذلك بفعل الإتحاد في جسد المسيح السري.

ومن ناحية أخرى، نجد نفس الروح القدس يعمل على خلق شخصيات متميزة،
بأن يهب لشخص ما لا يهبه لآخر، و يضم الأعمال تبعاً للمواهب؛ وإنما بحكمة
ومقدار، حتى يصير من هذه التمايزات وحدة أيضاً، وحدة عمل وبنيان تهدف كلها
لغرض واحد وهو اكتمال هذا الجسد الواحد السري أي الكنيسة...

ثانياً- الروح القدس والميرون:

(أ) مسحة الروح القدس:

طبعاً يعرف القارئ أن الميلاد الجديد للإنسان الذي يقال له عند العامة
«التنصير» يتم بواسطة إجراء سر المعمودية، يتلوه سر مسحة الميرون، غير أن سر مسحة
الميرون يلزم حسب الطقس الكنسي أن يُجرى للمعمد مباشرة بعد صعوده من الماء.

والروح القدس عامل أساسي في كلا السرين؛ في الأول يلد الإنسان، وفي الثاني

(١١٠) ١ كو ١٢: ٨-١١.

يحل على المعتمد ليملاه. في الأول يشترك المعتمد في جسد المسيح السري، وفي الثاني يشترك الممسوح في مسحة المسيح على الأردن!! والروح القدس واسطة الاتحاد في السر الأول بالتطهير، وفي السر الثاني بالتقديس ومنح المواهب الروحية للنمو.

سر المسحة بالميرون المقدس هو مثل مباشر لمسحة المسيح بالروح القدس بعد خروجه من مياه الأردن، هذا من جهة الطقس، أما من جهة الأثر القمّي، فالروح القدس بواسطة رشم الزيت المقدس يجعلنا شركاء في مسحة المسيح، أو بالحري يجعل المسيح الممسوح بالروح القدس حياً وعاملاً فينا!!

في هذا المعنى يتكلم القديس كيرلس الأورشليمي بكلمات إلهية قائلاً:
[قد صرتم مسحاء إذ قبلتم الروح القدس، وكل شيء قد صار عليكم بحسب الرسم، إذ أنكم رسوم المسيح؛ فإنه لما استحم في نهر الأردن وصعد منه، انحدر الروح القدس عليه جوهراً؛ واستراح المثل على مثيله؛ ونحن أيضاً بعد أن صعدنا من جرن الينابيع المقدسة، مُنحت لنا المسحة رسمياً كما مُسح بها المسيح، أعني الروح القدس... ولكن أنظر واحترس من أن تظن ذلك الميرون بسيطاً لأنه كما أن خبز الشكر بعد استدعاء الروح القدس ليس خبزاً بسيطاً ولا عمومياً بعد الدعاء، بل هو جسد المسيح، هكذا هذا الميرون المقدس، لا يعود ميروناً بسيطاً ولا عمومياً بعد الدعاء، بل هو موهبة المسيح وحضور الروح القدس فاعلاً فعل ألوهيته، فتمسح به كل جبهتك وسائر حواسك، والمسيح يكون هو الذي رسم. فإن الجسم يُدهن بالميرون الظاهر ولكن النفس تُقدس معاً بالروح القدس المحيي] (111).

الروح القدس ظهر في عماد المسيح بهيئة حمامة؛ الحمامة في الرمز الإنجيلي تشير إلى رسالة الحياة الجديدة، كما حملتها حمامة الفلك أيام الطوفان حينما جاءت بغصن الزيتون في فمها بعد انتهاء الفيضان علامة على ظهور الحياة الجديدة على الأرض.

(111) St. Cyril of Jerusalem, On the Mysteries Lects., XXI, 1, 3, N & P N F, 2nd Ser., VII, 149—150

الحمامة التي استقرت على المسيح كانت إشارة إلى إنتهاء عهد الموت ، موت طوفان الروح وبدء حياة جديدة بالروح القدس . في هذا المعنى يقول القديس افرام السرياني :
[إن سفينة نوح كانت تبشر بمجيء المزمع أن يسوس الكنيسة في المياه ، وأن يرتد أعضاؤها إلى الحرية باسم الثالوث الأقدس ، وأما الحمامة فكانت ترمز إلى الروح القدس المزمع أن يصنع مسحة هي سر الخلاص] (١١٢).

الميرون الذي تستخدمه الكنيسة هو زيت شجرة الزيتون ؛ لم تخرج الكنيسة قط عن ربط الرمز بالرموز إليه ، وتحقيق إشارات ونبوات الروح عملياً ، فأوراق الزيتون التي حملتها حمامة الفلك علامة على بدء الحياة الجديدة على الأرض ، استخرجت الكنيسة من ثمرتها زيت المسحة ، وهيئته للحمامة غير المنظورة أي الروح القدس ، لكي يعطي به حياة جديدة بالروح ...

كلمة المسحة تشير إشارة لفظية وعملية لكلمة المسيح ... الأب مسح إبنه بالروح القدس بعد العماد ؛ كذلك يعمل الروح القدس في سر المسحة ؛ إنه يُشركنا في مسحة المسيح كقول القديس كبريانوس :
[من اعتمد ينبغي أن يمسح أيضاً لكي يصير بواسطة المسحة ممسوحاً لله و يأخذ نعمة المسيح] (١١٣).

الإبن أرسل الروح القدس من عند الأب كوعد الأب !
الأب مسحنا بالروح القدس لتكون أعضاء في جسد إبنه !
سر المسحة يثبتنا في الثالوث الأقدس ... إنه سر الثبوت :
«ولكن الذي يثبتنا معكم في المسيح وقد مسحنا هو الله الذي ختمنا أيضاً وأعطى عربون الروح في قلوبنا» (١١٤).

(112) Hymnen de Fide 49, 4 — CSCO 154, p 155.

(113) Letter 70, 11, 2

(١١٤) ٢ كور ١: ٢٢، ٢١.

(ب) ختم الروح القدس: أو الختانة الروحية، جلجال العهد الجديد:

أول من تكلم عن فعل الروح القدس في الإنسان كختم هو بولس الرسول؛ وأول فكرة عن الختم كانت مرادفة للختان الذي أجراه إبراهيم في لحم غرلته كأمر الرب له، كعلامة أو شهادة دائمة على إيمان إبراهيم بالله.

«وأخذ علامة الختان ختماً لبر الإيمان» (١١٥).

إبراهيم أخذ ختم إيمانه في الجسد بختانة عضو التناسل الذي هو عضو حياة الجسد. وكان هذا رمزاً لختم الإيمان الذي سيكون بختانة القلب في الداخل الذي منه يخرج الحياة الروحية!!

«لأن اليهودي في الظاهر ليس هو يهودياً ولا الختان الذي في الظاهر في اللحم ختانياً بل اليهودي في الخفاء هو اليهودي وختان القلب بالروح هو الختان» (١١٦).

إبراهيم آمن بالله الذي يحيي الموتى فحُسب إيمانه براً. «ولكن لم يُكتب من أجل إبراهيم وحده أنه حُسب له، بل من أجلنا نحن أيضاً الذين سيحسب لنا، الذين نؤمن بمن أقام يسوع من الأموات. الذي أسلم من أجل خطايانا وأقيم من أجل تبريرنا» (١١٧).

نحن نؤمن أن يسوع المسيح مات وأنه قام أيضاً؛ نحن نعتمد لتبرهن على إيماننا عملياً فنشترك معه في الموت والقيامة.

إن معموديتنا إذن هي شهادة إيماننا. لذلك صارت المسحة بالميرون المقدس بعدها عبارة عن ختم سري بالروح القدس، ختانة روحية في القلب، علامة أبدية غير منظورة أننا قد تبررنا بالإيمان!!

هذا الختم نأخذه الآن في هذا الدهر عربون ميراثنا في الحياة الأبدية «الذي ختمنا

(١١٧) روم: ٢٣-٢٥.

(١١٦) روم: ٢٨، ٢٩.

(١١٥) روم: ١١.

أيضاً وأعطى عربون الروح في قلوبنا» (١١٨). هذا الختم عينه محفوظ لنا إلى اليوم الأخير «لا تُحزنوا روح الله القدوس الذي به خُتمتم ليوم الفداء» (١١٩).

وسيظل هذا الختم العلامة التي تميّز أولاد الله الوارثين مع المسيح ليُحفظوا من الضربات الأخيرة على الأرض: «وقيل له أن لا يضر عشب الأرض ولا شيئاً أخضر ولا شجرة ما إلا الناس فقط الذين ليس لهم ختم الله على جباههم» (١٢٠).

صورة الختم:

يقول القديس كيرلس الأورشليمي:

[لا تنسوا الروح القدس في أوقات استنارتكم لأنه يكون حينئذ مستعداً أن يختم نفوسكم بختمه] (١٢١).

ما هذا الختم ياترى؟

لوتبعنا كلمة ختم وهي ترجمة ΣΦΡΑΓΙΣ [Sphragis = σφραγις] في اللغة اليونانية — وهي اللغة التي كتب بها بولس الرسول رسائله: نجدها — خصوصاً من الناحية الطقسية الفنية — تعني علامة خاصة تُصنع على الجبهة، إما للحيوانات الطاهرة المعدة للذبيحة الإلهية، أو للعبيد الخصوصيين أو الجنود التابعين.

هذه الكلمة عينها استخدمها بولس الرسول بمعنى «سمة»: «إني حامل في جسدي سمات الرب يسوع» (١٢٢).

وهكذا نستطيع أن نتبع المعنى الذي كان يقصده من قوله: «بولس عبد يسوع المسيح» (١٢٣)، «وقد حسبنا مثل غنم للذبح» (١٢٤)، و«اشترك أنت في احتمال المشقات كجندي صالح ليسوع المسيح» (١٢٥).

(١٢٠) رؤ ٩: ٤.

(١١٩) أف ٤: ٣٠.

(١١٨) ٢ كو ١: ٢٢.

(121) Cat. XVII, 35, N.&P N F., 2nd Ser., VII, 132.

(١٢٥) ٢ تي ٢: ٣.

(١٢٤) رو ٨: ٣٦.

(١٢٣) رو ١: ١٠.

(١٢٢) غل ٦: ١٧.

إذن فالختم الذي يطبعه علينا الروح القدس في المسحة لا بد أنه يحمل إسم وصورة المسيح كصاحب ومالك لنفوسنا؛ فلا نعود بعد ذلك أحراراً لأنفسنا بل عبيداً للذي اشترانا بدمه... «أنتم لستم لأنفسكم لأنكم قد اشترىتم بثمن» (١٢٦).

وماذا تكون صورة المسيح المطبوعة علينا؛ إله مصلوباً أو متألماً، أو على الأقل مقيداً ومهاناً، يحاكم أمام هيرودس أو بيلاطس!!

حينما يختمنا الروح القدس بصورة المسيح في طقس المسحة نصير أحد ثلاثة: إما عبداً خاضعاً ليسوع المسيح يقوده في موكب نصرته؛ أو جندياً صالحاً يجاهد الجهاد الحسن؛ أو غنمة مستضعفة محفوظة ليوم الصليب!

قوة الختم:

ليس الختم هو مجرد صورة، بل هو فعل روحي يتغلغل كل كيان الإنسان الجديد حتى أعماقه «إلى مفرق النفس والروح والمفاصل والمخاخ» (١٢٧).

هو عملية تقديس الأعضاء بطبيعة الروح القدس النارية؛ فيها تحترق كل شوائب الفكر البشري غير الصالحة وكل الأعمال الميتة: «يطهر ضمائركم من أعمال ميتة لتخدموا الله الحي» (١٢٨).

والكاهن حينما يقوم بإجراء طقس المسحة و يرشم الأعضاء الظاهرة بالميرون المقدس، وعددها ٣٦ رشماً، فهو في الواقع يختم الأعضاء الداخلية أيضاً التي للإنسان الجديد؛ هو يقديس الحواس جميعاً؛ هو يقديس كل عضو (٥) حتى يصير الإنسان كله «خليقة جديدة في المسيح» (١٢٩).

(١٢٦) ١ كور ٦: ١٩-٢٠. (١٢٧) عب ٤: ١٢. (١٢٨) عب ٩: ١٤.

(٥) إن الخطية التي تقع على الكاهن الذي لا يدقق في رسم الأعضاء بالميرون، أو يختصرها، أو يهملها جملة، مكتفياً بإلقاء جزء من الميرون في ماء المعمودية؛ هي خطية عظيمة تحمل في معناها الإزدراء بقيمة عمل الروح القدس في الرشومات واحتقاراً لسر المسحة وأثره، وهذا قد انعكس على المعمدين، وخصوصاً أولاد هذا الجيل، فنشأوا غير ثابتين والتهبت أعضاؤهم بالشهوة...

(١٢٩) ٢ كور ٥: ١٧.

وفي هذا المعنى نجد للقديس كيرلس الأورشليمي كلمات معزّية:
[هذه المسحة احفظوها طاهرة لأنها تعلم كل شيء إذا لبثت فيكم، لأن الروح
القدس جزز للجسد وخلص للنفس] (١٣٠).

ختانة الأعضاء:

حينما يبدأ الكاهن برشم الميرون يبدأ من منتصف الرأس... وإني لمتعجب
ومندهش من حكمة الكنيسة في ذلك، فرأس الإنسان يحوي المخ حيث تتجمع مراكز
التفكير والتمييز والحواس جميعاً!!

رأس الإنسان هو حصن العقل أول جزء اقتحمه الشيطان، وأول عضو دخلته
الخطية... عندما أكل آدم من شجرة معرفة الخير والشر...

عقل الإنسان كان حصناً إلهياً منيراً، مركز المعرفة الذي يستمد به معرفة الحق
الإلهي كاملاً دون انقسام أو بلبلة. ولكن بعد أن اشتبه الإنسان المعرفة المستقلة، وأن
يكون كالله عارفاً، عارفاً بشخصه وبمقدرته، وهام وراء الاستقلال الذاتي، وحوّل مركز
تقبله للحقائق من الله إلى ذاته، تعرّض في الحال لنقص في المعرفة لأنه أصبح يستمدّها
من خبرته الشخصية... وما الخطأ أو ما الخطية في أصولها إلا معرفة ناقصة!!

ومنذ آدم حتى اليوم والعقل هو العضو الأول الذي يقتحمه الشيطان و يصنع فيه
كل خطية وكل إثم وكل نجاسة!!

أنظر أنت نفسك كيف تدخلك الخطية، وبأي مكان فيك تبدأ عملها! إنه
عقلك... فإذا احتلت الخطية هذا الحصن الجبار استولت على جسمك كله، واستعبدت
جميع أعضائك، وسخرت كل إرادتك وقوتك وإمكاناتك.

لذلك فالروح القدس بالمثل أول ما يقدر يقدر العقل؛ يختنه ختانة روحية،

(130) St. Cyril of Jerusalem, On the Mysteries, III, 7; Cat. XXI, 7, N & P.N.F., 2nd Ser., VII,
150

يضع عليه ختم الله حتى لا يعود يفتح أبوابه بسهولة أو بخضوع ذليل للشيطان وحيله ، بل يجاهد بكلمة المسيح و يغلب بسيف الروح .

وكما ملكت الخطية على الجسد واستعبدت أعضائه « كآلات إثم للخطية » وكان الإنسان كله « عبداً للنجاسة » ، كذلك حيناً يملك الروح القدس عقل الإنسان و يقوّسه بصيرته « عبداً للبر » و يجعل أعضائه تخدم « آلات بر للقداسة » (١٣١) .

وكما التهب العقل بالشهوة فاشتعلت الأعضاء كلها تبعاً له ، كذلك يلتهب العقل بحب الله والقداسة فتشتعل الأعضاء كما بنار الله فيشتهي الإنسان في هذه اللحظات لو يصير ذبيحة .

إن العقل هو حصن الإنسان الإلهي الذي خرّبه الشيطان بالشهوات والنجاسات ؛ ولكن عاد الروح القدس وأصلحه وجدده وختمه ، جاعلاً فيه حارساً ليس ضعيفاً كالناموس ووصايا موسى ؛ بل قوياً جباراً هو الحق !!

الحق هو حارس العقل ، الحق هو هبة الروح القدس للعقل البشري ؛ الخطية استعبدت الإنسان لما ملكت عقله ... أما الحق فحرر العقل من كل سلطان الخطية ... « تعرفون الحق والحق يحرككم » (١٣٢) !!

يستمر الكاهن في رسم الأعضاء ، فيمر على وجه المعتمد ويرشم حواسه بمثال الصليب : الأنف والفم والأذن اليمنى مع العين اليمنى ثم العين اليسرى مع الأذن اليسرى ولا يرفع أصبعه حتى يتسنى له أن يصنع من هذه الرشومات صليباً واحداً على كل الوجه !!

ثم يكمل بقية أعضاء الجسم كله ٣٦ رشماً ، لا يترك عضواً أو مفصلاً أو جزءاً في الجسم إلا ويختمه بخاتم الروح .

(١٣١) روم: ٦، ١٣، ١٨، ١٩ . (١٣٢) يوح: ٨: ٣٢ .

وهكذا يكمل الكاهن ختانة الأعضاء وكأنه يخلع عنها غلفتها ، « و به أيضاً خُتنتم ختانياً غير مصنوع بيد بخلع جسم خطايا البشرية » (١٣٣) ، و يعطيها ختم الروح للشهادة وصورة المسيح .

بعد ذلك تصير الأعضاء كلها للمسيح ، بل كما يقول بولس الرسول تصير « أعضاء المسيح » ، لذلك فهو يقشعر حينما يتصور أن إنساناً ما يعود و يستخدم هذه الأعضاء للنجاسة فيقول : « أفأخذ أعضاء المسيح وأجعلها أعضاء زانية ، أستم تعلمون أن أجسادكم هي أعضاء المسيح » (١٣٤) .

حراسة الختم :

ولكن هل ختم الروح القدس الذي نناله بالميرون لا يتلوث قط ! نفهم من قول للقديس أثناسيوس أن تلوث الفكر والأعضاء بعد المعمودية أمر لا مفر منه : [إن العقل هو مرآة الله الكلمة ، ما أسهل أن تتلوث هذه المرآة] (١٣٥) .

ولكن أمر تجديدها وغسلها هو أمر يتكفل به الروح القدس أيضاً في سر الإعراف والتوبة .

فالقديس أثناسيوس يعود و يقول أنه كما أن المعتمد يستنير بنعمة الروح القدس ، هكذا بواسطة الكاهن ينال التائب الغفران بنعمة المسيح .

وكذلك القديس أغسطينوس يقول في ذات المعنى :
[إن الخطية التي يفعلها موعوظ تُغسل بالمعمودية ، وإذا فعلها معتمد تُترك بالتوبة] (١٣٦) .

فالتوبة هي ضابطة المعمودية ، وحارسة أختام المسحة ، وهي الحافظة على حقوق المعتمد ، والضامنة لبقاء وعد الميراث !!

(١٣٣) كو١: ١١ . (١٣٤) ١ كو١٥: ١٥ . Cited in "Orth. Spt." op cit., p. 51 (135)

(١٣٦) كتاب أسرار الكنيسة السبعة ص ١٢٩ لحبيب جرجس .

المختومون : الجلجال الجديد :

حينما عبر يشوع الأردن مع بني إسرائيل تلقوا أمراً إلهياً بعدم التحرك والتزام حدود الجلجال بجوار ضفة الأردن الغربية إلى أن يختتنوا جميعاً في لحم غرلتهم : « وصعد الشعب من الأردن في اليوم العاشر من الشهر الأول وحلوا في الجلجال في تخم أريحا الشرقي ، في ذلك الوقت قال الرب ليشوع اصنع لنفسك سكاكين من صوان وعد فاختن بني إسرائيل » (١٣٧).

هكذا بعدما اعتمد بنو إسرائيل في الأردن إلتزموا بالختان مباشرة إعداداً للدخول بهم إلى كنعان أرض فلسطين أرض الموعد !! وكل من وُجد غير مختون لا يصير من عداد الشعب ولا يكون له نصيب في كنعان .

ما أبدع الرمز وما أقوى التشبيه ، فلم تكن كنعان أرض الراحة الجسدية إلا رمزاً لكنعان السمائية الراحة العليا ، ولم يكن الأردن إلا تعبيراً عن المعمودية دائماً ، وعبره يرمز إلى اجتياز الموت الذي جازه الرب قديماً بالتابوت وحديثاً بجسده في القبر . وما شعب إسرائيل إلا رمزٌ لباكورة المقدين الذين عبروا مع الرب في الأردن قديماً وفي جرن المعمودية حديثاً .

ولم تكن الختانة في الجلجال بعد عبور الأردن مباشرة في لحم الغلظة إلا رمزاً للختانة الروحية في القلب التي تجيز لحاملها الدخول إلى الراحة الأبدية وحق الإمتلاك والميراث مع المسيح في المجد .

« وسمعت عدد المختومين مائة وأربعة وأربعين ألفاً من كل سبط ... ونظرت وإذا جمع كثير لم يستطع أحد أن يعده ... من كل الأمم والقبائل والشعوب والألسنة » (١٣٨).

« وهم سينظرون وجهه واسمه على جباههم » (١٣٩).

□ يا إخوة كلما عيّدتم للعنصرة تذكروا بهذه الأمور .

(١٣٩) رؤ ٢٢: ٤ .

(١٣٨) رؤ ٧: ٤، ٩ .

(١٣٧) يش ٤: ١٩، ٥: ٢ .

الروح القدس وكمال استعلان الثالوث عند القديس أثناسيوس

— ماهية الروح القدس كأقنوم إلهي في الثالوث المتساوي
(وحدة الثالوث المتساوي)

— أثناسيوس وإرساء القواعد الثابتة للاهوت الروح القدس ووحدة الثالوث.

(سنة ١٩٨١)

المحتويات

- ٥/١٨٧ ماهية الروح القدس ، كأقنوم إلهي في الثالوث المتساوي
تعاليم العهد القديم من نحو الروح القدس التي ورثها الرسل الأوائل :
- ٩/١٩١ أولاً : من خلال أسفار العهد القديم العبرية وتعاليم الربيين
- ١٢/١٩٤ ثانياً : من خلال الأسفار القانونية الثانية المدعوة بالأبوكريفيا
- ١٥/١٩٧ ثالثاً : بداية العصر المسيحي
- ١٧/١٩٩ رابعاً : عصر الرسل
- ١٧/١٩٩ ١ - إعلان الروح القدس عن نفسه عملياً للرسل
(سفر أعمال الرسل).
- ٢٧/٢٠٩ ٢ - استعلان الرسل للروح القدس لاهوتياً
(في الرسائل).
- ٢٧/٢٠٩ أ - الروح محيي
- ٢٨/٢١٠ ب - الروح القدس يلد (يخلق ثانية) الإنسان و يتيناه لله
- ٢٩/٢١١ ج - الروح القدس يحررنا و يتدرج بنا في الكمال المسيحي بالإستنارة
- ٣٠/٢١٢ د - الروح القدس يوحد المؤمنين في جسد المسيح ، فيصيروا جميعاً أعضاء فيه ، كنيسة
واحدة بالروح الواحد
- ٣٣/٢١٥ هـ - الروح القدس يوزع المواهب على المؤمنين باعتبارهم أعضاء في جسد واحد لتصير
المواهب جميعاً لخدمة الجسد الواحد (الكنيسة) ، بمشيئة الروح القدس الواحد ، أي لجسد
المسيح « ذاك يمجديني » .
- ٣٣/٢١٥ و - الروح القدس يضطلع بحفظ الوديعه الصالحه ، أي التقليد المسلم في الكنيسة
بالإيمان ، وذلك من خلال سكناه في الأفراد الأمناء له
- ٣٤/٢١٦ ز - الروح القدس بعد أن يستودع مواهبه في قلوب المؤمنين الساكن فيهم ، ينتظر منهم أن
يضمروها بالصلاة والأعمال الصالحه ، لكي تعمل عملها في الكنيسة ، لأن المواهب
الروحية تحتاج إلى الصلاة والأعمال الصالحه ، لتظل متأججة
- ح - الروح القدس يظل يشهد للمسيح في الكنيسة داخل المؤمنين بواسطة المواهب التي
يمنحها للأفراد ، و بواسطة الآيات والمعجزات التي يجربها بواسطتهم إنما حسب إرادته هو ٣٤/٢١٦

ط - التنكر لشركة الروح القدس والإزدراء بها ، تنكّر للاهوت المسيح شخصياً ، وبمثابة

٣٥/٢١٧

صسه ثانية وانتشهر به

٣٦/٢١٨

خامساً : عصر ما بعد الرسل

٣٦/٢١٨

الآباء الرسوليون :

٣٨/٢٢٠

القرن الثاني :

٤٣/٢٢٥

أواخر القرن الثاني حتى منتصف القرن الثالث :

٥٢/٢٣٤

كنيسة الإسكندرية :

٥٧/٢٣٩

القرن الرابع ... قرن المتاعب والتصنيفات

٥٧/٢٣٩

أريوس والآريوسية

٦٤/٢٤٦

يوسابيوس القيصري

٦٤/٢٤٦

كيرلس الأورشليمي

القدّيس أثناسيوس الرسولي

٦٩/٢٤٩

وإرساء القواعد الثابتة للاهوت الروح القدس ووحدة الثالوث

٦٩/٢٥١

أولاً : علاقة الروح القدس الجوهرية بالكلمة

٧٥/٢٥٧

ثانياً : علاقة الروح القدس الجوهرية بالآب والإبن في الثالوث

مسحة المسيح بالروح القدس وقت العماد ،

٨١/٢٦٣

والنعمة التي نلناها من هذه المسحة

٩٢/٢٧٤

مفهوم التجديف على الروح القدس كما يراه القدّيس أثناسيوس

الفصل الأول

ماهية الروح القدس كأقنوم إلهي في الثالوث المتساوي

كان أثناسيوس أول من دافع عن لاهوت الروح القدس، عندما واجه كلاً من جماعة المتقلبين (١) والأريوسيين الذين قالوا بأنه مخلوق. ودفاع أثناسيوس يقوم أساساً على إثبات الوحدة القائمة بين الثلاثة أقانيم الآب والإبن والروح القدس أنهم إله واحد. على أن هذه الوحدة الجوهرية القائمة في الثالوث تتضح من وحدة العمل، فكما أن الإبن لا يعمل شيئاً من ذاته، كذلك الروح القدس لا يعمل شيئاً من ذاته، وإنما كل عمل هو من الثالوث «من الآب بالإبن في الروح القدس».

وأثناسيوس هو أول من أوضح هذا التعبير، وقد أخذ عنه القديس كيرلس وجعله أساساً لفهم الثالوث. وقد جاء دفاع القديس أثناسيوس متفرقاً في مقالاته ضد الأريوسية، ثم مركزاً في أربع رسائل عن «الروح القدس» موجهة إلى الأسقف سيرابيون الذي كان قد بعث إليه أثناء نفيه وهروبه في أعماق الصحاري يشكو فيها من قيام هذه الهرطقة القائلة بمخلوقية الروح القدس ويستفسر عن الرد.

وقد كتب أثناسيوس هذه الرسائل — كما سبق وقلنا — بين سنة ٣٥٨ — ٣٦١ م، وقد خصّ أثناسيوس كل رسالة بناحية هامة من لاهوت الروح القدس: ففي الرسالة الأولى يهتم بلاهوت الروح القدس عامة، مستشهداً بآيات الكتاب المقدس ثم بالوحدة الكائنة بين الآب والإبن والروح القدس، وهي الرسالة الهامة التي سنركز عليها.

الرسالتان الثانية والثالثة وفيها يشدد على لاهوت الروح القدس على نمط الطريقة التي يبرهن بها على لاهوت الإبن.

(١) τροπικοί ومعناها تصوريون Figurists

الرسالة الرابعة وتتركز في تفسير قول الرب عن التجديف على الروح القدس .

ولكن ماذا كانت الرؤية العامة في الكنيسة وعند آباء ما قبل نيقية عن الروح القدس؟

ثم كيف سار منهج التعريف بالروح القدس منذ البدء حتى أناسيوس؟

قبل أن نخوض في هذا الشوط الطويل من الإدراكات والتعبيرات التي صاغت المنهج القانوني للتعريف بالروح القدس منذ القديم، يلزم بدء كل ذي بدء أن نفرق بين أفراد طبقة المفكرين في الكنيسة الذين حاولوا باجتهاد شخصي وبدون قيادة واضحة من الروح القدس بل وبدون الاعتماد على التسليم، أن يعرفوا بالروح القدس ويصفوه حسب تصورهم، سواء بالنسبة للآب أو للإبن أو في الثالث، فخرجوا عن التعريف السليم وجنحوا جنوحاً خطيراً عن الحق الواضح في الكتاب المقدس، بل ومتحدثين معطيات الشرح البسيط الواضح الذي ورثته الكنيسة عن الرسل والآباء وجماعات الملهمين الأولين حسب التقليد الذي كان يحسه ويعيشه عامة الشعب بدون أي فحص أو برهان.

فتعاليم إنجيل يوحنا الواضحة جداً عن شخصية الروح القدس كانت قوية ومدركة بالنسبة للإنسان الجديد «مولودين من الماء والروح»، ثم ما جاء في أعمال الرسل عن أعمال ومواهب الروح القدس التي تنطق بشخصية الروح القدس وقيادته بصورة حيّة واقعية وعملية فهو يقود ويفهم ويتكلم ويدعو وينتخب ويرسل ويحكم ويمنع ويصرح ويملاً ويقوي كإله وكشخص حي يتعامل مع الإنسان.

لذلك نجد خطين متوازيين في البحث التاريخي عن منهج التفكير والتقنين في حقيقة الروح القدس:

أولاً: خط الرسل الذي يعطي الإيمان الواضح المحدد عن شخصية الروح القدس الإله الكامل في الثالث المساوي للآب والإبن في المجد والكرامة والعمل، حيث ظل هذا الخط هو الذي تعيشه الكنيسة وتمارسه بدون فحص.

وحيثما طُلبت من الكنيسة رسمياً أن تقول رأيها في الروح القدس في كل المواقف الحرجة قالتها بدون تردد أو تفكير ولا إلى لحظة واحدة أنها تعبد إلهاً واحداً في ثلاثة أقانيم: آب وابن وروح قدس في لاهوت واحد.

ثانياً: وأما بعض الآباء المتأخرين عن الرسل الذين عثروا في تحديد ماهية الروح القدس، فالسبب الذي صار منفذاً لهؤلاء المفكرين لكي يدخلوا فيه بأفكارهم وتصوراتهم المنحرفة هو أن الرسل والكنيسة الأولى لم تحدد العلاقة أو الطبيعة التي تربط الأقانيم الثلاثة معاً، ولم تترك قانوناً محدداً للتعبير عن الإيمان بكل أقنوم على حدة فيما يخص شخصه، لأن مثل هذا التحديد كان غريباً جداً عن تصور الكنيسة، فالله واحد والثلاثة أقانيم فيه متساوية والعمل بينها واحد، كل واحد يعمل بشخصه، والكل يعمل معاً كذات واحدة بآن واحد: «عمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس»، فالعماد عمل واحد يتم باسم الله بواسطة الأقانيم الثلاثة كإله واحد، ولكن كل أقنوم بعمله المتميز كل واحد باسمه.

لذلك حينما نعود إلى المراحل التاريخية التي عبرها منهج التعريف والتحديد لشخص الروح القدس، لا تكون هذه المراحل للتعبير عن تاريخ مراحل فكر الكنيسة الصحيح البسيط الثابت، بل هي في الواقع دراسة لأفكار أفراد انفرادوا في حوارهم عن تقليد الكنيسة البسيط، فخرجوا أحياناً كثيرة عن تسليم وعيها الإيماني وبدأوا يقررون حسب تصورهم ماهية الروح القدس، سواء كانوا من أصحاب البدع اليهودية والغنوسية والوثنية أو من الذين كانوا يدافعون ضدهم الذين جاءت أقوالهم بمثابة دراسة للردود على هذه الإنحرافات، وهم الآباء اللاهوتيون مستقيمو الرأي مثل اكلمندس وبابياس وإغناطيوس وإيرينيئوس وكبير يانوس وهيبوليتس.

ولذلك نعتبر فكر العلامة هارناك، وهو من مشاهير اللاهوتيين الألمان الذين تعرضوا لتاريخ الفكر الكنسي فيما يختص بشخص الروح القدس، فكراً خاطئاً إذ تصور أن الكنيسة برمتها مع شعبها وقديسيها عبروا هذه المراحل الخاطئة والناقصة في فهم وتقدير

ومعايشة الروح القدس (٢).

وهذا رأي غير مقبول ولا هو منطقي، فكيف أن الكنيسة الأولى كنيسة الروح القدس والقوة، كنيسة النعمة والكرامة والفهم الشاهد بالآلام والقيامة، هذه الكنيسة نفسها كيف نقول أنها كانت تعيش في جهل من الروح القدس لا تعيه ولا تُقيمه التقييم الصحيح؟

والحقيقة أن خط الكنيسة التي كانت تحيا وتسير بالروح القدس لم يتأثر قط بخط العلماء والحكماء (٣) والمفكرين المحاجين، الذين كانوا يعيشون ويتخاطبون في أجواء البدع والوثنية بإحساس المدافعين عن فكرة معينة ضد فكرة معينة، منفصلين عن واقع الروح القدس الحي القائم والعامل في الكنيسة، الذي يصعب بل ويستحيل حصره في كلمات وجل يقبلها الهراطقة، دون أن يعيشوا ومحسوا بقوة الروح القدس نفسه، ودون أن يكونوا قد قبلوا المسيح أولاً وولدوا من الماء والروح، لأن كل بحث أو دراسة عن الروح القدس بدون معايشة فعلية تقوية للروح القدس لا بد وأن تأتي بانحرافات.

لذلك حينما نأتي إلى ما قدمه القديس أثناسيوس من منهج دراسي لاهوتي مشروح بدقة للروح القدس في منتصف القرن الرابع، لا يمكن أن نعتبر ذلك مرحلة نضوج لفكر الكنيسة، أو أنه كان نهاية لمراحل سابقة من الانحرافات، ولكن الحقيقة وعين الأمر أن أثناسيوس قد استطاع أن يقدم بتقواه واستنارته الروحية فكراً لاهوتياً مُبرهنناً ودقيقاً لماهية الروح القدس في منهج مدرسي جاء مساوياً تماماً وبلا أي زيادة أو نقصان لفكر الرسل والإنجيل البسيط المُعاش والحي عن الروح القدس في جسم الكنيسة ووجدانها منذ أن عرفت الكنيسة حتى إلى ذلك الوقت، وكل ما عمله أثناسيوس هو أنه استقطب كل الهراطقات والانحرافات وفندتها وشجبها وأنهى عليها إلى الأبد.

(2) Adolf Harnack . Hist of Dogma' History of The Holy Spirit & of Trinity, p. 266.

(٣) [لأن ما سُلّم بالإيمان لا ينبغي أن يُقاس بالحكمة البشرية]. أثناسيوس عن الروح القدس الرسالة الأولى فصل ١٧.

تعاليم العهد القديم من نحو الروح القدس التي ورثها الرسل الأوائل

أولاً: من خلال أسفار العهد القديم العبرية وتعاليم الربيين

- ١ . كان الروح القدس له صفة دامغة فائقة وهي القداسة «الروح القدوس» .
- ٢ . والصفة الأخرى التي تساوبها وتلتزم بها هي «روح الله» .
- ٣ . وبالتالي فإن الروح القدس بناء على الصفتين الأوليين أعطي صفة «الصلاح» المطلق، وصفة «الوجود في كل مكان» Omnipresence

أ- [روحك القدوس لا تنزعه مني] (مز ٥١ : ١١) ... صفة القداسة تُمنح للإنسان بسكنى الروح القدس .

ب- [وأعطيتهم روحك الصالح لتعليمهم] (نح ٩ : ٢٠) ... صفة الصلاح .

ج- [أين أذهب من روحك ومن وجهك أين أهرب] (مز ١٣٩ : ٧) ... صفة الوجود في كل مكان .

د- [وكانت الأرض خربة وخالية «وروح الله» يرف على وجه المياه] (تك ١ : ٢) ... نسبة الروح الخاصة لله .

هـ- [روحك الصالح يهديني في أرض مستوية] (مز ١٤٣ : ١٠) ... صفة الصلاح تباشر عملها هداية الإنسان .

و- [وتكلم جميع حكماء القلوب الذين ملأتهم روح حكمة] (خر ٢٨ : ٣) ... الحكمة صفة الروح توهب للإنسان بسكنى الروح .

ز- [وحي داود بن يسى وحي الرجل القائم في العلام مسيح إله يعقوب ومرغم إسرائيل الحلور روح الرب تكلم بي وكلمته على لساني] (صم ٢٣ : ١ ، ٢) ... الروح القدس الناطق في الأنبياء بالإلهام والنبوة .

والروح القدس في العهد القديم كانت أعماله الواضحة باختصار كالاتي :

أولاً: القوة الفعالة في الأبطال الذين انتخبهم الله للدفاع عن إسرائيل .

ثانياً: كان هو الإلهام الذي يدبر حكام إسرائيل .
ثالثاً: كان ينتقل بمفاعيله وقوته وحكمته من شخص إلى شخص بوضع اليد وبوسائل أخرى .
رابعاً: كان هو إلهام الأنبياء للنطق بكلمة الله .
خامساً: كان هو قوة التقديس وقوة الدينونة في القضاء .
سادساً: كان هو البصيرة الكاشفة لأمر أو آخر الدهور عند بعض الأنبياء .
سابعاً: كانت علامات حضوره تنبئ عن حضور الله شخصياً .
ثامناً: كان عاملاً فعالاً في الخلق .
تاسعاً: كان تعبيراً عن كيان الله ، أي جوهر الوجود الإلهي ، على مدى الأسفار .

ومن كل تعاليم الكتاب المقدس في العهد القديم من جهة الطبيعة الأساسية للروح القدس نجد لها بلا شك واضحة ومحددة ومتفق عليها بالإجماع ، أن للروح القدس جوهرًا إلهيًا .

ولكن من حيث فرادة شخصيته أو أقنومه ، فن الوجهة العمومية نفهم ذلك أيضاً على وجه القطع والتحديد ، ولكن ليس بالوضوح الكافي سواء كان في الأسفار الأولى أو الأخيرة ، فالعهد القديم ينسب للروح القدس شخصية مفردة قائمة بذاتها مع الله نفسه حاضرة وفعالة في العالم أو في الإنسان ، أما تعاليم المسيح والرسل فبالرغم من نسبة الصفات الشخصية للروح القدس ، فإنها تمتد فتميّز الروح القدس عن الآب والإبن (٤) .

كما يُفهم من أسفار العهد القديم عن الروح القدس أنه هو «الله الفعال بالقوة» ، وفي هذا المجال فالروح له شخصية ذات صفات خاصة ، كما تنسب إليه أعمال شخصية ، فالروح في العهد القديم شخص في نطاق أنه هو الله ، وبالإضافة إلى ذلك فإن الروح القدس يظهر بصفات شبه مستقلة أحياناً ، التي تقترب من حدود

(4) Rev. Henry Barclay Swete, Dict. of Chr. Biogr., p. 114, & in Hasting's D. B., p. 196.

الشخصية المتميزة، خصوصاً عندما يُذكر في الأسفار «الكلمة» و«الروح» معاً في مقارنة. ولكن هذا التمايز ينطبق فقط على النشاطات الخارجية «للكلمة والروح» كقوتين، ولكن يبقى الكشف عن التمايز بينهما في ذات الوجود في الله إلى عصر متأخر من العهد القديم.

— «أرسل نورك وحقك هما يهديانني ويأتيان بي إلى جبل قدسك وإلى مساكنك» (مز ٤٣: ٣).

«يرسل الله رحمته وحقه» (مز ٥٧: ٣).

«أين أذهب من روحك ومن وجهك أين أهرب» (مز ١٣٩: ٧).

«تحجب وجهك فترتاع. تنزع أرواحها فتموت. وإلى ترابها تعود. ترسل روحك

فتخلق. وتجدد وجه الأرض» (مز ١٠٤: ٢٩ و٣٠).

«أرسل كلمته فشفاهم...» (مز ١٠٧: ٢٠).

«لم أتكلم منذ البدء في الحقاء. منذ وجوده أنا هناك (الكلمة) والآن السيد الرب

أرسلني وروحه» (أش ٤٨: ١٦).

«وفي كل ضيقهم تضايق وملاك حضرته (الكلمة) خلصهم، ولكنهم تمردوا وأحزنوا

روح قدسه» (أش ٦٣: ٩، ١٠).



ثانياً: من خلال الأسفار القانونية الثانية

Duetero-canonical المدعوة بالأبوكريفيا

قدمت هذه الأسفار فكرة قوية وواضحة عن شخصية الروح القدس معبراً عنه دائماً «بحكمة الله»، مما جعل بعض كتّاب الكنيسة الأوائل يخلطون بين المسيح «حكمة الله» والروح القدس «حكمة الله»، وحدا ببعضهم إلى القول بأن المسيح هو نفسه الروح القدس قبل تجسده.

وهذا نشأ أيضاً بسبب عدم وضوح الفارق بين «الروح» و«الكلمة» من جهة الوحي والرؤيا في مواضع كثيرة من العهد القديم... فنقرأ أن كلمة الله كانت على نبي فتنبأ... ثم نقرأ بنفس المعنى أن روح الله كان على آخر فتنبأ.

وقد ظل الاعتقاد بأن حلول الكلمة، أي كلمة الله، مساو لحلول الروح القدس على الأشخاص للتنبؤ والوحي، ظل مستمراً في الكنيسة الأولى، حتى أننا نرى في قداس سيرابيون، والقديس أناسيوس نفسه في شرحه للإفخارستيا يقول، عند التحول، إن الذي يحل على الخبز فوق المائدة المقدسة ليحوّله إلى جسد الكلمة هو «الكلمة» ذاته ولم يتحدد القول بحلول الروح القدس إلا في أواخر القرن الرابع في سورية^(٥).

بل ونجد صدى هذا التوازي أو التساوي بين حلول الكلمة وحلول الروح القدس وعملها في بعض الرسائل، فنسمع من بطرس الرسول:

— «مولودين ثانية لا من زرع يفنى بل مما لا يفنى بكلمة الله الحية الباقية»
(١ بط ١: ٢٣).

كذلك في رسالة يعقوب الرسول «شاء فولدنا بكلمة الحق لكي نكون باكورة من

(٥) انظر كتاب الإفخارستيا والعداس للأب متى المسكين ص ٦٨٠.

خلائقه» (يع ١: ١٨). (ومعروف أن الميلاد الثاني من السماء هو من الماء والروح القدس فالكلمة هنا حل محل الروح القدس).

— «وكانت كلمة الرب عزيزة في تلك الأيام، لم تكن رؤيا كثيرة» (١ صم ٣: ١).

— «فيحل عليك روح الرب فتتنبأ معهم وتتحول إلى رجل آخر» (١ صم ١٠: ٦).

— «وكان كلام الرب إلى صموئيل قائلاً...» (١ صم ١٥: ١٠).

— «فأخذ صموئيل قرن الدهن ومسحه في وسط إخوته وحل روح الرب على داود من ذلك اليوم فصاعداً» (١ صم ١٦: ١٣).

— «وكان كلام الرب إلى ناثان قائلاً...» (٢ صم ٧: ٤).

— «روح الرب تكلم بي وكلمته على لساني... إليّ تكلم صخرة إسرائيل» (٢ صم ٢٣: ٢).

— «ثم صارت كلمة الرب إليّ قائلاً...» (إر ١١: ١١).

— «الكلمة التي صارت إلى إرميا من قبل الرب قائلاً» (إر ٧: ١).

تتلخص أعمال الروح القدس في الكتب القانونية الثانية بأنه يملأ الكون، ومحب البشرية، ويعلم ويطهر أفكار الإنسان وقلبه.

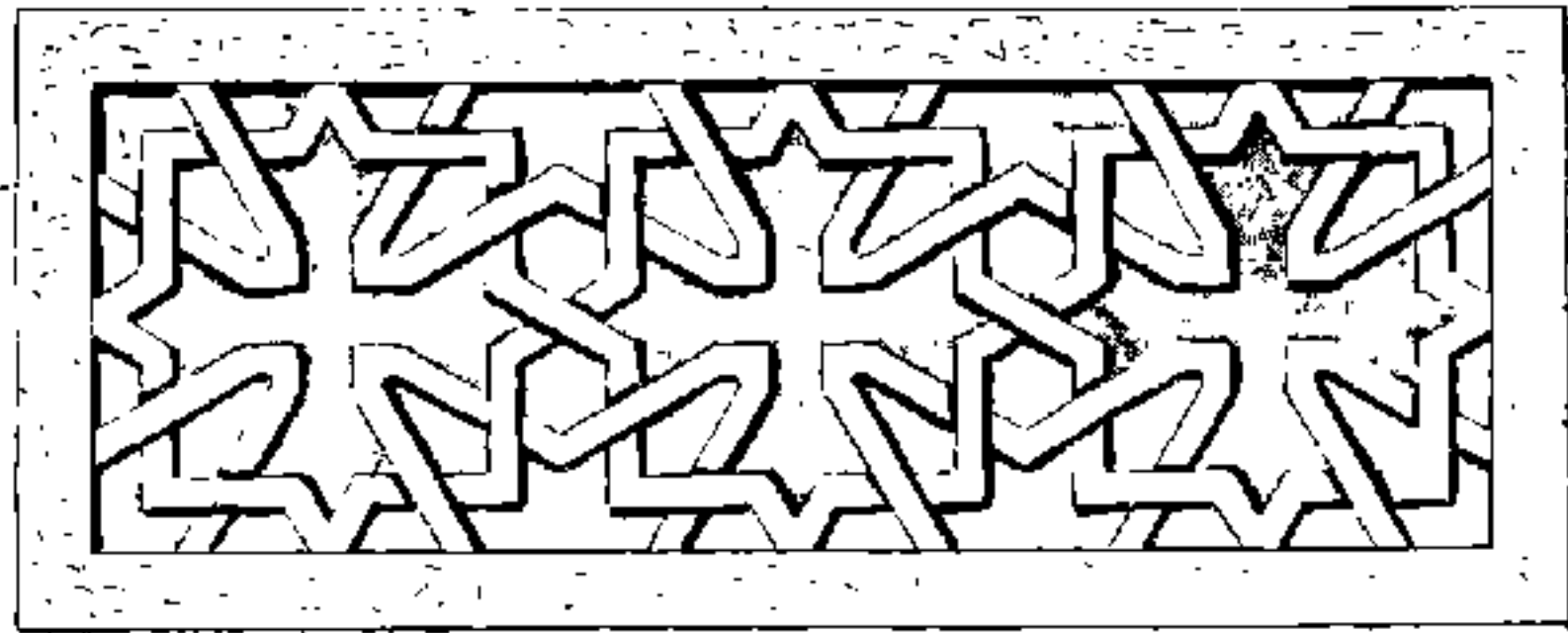
أنظر (Sir 1:7; XII:1; 1:4, 5, 6; IX:17) = (سفر ابن سيراخ).

المصور المتأخرة من الفكر اليهودي:

وقد مال الفكر اليهودي في أواخر الأيام — طبعاً من جراء بعده عن الله وتمسكه بالعالم والمال والأرض — إلى التقليل من شأن الروح القدس، حتى إذا ما وصلنا إلى الصدوقيين في أيام المسيح نجدهم يحذفون أصلاً ومن الأساس كل اعتقاد بوجود الروح «لأن الصدوقيين يقولون أنه ليس قيامة ولا ملاك ولا روح أما القرسيون فيقرّون بذلك» (أع ٢٣: ٨).

وبدخول المسيحية انهار الفكر اليهودي جملة وتفصيلاً من جهة الروح القدس، حتى أننا نجد فيلو الفيلسوف اليهودي الذي أراد أن يجسي التراث الروحي اليهودي يقصر مفهوم الروح على مجرد حكمة الله الموهوبة للحكماء أو مجرد قوة يؤثر بها الله على الموحى إليهم^(٦)، وأصبح هذا المفهوم هو الاعتقاد السائد والثابت في القانون اليهودي.

وقد تسرب هذا الفكر اليهودي الخاطيء إلى الفكر المسيحي عند بعض المنحرفين حتى أيام غريغوريوس النزينزي فنسمعه يتكلم عن جماعة في أيامه يعتبرون الروح القدس مجرد «قوة» ἐνέργεια^(٧).



(6) Philo. De Gyant, 5; De Monarch 1:9, cited by D.C.B., p. 114.

(7) D C.B., p. 114; & August , de Haer. 1 ii.

ثالثاً: بداية العصر المسيحي

يبدأ العصر المسيحي بتقدم هائل في التعرف على الروح القدس وأعماله؛ حتى أننا نجد الإنجيل يضع الروح القدس في صدر العهد الجديد، فهو أداة التجسد.

«الروح القدس يحل عليك وقوة العلي تظلك فلذلك القدوس المولود منك يدعى ابن الله» (لوقا: ١: ٣٥)، وهنا تجدر الإشارة بأن الوحي الإلهي يفرق بين شخص (أقنوم) الروح القدس و«قوة» العلي، إمعاناً في الكشف عن الخطأ السائد في الفكر اليهودي آنذاك أن الروح القدس مجرد قوة.

وفي إنجيل القديس متي، يقول الملاك صراحة ليوسف: «يايوسف ابن داوود لا تخف أن تأخذ مريم امرأتك لأن الذي حُبل به فيها هو من الروح القدس» (متى: ١: ٢٠)، فالروح القدس أداة التجسد، فالجسد المولود هو بالتالي جسد إلهي، وقول الملاك تعقيباً على أنه مولود من الروح القدس أنه يدعى ابن الله يوضح ماهية الروح القدس بالنسبة لله.

وبعد ذلك نجد الروح القدس في حياة المسيح فعلاً سواء في المسحة الأولى على نهر الأردن لبدء الخدمة: «كيف مسح الله بالروح القدس والقوة» (أع: ١٠: ٣٨)، أو متمماً لكل الأعمال: «إن كنت أنا بروح الله أخرج الشياطين فقد أقبل عليكم ملكوت الله» (متى: ١٢: ٢٨).

وتجدر الإشارة هنا أن المسيح باعتباره التجديف على الروح القدس خطية عظيمة لا تُغفر، يشير بوضوح وتحديد أن الروح القدس «شخص» له هيئته وكرامته الإلهية.

ثم نجد كيف يبني المسيح كنيسته على أساس أنها خلقة جديدة بالروح القدس بالولادة من فوق من الروح القدس والماء، وأنها تعيش وتعمل في العالم بقوة الروح القدس:

ففي تعاليم المسيح يركز على الروح القدس (يو ٣: ١-٨) باعتباره واسطة دخول ملكوت الله، وباعتباره القياس الوحيد للعبادة بالسجود «بالروح» والحق، وأنه المصدر الوحيد لإرتواء الإنسان لكي لا يعطش إلى تراب الأرض بل يصير في الإنسان ينبوع حياة أبدية! وأن قبول الروح القدس بهذا الوصف يتوقف على الإيمان بالمسيح أولاً «من آمن بي تجري من بطنه أنهار ماء حي قال هذا عن الروح الذي كان المؤمنون به مزمعين أن يقبلوه لأن الروح القدس لم يكن قد أُعطي بعد لأن يسوع لم يكن قد تمجد بعد (الصليب)» (يو ٧: ٣٧-٣٩)، وأنه هو الباراكليت أي المعزي والشفيع للإنسان (يو ١٤: ١٥).

وأن الروح القدس في التلاميذ وفي أولاد الله سيكت العالم، أي يقف فينا ضد قوى الشر مؤازراً لنا ومحامياً عنا (يو ١٦: ٧-١١).

وأنه مصدر قوة البشارة، فتي حلّ على المختارين ينالون في الحال قوة من الأعالي للشهادة (أع ١: ٨).



رابعاً : عصر الرسل

- ١- إعلان الروح القدس عن نفسه عملياً للرسل.
- ٢- إستعلان الرسل للروح القدس لاهوتياً.

تمتلىء صفحات أعمال الرسل والرسائل بالإشارات القوية جداً والواضحة غاية الوضوح عن شخصية الروح القدس وفاعليته، سواء من الوجهة العقائدية الوصفية لشخصه أو الوجهة العملية لعمله، وأصبح هذا كله تراث الكنيسة الذي يبني عقيدتها في الروح القدس:

١- إعلان الروح القدس عن نفسه عملياً للرسل (أعمال الرسل):

يبتدىء سفر الأعمال بوضع الروح القدس موضعه الجديد وتحديد عمله الشخصي في الكنيسة عوض المسيح تماماً «وأنا أطلب من الآب فيعطيكُم معزياً آخر ليملك معكم إلى الأبد» (يو ١٤: ١٦)، هذا المعزى لا يقول ولا يعمل ولا يرشد إلا بما هو من المسيح ولأجل المسيح فهو «لا يتكلم من ذاته بل يأخذ مما لي ويخبركم». فسفر الأعمال يقدم الروح القدس لاستمرار عمل المسيح في الكنيسة وبدونه يستحيل على الكنيسة أن تتكلم أو تتحرك أو تعلن المسيح «لا يرحوا من أورشليم بل ينتظروا موعد الآب الذي سمعتموه مني، ... لكنكم ستنالون قوة متى حل الروح القدس عليكم وتكونون لي شهوداً في أورشليم وفي كل اليهودية والسامرة وإلى أقصى الأرض» (أع ١: ٤-٨).

المسيح سبق في السماء ولكن الروح القدس سيدوم في الكنيسة على الأرض إلى حين انتهاء هذا الدهر والمجيء الثاني للمسيح «و يرسل يسوع المُبشِّر به لكم قبلُ الذي ينبغي أن السماء تقبله إلى أزمنة رد كل شيء (تكميل) التي تكلم عنها الله بضم جميع أنبيائه القديسين منذ الدهر» (أع ٣: ٢٠، ٢١). فالروح القدس هو في الحقيقة شخص الإتصال الدائم والحى والفعال بين المؤمنين وبين المسيح، فإذا كان المسيح واضحاً في

القلب وكانت علاقة المؤمن بالمسيح صادقة وقوية وحيّة وفعالة كانت هذه علامة على وجود وعمل الروح القدس فيه .

فالروح القدس يعمل الآن عمل المسيح و يكمله فينا، أي يمنحنا الخلاص والفداء الذي أكمله المسيح من أجلنا، يهبه لنا ويثبتنا فيه .

والروح القدس نفسه يصفه بولس الرسول من جهة هذا بأنه «روح المسيح» إمعاناً في التأكيد أنه يملك كل ما للمسيح و يدرك كل ما للمسيح ، وقادر أن يعطينا كل ما للمسيح وما عمله المسيح ، لذلك فبدون الروح القدس يستحيل الإيمان بالمسيح ولا معرفة أسرار المسيح ولا نوال قوة الخلاص والفداء اللذين أكملهما المسيح لنا .

بل إن بولس الرسول يقول في ذلك باختصار «أما أنتم فلستم في الجسد بل في الروح إن كان روح الله ساكناً فيكم ، ولكن إن كان أحد ليس له روح المسيح فذاك (أي المسيح) ليس له» (رو ٨: ٩) .

— (أع ١: ٢-١١ ، ١٦-١٨) هبوب الريح العاصف وألسنة النار الحائلة على رؤوس التلاميذ والتي رافقت أول حلول للروح القدس على الكنيسة هي نفس علامات ظهور الحضرة الإلهية على جبل سيناء^(٨) ؛ ثم موهبة النطق بلغات جديدة التي أعطتها الروح القدس للتلاميذ هي نفس عطية الله قديماً للأنبياء أن ينطقوا بكلمات الله والتنبؤ، وإن كان بلغة العبرانيين، ولكن كانت لغة رصينة وبعضها كان بالشعر الموزون مع أن الأنبياء كان منهم الأميون .

وهكذا كان الوعد الذي قيل بيوثيل النبي أن يكون حلول الروح القدس على الجميع «على كل بشر» وإعطاء موهبة التنبؤ والآيات والرؤى والأحلام للبنين والبنات والشباب والشيوخ والعبيد والعبادات، كل من يدعو الرب ويتوب ويعتمد باسم يسوع المسيح لغفران الخطايا، فإنه يقبل العطية ذاتها لأن الوعد القدوس للجميع للقريين والبعيدين، أي لكل الأجيال الآتية بدون تفریق زمني .

(٨) انظر كتاب العنصرة للأب متى المسكن ص ٩، ١٠ .

– (أع ٤: ٣١) «ولما صلوا تزعزع المكان الذي كانوا مجتمعين فيه وامتلأ الجميع من الروح القدس وكانوا يتكلمون بكلام الله بكل مجاهرة» .
هنا تزعزع المكان يذكرنا بزعزعة جبل سيناء علامة أكيدة على الحضرة الإلهية ، ثم المجاهرة العلنية بالبشارة والشهادة للمسيح هي القوة الموعود بها من الأعالي ، تتم للمرة الثانية .

– (أع ٤: ٣٣) «بقوة عظيمة كان الرسل يؤدون الشهادة بقيامة الرب يسوع ونعمة عظيمة كانت على جميعهم» .
هذه القوة تنتظر الكنيسة في كل أزمنة الضيق ، ولقد عاشها أثناسيوس وأثبت صدق الوعد ، بل أثبت قوة الروح القدس التي فيه وفي الكنيسة .

– (أع ٥: ٤، ٩) «أنت لم تكذب على الناس بل على الله» ، «ما بالكما اتفقتما على تجربة روح الرب» .
يلاحظ هنا في كلام بطرس الرسول لحنانيا أنه اعتبره قد كذب على الله ، وفي مواجهة سفيرة امرأته كرر اللوم ، أنها يجربان أو يكذبان على «روح الرب» ، وهنا يكشف الوحي على فم بطرس عقيدة الكنيسة من جهة الروح القدس أنه هو الله من جهة الكيان أي الجوهر الواحد .

وكان عقاب الكذب على الروح القدس هو أنها وقعا وماتا في الحال ، وهذا يكشف عن عقيدة الكنيسة بالنسبة لخطورة عمس الروح القدس التأديبي ، فاتم لحنانيا وسفيرة بالجسد جهاراً يتم بالروح سرّاً للذين يستهينون بسُلطان إشراف الروح القدس على تدبير الكنيسة حتى في الأمور المالية .
ثم موت آريوس فجأة قبل دخوله الكنيسة للصلاة هو مطابقة عملية لقصة حنانيا وسفيرة .

– (أع ٥: ٣٢) «ونحن شهد له بهذه الأمور والروح القدس أيضاً الذي أعطاه الله للذين يطيعونه» .

هنا يوضح الرسل شخصية الروح القدس ، التي يحسون بوجودها معهم ، قائمة بذاتها حتى أنهم يستطيعون أن يميزوا بين شهادتهم وشهادة الروح القدس داخلهم بالرغم من أنها تخرج من أفواههم شهادة واحدة ، غير أن شهادة الروح القدس تميزها بالإضافة قوة خاصة داخلهم وإجراء معجزات علنية بواسطتهم .

— (أع ٦ : ١٠) « ولم يقدرُوا أن يقاوموا الحكمة والروح الذي كان يتكلم به » .
إرتباط الحكمة مع الروح القدس الذي اختبرته الكنيسة في الشهيد استفانوس صار تطبيقاً عملياً للتقليد القديم أن الروح القدس « روح حكمة » لتدبير الكنيسة ، ولا يمكن فصل الروح القدس عن الحكمة .

— (أع ٧ : ٥١) « يا قساة الرقاب وغير المحتونين بالقلوب والآذان ، أنتم دائماً تقاومون الروح القدس كما كان آباؤكم كذلك أنتم » ...
قساة الرقاب يعني بها عدم الطاعة لله ، عدم ختانة القلب يعني بها الشر والنجاسة المبيّت عليها داخل الضمير ، وعدم ختانة الآذان يعني بها عدم القدرة على سماع صوت الله ومقاومة الكلمة ، مقاومة الروح القدس يعني بها مقاومة الشهادة للمسيح والحق .

— (أع ٨ : ١٥) « اللذين لما نزلوا صلياً لأجلهم لكي يقبلوا الروح القدس لأنه لم يكن قد حلَّ على أحد منهم غير أنهم كانوا معتمدين باسم الرب يسوع حينئذ وضعوا الأيادي عليهم فقبلوا الروح القدس » .

صار هذا في عمق خبرة الكنيسة وتراثها أن الروح القدس يحل مع المعمودية بواسطة وضع الأيادي ، الذي تسميه الكنيسة الآن بمسحة الميرون ، ووضع يد الأسقف أو الكاهن ، حيث يتحنم الصلاة من أجل قبول الروح القدس .

وفي تسجيلات أعمال الرسل ربما يحل الروح القدس بعلاماته وقوته قبل المعمودية فتتم المعمودية بناء على حلوله ، وذلك تشجيعاً لدخول الأمم أو تشجيعاً للتلاميذ لقبول بولس شاول مضطهد الكنيسة المرعب ، كما حدث لبولس الرسول (أع ٩ : ١٧ ، ١٨) ، وكما حدث لكرنيليوس الأمي وأهل بيته الذين تكلموا بالسنة قبل المعمودية (أع ١٠ : ٤٤ - ٤٨) .

ولكن المعمودية الروح القدس ومواهب لا تُغني عن المعمودية الماء، بل في هذه الأمثلة الإستثنائية كانت المعمودية الروح القدس مؤهلاً قوياً لإجراء المعمودية الماء بدون خوف.

وقد فسّر بطرس الرسول حلول الروح القدس على كرنيليوس وأهل بيته وموهبة التكلم بالألسنة التي نطقوا بها قبل المعمودية الماء بأنها المعمودية الروح القدس المباشرة بدون واسطة:

« فلما ابتدأت أتكلم حلّ الروح القدس عليهم كما علينا أيضاً في البدأة فتذكرت كلام الرب كيف قال أن يوحنا عمّد بماء وأما أنتم فستعمّدون بالروح القدس » (أع ١١: ١٥-١٧).

ويلاحظ كلمة الرب التي يذكرها هنا بطرس الرسول: « ستعمّدون بالروح القدس » حيث ستعمّدون مبنياً للمجهول أي المعمودية تتم بواسطة آخر غير الرسل وغير الإنسان عموماً، وهنا يذكر الرب و يتذكر بطرس قول الرب أن الشخص الذي سيعمّد هو الروح القدس نفسه أو الله، أي أن المعمودية تتم بواسطة الله بالإمتلاء من الروح القدس، ولكن يتحتم تكميل المعمودية بالماء. كما لاحظ أن بحلول الروح القدس كانوا ينطقون بألسنة جديدة تأكيداً أنه هو الروح القدس الناطق في الأنبياء وهذا كشف واضح لشخصيته الإلهية.

— (أع ١١: ٢٧) « وفي تلك الأيام انحدر أنبياء من أورشليم إلى أنطاكية وقام واحد منهم اسمه أغابوس وأشار بالروح أن جوعاً عظيماً كان عتيداً أن يصير على جميع المسكونة ».

هنا استمرار لعمل الروح القدس الأول منذ القديم أنه ناطق بالنبوة في الأنبياء، حيث لا الأنبياء ولا النبوة انقطعت بمجيء المسيح وحلول الروح القدس، بل امتدت لتشمل الأمور السماوية المزمعة وحياة الدهر الآتي، أي البشارة بملكوت السموات والحياة الأبدية، لتصير هي اللون الطاغى لعمل الروح القدس بالنبوة في العهد الجديد.

— (أع ١٣: ٢) « وبينما هم يخدمون الرب ويصومون، قال الروح القدس

افرزوا لي برنابا وشاول للعمل الذي دعوتها إليه...، فهذان إذ أرسلنا من الروح القدس انحدرنا إلى سلوكية...».

الروح القدس يقترح الخدمة ويتجلى هنا كمدير للخدمة، والداعي للخدام، والمرسل للخدام بصورة شخصية واضحة منقطة النظر، إنما في إطار من الصوم والصلاة والإجتهاد في الخدمة.

وهكذا يتضح أن الروح القدس صار هو قائد الخدمة، أي البشارة بالمسيح، ومديرها والمتولي شئونها في الكنيسة.

— (أع ١٣: ٩) «وأما شاول الذي هو بولس أيضاً فامتلاً من الروح القدس وشخص إليه (إلى عليم الساحر) وقال أيها الممتلئ كل غش وكل خبث، يا ابن إبليس، يا عدو كل بر، ألا تزال تفسد سبل الله المستقيمة؟ فالآن هوذا يد الله عليك فتكون أعمى لا تبصر الشمس إلى حين. ففي الحال سقط عليه ضباب وظلمة فجعل يدور ملتصقاً من يقوده بيده».

هنا الروح القدس يقترح الموقف، ويتجلى في الخدام والخدمة كحارس للإيمان وصحة العقيدة، مؤدب بقسوة كل محاولة لإفساد طريق المسيح، إنما ببرهان ومعجزة وليس بمجرد سطوة الإنسان.

— (أع ٨: ١٨-٢٣) «ولما رأى سيمون أنه بوضع أيدي الرسل يُعطي الروح القدس، قَدَّم لهم دراهم قائلاً: أعطاني أنا أيضاً هذا السلطان حتى أتى من وضعت عليه يديّ يقبل الروح القدس. فقال له بطرس لتكن فضتك معك للهلك لأنك ظننت أن تقطني موهبة الله بدراهم. ليس لك نصيب ولا قرعة في هذا الأمر. لأن قلبك ليس مستقيماً أمام الله. فُتِّب من شرك هذا واطلب إلى الله عسى أن يُغفر لك فكر قلبك. لأني أراك في مرارة المرور باط الظلم».

وهذه الحادثة قد رسخت في عمق أعماق اللاشعور بل والشعور أيضاً في الكنيسة كلها وعلى مدى كل العصور، وأسست هذه المصيبة العظيمة أي شراء المواهب بدراهم «بالسيمونية». وهكذا وضع الروح القدس في قانون الكنيسة لوضع اليد بالمال أو

بالطرق الأخرى الملتوية لنوال الأسرار الكنسية المختلفة، تحذيراً لا يمحي وسابقة خطيرة أسماها بطرس الرسول «مرارة المرور باط الظلمة».

— (أع ١٣: ٥٢) «وأما التلاميذ فكانوا يمثلون من الفرح والروح القدس». علامة مميزة لم تفارق خدام المسيح الأتقياء المملوئين من الروح القدس حتى وفي أشد الأحزان والأهوال والضيقات، وهذه العلامة هي الملء من الفرح مع الملء من الروح القدس، فيستحيل أن يحل الروح القدس في الخدام الأمناء إلا ومعه الفرح.

— (أع ١٥: ٢٨) «لأنه قد رأى الروح القدس ونحن أن لا نضع عليكم ثقلاً أكثر غير هذه الأشياء الواجبة أن تمتنعوا عما ذبح للأصنام وعن الدم وعن المنقوق والزنا...».

هنا يقف الروح القدس بشخصه محسوساً على رأس مجمع التلاميذ، كمقرر أعلى لقانون السلوك المسيحي للأمم الداخلين في الإيمان، ويبرز الرسل شخصية الروح القدس كما أحسوه كمن يرى ويسمع ويتكلم ويقرر بمسئولية القاضي والمشرع للكنيسة الجديدة.

— (أع ١٦: ٦) «وبعدما اجتازوا في فرجية وكورة غلاطية منعهم الروح القدس أن يتكلموا بالكلمة في آسيا، فلما أتوا إلى ميسيا حاولوا أن يذهبوا إلى بيثينية فلم يدعهم الروح».

هنا المنع يمنع حد الحصار إمعاناً في ظهور تدخل الروح القدس السافر كمقتحم خطة الخدمة بأكملها.

هنا يبرز الروح القدس بصورة قائد ومشرف أعلى يعطي السماح للخدام بالكلام أو يمنعه، ويعطي التصريح للخدام بالمسير أو يمنعه، شيء مدهش للعقل، فالروح القدس يضطلع بمهمة لا ترقى إلى العقل البشري، لأنه إذ يرى الحوادث المستقبلية ويكشف الخبأ في الطريق، يتصدر مسيرة الخدام كقائد لا مثيل له في البشر، مكملاً عجز الإنسان وفقدانه رؤيته البعيدة، ليحفظ الخدام والخدمة من

المهالك، ويمنع الخدام عن الكلام في غير زمانه أو مكانه حتى لا تُلام الخدمة أو تُحتقر.

وكل المطلوب من الخدام إنما هو شدة الحساسية لطاعة صوته أولاً بأول، وهذه إحدى خصائص الممثلين من الروح القدس المعينين من الروح وبالروح للخدمة، إذ يكونون محمولين بالروح دائماً يسيرون و يقفون، يتكلمون و يصمتون، بتدبير النعمة.

— (أع ١٦: ٩) «وظهرت لبولس رؤيا في الليل رجل مكدوني قائم يطلب إليه ويقول اعبر إلى مكدونية وأعنا. فلما رأى الرؤيا للوقت طلبنا أن نخرج إلى مكدونية متحققين أن الرب قد دعانا لنبشرهم» كلمة متحققين تكشف عن تدخل سافر للروح القدس.

الروح القدس يتحول سريعاً من قائد بحرك قافلة الخدمة علناً في الصحو بروح النبوة الناطق في التلاميذ، إلى قائد بحركها بالرؤيا في الليل أثناء النوم؛ فطرق قيادة الروح القدس لا يمكن حصرها وهو الذي يختار الأنسب بالنسبة للزمان والمكان وحالة الإنسان نفسه، وهكذا انتقلت الرؤيا من العهد القديم إلى العهد الجديد كإحدى وسائط التوجيه والإرشاد للروح القدس.

— (أع ٢٠: ٢٢) «والآن هاأنا أذهب إلى اورشليم مقيداً بالروح لا أعلم ماذا يصادفني هناك، غير أن الروح القدس يشهد في كل مدينة قائلاً إن وثقاً وشدائد تنتظرني».

الروح القدس يقيد الخدام كما تقيد الذبيحة و يسوقه إلى إكليل آلامه بحسب الخطة التي يرسمها لمجد المسيح والكنيسة؛ هكذا اقتيد المسيح بالروح بعد الملء والمسحة على الأردن ليحرب وحيداً على الجبال من إبليس، وهكذا يُجرب خدام المسيح لغاية وحيدة «رئيس هذا العالم يأتي ولكن ليس له فئ شيء»، أي لتجلى حياة الخدام أنها بلا لوم ولا شكوى أمام الله — هنا يبرز الروح القدس كشخص يقفاد بولس بالقوة.

— (أع ٢٠: ٢٨) «احترزوا إذاً لأنفسكم ولجميع الرعية التي أقامكم الروح

القدس فيها أساقفة لترعوا كنيسة الله التي اقتناها بدمه».

بهذا القول صار راسخاً في إيمان الكنيسة أن الروح القدس هو الذي يقيم الأسقف وإلا فقيامه باطلاً، والروح القدس يقيم الأسقف ليرعى «كنيسة الله» وليس كنيسة الأسقف، والله الذي اقتنى لنفسه الكنيسة واشترى رعيته بدمه المسفوك على الصليب يغير عليها جداً، على أسقفها وعلى رعيته معاً كما يغير على دمه لأنه يشتمها بدمه أي بحياته.

الروح القدس تسجل في القانون الكنسي بحسب منطوق طقس الرسامة أنه هو المدير للنظام الكنسي يختار أعضائه ويقودهم باعتبار أن الكنيسة أسقفاً ورعية هي كنيسة الله المقتناة بالدم الإلهي.

وبولس الرسول يحذر الأساقفة أن يحترزوا، أي يخافوا و يرتعبوا، لأنفسهم لئلا يزدروا بالدم الإلهي ويحسبوا مقاومين للروح القدس إذا ازدروا أو أهملوا واجبات قداسة أنفسهم أو أهملوا واجبات الرعية من جهة التعليم ومعاوضة الضعفاء؛ أو ذهبوا وراء شهوة الذهب والفضة و يذكروهم بقانون المسيح «لأنه قال مغبوط هو العطاء أكثر من الأخذ»، ونجد كل هذا في الوصايا التي تتلى على الأسقف عند الرسامة.

— (أع ٢١: ١٠، ١١) «... نبي اسمه أغابوس، فجاء إلينا وأخذ منطقة بولس وربط يدي نفسه ورجليه وقال: هذا يقوله الروح القدس الرجل الذي له هذه المنطقة هكذا سيربطه اليهود في أورشليم و يسلمونه إلى أيدي الأمم».

بنفس طريقة العهد القديم في التنبؤ بالحوادث الآتية التي تخص الكنيسة، كان الروح القدس يعمل باهتمام شديد وبلا هوادة لكي يعلن أن كل شيء في الكنيسة مكشوف وعريان أمام عيني الله، وأن كل الكنيسة وخدامها الأمناء إنما يسرون طبق خطة إلهية سبق فعبنا لتكون مشاهين صورة ابنه. فبولس يجوز نفس ما جازه المسيح نفسه سواء من جهة التنبؤ بما سيحدث في أورشليم وربما بنفس الكلمات أو فيما تم بالفعل. وصار هذا جزءاً هاماً من تراث الكنيسة ووعيتها، فالشهاد أعلى رتبة من القديس.

— (أع ٢٨: ٢٥) «حسناً كلم الروح القدس آباءنا بإشعياء النبي» .
هنا اعتقاد الكنيسة الراسخ منذ عهد الرسل حتى اليوم أن كل الأنبياء في القديم
إنما كتبوا ونطقوا مسوقين من الروح القدس، فالروح القدس كان يهد للخلاص
والفداء الذي بدأ يبني عليه كنيسة المسيح في العهد الجديد.



٢ - إستعلان الرسل للروح القدس لاهوتياً (في الرسائل)

أ- الروح محيي:

— (رومية ١: ٣) «عن ابنه الذي صار من نسل داوود من جهة الجسد، وتعيّن ابن الله بقوة من جهة روح القدس بالقيامة من الأموات».

هنا يضع بولس الرسول «الروح القدس» الذي في المسيح والعامل فينا بالقوة التي استُعلنت في ذروتها بإقامة يسوع المسيح من الأموات، مقابل الجسد الذي صار للمسيح والذي أخذه من نسل داوود. «فالروح القدس» الذي استُعلن بقوة في المسيح بالقيامة من الأموات، هو استعلان للاهوت المسيح، تماماً كما استعلان تجسده من العذراء من نسل داوود.

فإن كان قد تعيّن ابن داوود بتجسده من نسل داوود فهو تعيّن ابناً لله بقيامته من الأموات بقوة الروح القدس الذي فيه. وسيان أن نقرأ أن الله أقامه «الله الآب الذي أقامه من الأموات» (غل ١: ١)، أو أن قيامته كانت بقوة من جهة روح القدس، أو أنه قام بذاته «لي سلطان أن أضعها ولي سلطان أن آخذها» (يو ١٠: ١٨)؛ فالقيامة هنا هي إعلان مباشر عن لاهوته، ولاهوت المسيح هو واحد فيه وفي الآب وفي الروح القدس.

وفي موضع آخر يقول بولس الرسول مشيراً إلى الإتحاد والتساوي القائم بين المسيح وبين الروح القدس عند تقديم ذبيحته إلى الله أبيه هكذا «فكم بالحري يكون دم المسيح الذي بروح أزلي، قدّم نفسه لله بلا عيب يُظهر ضمائرهم من أعمال ميتة لتخدموا الله الحي».

هنا المسيح كرئيس كهنة يتقدم حاملاً دمه بالروح القدس الأزلي إلى الله أبيه لتطهير وتقديس شعبه.

وهنا «دم المسيح بالروح القدس» عامل تطهير وتقديس واحد لا يفصل،
ويعمل لتوصيل الحياة الأزلية التي فيه (بروح أزلي) إلى الذين يؤمنون به.

– (روا: ٩) «وأما أنتم فليستم في الجسد بل ، وفي الروح»، إن كان روح الله
ساكناً فيكم ولكن إن كان أحد ليس له روح المسيح (روح أزلي) فذلك ليس له».

– (روا: ١١) «وإن كان روح الذي أقام يسوع من الأموات ساكناً فيكم
فالذي أقام المسيح من الأموات سيحيي أجسادكم المائتة أيضاً بروحه الساكن
فيكم».

هنا ينتقل بولس إلى الإيمان بأن الروح القدس الذي أقام المسيح من الأموات إذا
سكن فينا فنحن نصير أحياء «في المسيح» بالروح، ونكون من خاصته، وأنا حتماً
سنقوم من الأموات، بل والآن نحسب أننا أموات بالجسد وأحياء بالروح بسبب بر
المسيح الذي يُحسب لنا من الآن.

وهكذا يؤمن بولس الرسول، وكل الكنيسة معه، أن المسيح الذي قام من الأموات
يكون حاضراً فينا إذا سكن الروح القدس فينا الذي هو أيضاً روح المسيح، فنحن
نعيش الآن قيامة المسيح بالروح القدس أفراداً وكنيسة، وهذا هو أيضاً اتحادنا، وهذا
عين ما يقوله بطرس الرسول أيضاً:

«مبارك الله أبوربنا يسوع المسيح الذي حسب رحمته الكثيرة ولدنا ثانية لرجاء
حي بقيامه يسوع المسيح من الأموات» (١ بط ١: ٣).

فقيامتنا من الأموات مع المسيح التي نناها بسكنى الروح القدس تجعلنا شركاء
الآن في حياته، أي شركاء في مجده وفي بنوته لآب بالتبني كهبة، لأننا نصير بواسطة
الروح القدس متحدين به كأعضاء في جسده وهو كالرأس لنا، فلا نعود نحيا نحن بل
المسيح يحيا فينا بالروح القدس.

ب – الروح القدس بلد (يخلق ثانية) الإنسان ويتبناه الله:

– «لأن كل الذين ينقادون بروح الله فأولئك هم أبناء الله، إذ لم تأخذوا روح

العبودية (الناموس) للخوف بل أخذتم روح التبني الذي به نصرخ يا أبا الآب .
الروح نفسه يشهد لأرواحنا أننا أولاد الله فإن كنا أولاداً فإننا ورثة أيضاً، وورثة الله
وارثون مع المسيح» (رو ٨: ١٤-١٧).

هنا الإتحاد بالمسيح نشأ من سكنى الروح القدس ونوال حالة القيامة من الأموات،
والإتحاد مع المسيح في قيامته يصوره بولس الرسول أنه أنشأ حالة تبني لله أيضاً، لأن
هبة القيامة من الأموات تعني حالة مصالحة مع الله الآب أي انتقالاً من عبودية إلى
بنوة. ليلاحظ القارئ الربط الذي يهدف إليه بولس الرسول وكأنما يقول بولس:
«لأن الروح القدس هو الذي أقام يسوع المسيح من الأموات وبالقيامة من الأموات
تعيّن في الحال أن المسيح هو ابن الله أي تبرهن لاهوته».

كذلك فإنه بسكنى الروح القدس فينا ننال حتماً القيامة من الأموات مع المسيح،
أي الحياة الأبدية، ونحسب في الحال أننا أبناء مع المسيح ولكن بالتبني، أي أننا نصير
بالنعمة شركاء الطبيعة الإلهية، وهذا ما يسميه الآباء «بالتأله»، وفي هذا قال المسيح
أن الروح القدس يلدنا لله: «إن كان أحد لا يولد من الماء والروح لا يقدر أن يدخل
ملكوت الله» (يو ٣: ٥). وبولس الرسول ينتقل من الميلاد إلى المسير فيؤكد أن:
«المنقادون بروح الله أولئك هم أبناء الله».

«فما أنكم أبناء أرسل الله روح ابنه إلى قلوبكم صارخاً يا أبا الآب . إذن لست
بعد عبداً بل ابناً، وإن كنت ابناً فوارث لله بالمسيح» (غل ٤: ٦، ٧).

جـ - الروح القدس يحررنا ويتدرج بنا في الكمال المسيحي بالإستنارة:

(٢ كو ٣: ١٧، ١٨) «وأما الرب فهو الروح وحيث روح الرب فهناك حرية،
ونحن جميعاً ناظرين مجد الرب بوجه مكشوف (بدون برقع الناموس) كما في مرآة نتغير
إلى تلك الصورة عينها من مجد إلى مجد كما من الرب الروح».

هنا يقارن الرسول بولس بين عمل الناموس وعمل الروح القدس في الإنسان،
فالناموس أسماء خدمة الموت، وخدمة الدينونة، خدمة الحرف، والحرف يقتل، خدمة
الزائل.

والروح القدس أسماء خدمة المجد بالأولى، وخدمة البر في مجد، خدمة الروح،

والروح يحيي، وخدمة الدائم.

فإن كان وجه موسى لمع من جراء خدمة الناموس لدرجة أن الشعب طالبه بوضع برقع حتى لا ينظروا إلى وجهه، فإن قلوبنا يشرق فيها الروح القدس لإنارة معرفة مجد الله في وجه يسوع (٢ كور ٤: ٦).

وإن كان شعب إسرائيل لم يستطع النظر إلى وجه موسى الزائل بسبب لمعانه من جراء خدمة الناموس فنحن ننظر مجد الرب بوجه مكشوف (بدون برقع) كما في مرآة ونتغير إلى تلك الصورة عينها (أي وجه المسيح) من مجد إلى مجد كما من الرب الروح (أي بالروح القدس الساكن فينا) . وأتينا غير ناظرين إلى الأشياء التي تُرى (وجه موسى) بل إلى التي لا تُرى (وجه المسيح) ، لأن التي تُرى وقتية (زائلة) وأما التي لا تُرى فأبدية (٢ كور ٤: ١٨) .

وكما أن موسى كان عليه أن يخلع البرقع حينما يدخل لمقابلة الرب للتكلم معه (خر ٣٤: ٣٤) ، كذلك الآن يسقط البرقع من قلوبنا أي الناموس والحرف عندما يشرق الروح القدس فينا بإستنارة معرفة مجد الله الذي في وجه يسوع فتتخاطب معه كبنين « ياأبا الآب » .

نلاحظ هنا أن بولس يسمي الرب الذي كان موسى يدخل ويتكلم معه بالروح القدس « وأما الرب فهو الروح » ، وأنه الآن يعمل و يشرق في قلوبنا لحساب المسيح ، وبالتالي لحساب الله الآب [لإنارة معرفة « مجد الله » في « وجه يسوع المسيح »] .

دع الروح القدس يوحد المؤمنين في جسد المسيح ،
فيصيروا جميعاً أعضاء فيه كنيسة واحدة بالروح الواحد :

— (١ كور ١٢: ٣) « لأننا جميعاً بروح واحد أيضاً اعتمدنا إلى جسد واحد ،
وجميعنا سقينا روحاً واحداً » .

— (١ كور ١٢: ٢٦) « فإن كان عضو واحد يتألم فجميع الأعضاء تتألم معه وإن

كان عضو واحد يكرّم فجميع الأعضاء تفرح معه». (١ كو ١٢: ٢٧) «وأما أنتم فجسد المسيح وأعضاؤه أفراداً».

كيفية جمع الأعضاء وجوهر هذا الجسد الواحد: «صعد أيضاً فوق جميع السموات لكي يملأ الكل (بروحه القدوس وبشخصه) وهو أعطى البعض أن يكونوا رسلاً والبعض أنبياء والبعض مبشرين والبعض رعاة ومعلمين، لأجل تكميل القديسين لعمل الخدمة، ولبنيان جسد المسيح»، إلى أن ننهي جميعاً إلى وحدانية الإيمان ومعرفة ابن الله إلى إنسان كامل، إلى قياس قامة ملء المسيح» (أف ٤: ١٠-١٣).

تأمين وحدة الجسد: «لكي لا نكون فيما بعد أطفالاً مضطربين ومحمولين بكل ريح تعليم بخيلة الناس يكر إلى مكيدة الضلال بل صادقين في المحبة ننمو في كل شيء إلى ذلك الذي هو الرأس المسيح الذي منه كل الجسد مركباً معاً ومقترناً بموازرة كل مفصل يعمل على قياس كل جزء يحصل نمو الجسد لبنيانه في المحبة» (أف ٤: ١٤-١٦).

هنا الروح القدس يوظف المواهب في الأفراد لحساب ربط الأعضاء وعملها وبنيانها لتكوين وحدة روحية عضوية للكنيسة كاملة في الإيمان والحب تنمو وتتحرك وفق مشيئة الرأس المسيح!!

تأمين عمل الروح القدس: «وتجددوا بروح ذهنكم وتلبسوا الإنسان الجديد المخلوق بحسب الله في البر وقياسة الحق... لأننا بعضنا أعضاء البعض. اغضبوا ولا تخطئوا... ولا تحزنوا الروح القدس الذي ختمتم به ليوم الفداء» (أف ٤: ١٦ و ٣٠).

تزييف عمل الروح القدس بالوحدة والفرح على أساس الخمر: «ولا تسكروا بالخمر الذي فيه الخلاعة بل امتلئوا بالروح مكلمين بعضكم بعضاً بمزامير وتسابيح وأغاني روحية مترنين ومرتلين في قلوبكم للرب شاكرين كل حين على كل شيء في

إسم ربنا يسوع المسيح لله والآب خاضعين بعضكم لبعض في خوف الله»
(أف ٥: ١٨-٢١) حيث مخافة الله هنا هي خاصية الوحدة كدليل على وجود الروح
القدس.

— (أف ٢: ١٦، ١٨-٢٢) «و يصالح الإثنين في جسد واحد مع الله بالصليب
قاتلاً العداوة به... لأن به لنا كلينا قدوماً في روح واحد إلى الآب فلستم إذاً بعد
غرباء ونزلاء بل رعية مع القديسين وأهل بيت الله. مبنين على أساس الرسل
والأنبياء و يسوع المسيح نفسه حجر الزاوية الذي فيه كل البناء مركباً معاً ينمو هيكلًا
مقدساً في الرب الذي فيه أنتم أيضاً مبنون معاً مسكناً لله في الروح».

— (أف ٤: ٣، ٤) «مجتهدين أن تحفظوا وحدانية الروح برباط السلام، جسد
واحد وروح واحد كما دُعيتُمْ أيضاً في رجاء دعوتكم الواحد».

— (١ بط ٢: ٥) «كونوا أنتم أيضاً مبنين كحجارة حية بيتاً روحياً كهنوتاً
مقدساً لتقديم ذبائح روحية مقبولة عند الله بيسوع المسيح».

— (١ كو ٣: ١٦، ١٧) «أما تعلمون أنكم هيكل الله وروح الله يسكن فيكم.
إن كان أحد يفسد هيكل الله فيفسده الله لأن هيكل الله مقدس الذي أنتم هو».

هذه العقيدة صارت هي الأساس في مفهوم قداسة الكنيسة وهيبتها، وهي السري في
أن أبواب الجحيم لن تقوى عليها، لأنها «جسد المسيح السري»، والروح القدس هو
الذي يملأها ويجمع ويوحد الأعضاء فيها و يضمهم إلى شركة القديسين الاعتباريين
«أهل بيت الله».

فالروح القدس بعد أن يوحد المؤمن في جسد المسيح يوحد المؤمنين معاً في هذا
الجسد الواحد مع جميع القديسين، فالروح القدس يهب المؤمن شخصيته المسيحية ثم
يعود الروح القدس وهب الكنيسة شخصيتها الإلهية وأخلاقيتها.

هـ - الروح القدس يوزع المواهب على المؤمنين باعتبارهم أعضاء في جسد واحد، لتصير المواهب جميعاً لخدمة الجسد الواحد (الكنيسة) بمشيئة الروح القدس الواحدة أي لمجد المسيح! «ذاك يمجدي»:

— (١ كو ١٢: ٤) «فأنواع مواهب موجودة ولكن الروح واحد».

— (١ كو ١٢: ٧-١٣) «ولكن لكل واحد يُعطى إظهار الروح للمنفعة، فإنه لواحد يعطى بالروح كلام حكمة، ولآخر كلام علم بحسب الروح الواحد، ولآخر إيمان (ينقل الجبال) بالروح الواحد، ولآخر مواهب شفاء بالروح الواحد، ولآخر عمل قوات، ولآخر نبوة، ولآخر تمييز أرواح، ولآخر أنواع السنة، ولآخر ترجمة السنة، ولكن هذه كلها يعملها الروح الواحد بعينه قاسماً لكل واحد بمفرده كما يشاء، لأنه كما أن الجسد هو واحد وله أعضاء كثيرة، وكل أعضاء الجسد الواحد إذا كانت كثيرة، هي جسد واحد؛ كذلك المسيح أيضاً لأننا جميعنا بروح واحد اعتمدنا إلى جسد واحد، وجميعنا سُقينا روحاً واحداً...».

(١ كو ١٢: ٢٧، ٢٨) «وأما أنتم فجسد المسيح وأعضاؤه أفراداً. فوضع الله في الكنيسة (جسده) أولاً رسلاً، ثانياً أنبياء، ثالثاً معلمين، ثم قوات وبعد ذلك مواهب شفاء، قدرة على تدبير، أنواع السنة».

وهكذا من مجموع المؤمنين غير المنسجم وغير المتولف، يصنع الروح القدس شخصية الكنيسة المنسجمة المتولفة العاملة بالروح الواحد والشاهدة بضم واحد. هنا شخصية الروح القدس الفريدة تظهر للوجود.

و- الروح القدس يضطلع بحفظ الوديعه الصالحة، أي التقليد المسلّم في الكنيسة بالإيمان، وذلك من خلال سكناه في الأفراد الأمناء له:

«احفظ الوديعه الصالحة (التقليد παράδοσις) بالروح القدس الساكن فينا» (٢ تي ١: ١٤).

وهكذا بعد أن يبني الكنيسة بالمواهب المتآثرة من داخل الأفراد وكأنها هيكل

روحاني ذو أعضاء مترابطة، يضطلع بحفظ التقليد الإيماني الموحى به للرسول، بواسطة موهبة خاصة يهبها لبعض الأفراد الأمناء الساكن فيهم!! لضمان عمل الكنيسة في وحدة الإيمان كبنيان الخدمة حتى تنتهي الكنيسة إلى ملء قامة المسيح.

ز- الروح القدس بعد أن يستودع مواهبه في قلوب المؤمنين الساكن فيهم، ينتظر منهم أن يضرعوها بالصلاة والأعمال الصالحة لكي تعمل عملها في الكنيسة، لأن المواهب الروحية تحتاج إلى الصلاة والأعمال الصالحة لتظل متأججة:

هنا شخصية الروح القدس لا تبطلع شخصية المؤمن ولكن تجلبها بالموهبة.

— (١ تي ٤: ١٤، ١٥) «لا تحمل الموهبة التي فيك المعطاة لك بالنبوة مع وضع أيدي القسوسية، اهتم بهذا وكن فيه ليكون تقدمك ظاهراً في كل شيء».

— (٢ تي ١: ٦) «فلهذا السبب اذكرك أن تضرم أيضاً الموهبة التي فيك بوضع يدي».

— (٣ تي ٥: ٨) «لا بأعمال في بر عملناها نحن بل بمقتضى رحمته خلصنا بغسل الميلاد الثاني وتجديد الروح القدس الذي سكب علينا بغنى يسوع المسيح مخلصنا حتى إذا تبررنا بنعمته نصير ورثة حسب رجاء الحياة الأبدية. صادقة هي الكلمة وأريد أن تقر هذه الأمور لكي يهتم الذين آمنوا بالله أن يمارسوا أعمالاً حسنة فإن هذه هي الأمور الحسنة والنافعة للناس».

— (رو ١٢: ١١) «غير متكاسلين في الاجتهاد حارين (ملتبين) في الروح عابدين الرب».

ح- الروح القدس يظل يشهد للمسيح في الكنيسة داخل المؤمنين، بواسطة المواهب التي يمنحها للأفراد، وبواسطة الآيات والمعجزات التي يجريها بواسطتهم، إنما حسب إرادته هو:

— (عب ٢: ٤) «شاهداً الله معهم بآيات وعجائب وقوات متنوعة ومواهب الروح القدس حسب إرادته».

— (رو ١٥: ١٨، ١٩) «لأنني لا أجسر أن أتكلم عن شيء مما لم يفعله المسيح بواسطة لإجل إطاعة الأمم بالقول والفعل بقوة آيات وعجائب بقوة روح الله» .
 — (١ كو ٢: ٤) «وكلامي وكراتي لم يكونا بكلام الحكمة الإنسانية المقنع بل ببرهان الروح والقوة» .
 — (١ تس ١: ٥) «إن إنجيلنا لم يصر لكم بالكلام فقط بل بالقوة أيضاً وبالروح القدس وبيقين شديد» .

ط — التنكر لشركة الروح القدس والإزدراء بها، تنكر للاهوت المسيح شخصياً وعمثاً صلبه ثانية والتشهير به:

فالشهادة للاهوت المسيح شهادة للروح القدس والازدراء بالدم الإلهي ازدراء بالروح القدس والعكس صحيح، ولا يمكن فصل تكريم أو إنكار المسيح عن الروح القدس . فارتباط الشخصين في ذاتها وفيها لا يمكن الفصل بينهما، وهذا ما فهمه القديس أناسيوس تماماً في موضوع التجديف على الروح .

— (عب ١٠: ٢٩) «فكم عقاباً أشر تظنون أنه يُحسب مستحقاً من داس ابن الله وحسب دم العهد الذي قدس به دنساً، وازدري بروح النعمة» .
 — (عب ٦: ٤-٦) «لأن الذين استنبروا مرة (المعمودية) وذاقوا الموهبة السماوية (التجديد والخلقة وال الميلاد من فوق) وصاروا شركاء الروح القدس (قبلوا حلول الروح القدس بالمعمودية) وذاقوا كلمة الله الصالحة (الإنجيل) وقوات الدهر الآتي (معمونة الملائكة) وسقطوا، لا يمكن تجديدهم أيضاً للتوبة إذ هم يصلبون لأنفسهم ابن الله ثانية ويشهرونه» .



خامساً : عصر ما بعد الرسل

بقيت صحة تعاليم الرسل واضحة فيما يختص بشخص الروح القدس ضمن الكيان أو الجوهر اللاهوتي للثالوث في تسليم قانون التعميد، «عمدوهم باسم الآب والإبن والروح القدس». وقد اكتشفت قوانين التعميد المبكرة جداً في تقليد القرون الأولى وهي تحمل طابع الإيمان والتعليم بوحدة الثالوث^(٩).

اكلمنديس الروماني : وبجوار قوانين التعميد المحلية في الكنائس تصلنا من الرسالة الأولى إلى كورنثوس للقديس اكلمنديس الروماني - وهو تلميذ الرسل - صورة أصيلة مطابقة لتعليم الرسل من جهة «انسكاب» الروح القدس، ومن جهة «شخص» الروح القدس، ومن جهة «الجوهر الإلهي» للروح القدس :

[لقد وهبتم جميعاً سلاماً عميقاً وثيراً وشوقاً غير محدود نحو عمل الصلاح بينما انسكب الروح القدس عليكم بفيض].

[بهذا نحتمي برحمته من الدينونة القادمة . لأنه أين يهرب كل منا من يده القادرة؟! أي عالم يمكنه أن يختفي هارباً من وجه الله؟! إذ يقول الكتاب «أين أذهب من روحك، ومن وجهك أين أهرب؟! إن صعدت إلى السموات فأنت هناك، وإن فرشت في الهاوية فما أنت» (مز ١٣٩: ٧ و٨).

أين يمكن لإنسان أن يهرب ممن يحتضن كل شيء؟!]

[حي هو الله، وحي هو يسوع المسيح وحي هو الروح القدس وحي هو إيمان ورجاء المختارين] (١ كو ٢ و ٢٨ و ٥٨).

كذلك فإن تعاليم اكلمنديس تأتي في كمال انطباقها على علاقة الروح القدس بقانون الأسفار المقدسة (أنظر ١ كو ٤٥، ٨، ١٣، ١٦، ٢٢، ٤٢).

(9) Hahn, Bibliothek der Symbole, pp. 42,66; Geb. hardt, Patr., ap. opp., fasc. 1, 2, p 15 sq.

برناباس : ونقابل في رسالة برناباس بصورة مميزة استمرار التعليق على الإلهام الموجود في الأسفار (٩-١٠) كذلك موضوع انسكاب الروح القدس على الكنيسة كلها (١).

إغناطيوس الأنطاكي : في رسائله المختصرة نجده بسمي الروح القدس واحداً مع الآب والإبن مع تمييز خاص لشخصه (ماغنيزيا ١٣)، كذلك موضوع انبثاقه من الآب (فيلادلفيا: ٧)، وإرساله بواسطة الإبن (أفسس: ١٧)، وعمله في الحمل الإلهي الإعجازي للعدراء (أفسس: ١٨)، وفي تقديس (مسحة) أعضاء المسيح (أفسس: ٩)، (سميرنا: ١٣)، كما نجد في حالة استشهاده ذكره للروح القدس في تمجيدته لله، كذلك نجد عين الأمر في استشهاد القديس بوليكارب (إستشهاد القديس بوليكارب ١٤-٢٢) و(إستشهاد القديس إغناطيوس ٧١).

الأسقف «راعي هرماس» : ولكن من بين كل ما وصلنا من كتابات عصر ما بعد الرسل للآباء الرسولين، فإنه يندرج ما خلفه لنا «راعي هرماس» تحت أكثر الكتابات خصوبة في الإشارات للروح القدس. ولو أن طريقة عرضه لموضوع الروح القدس تجعلنا في حيرة من تحديد صلاحيتها العقائدية، إلا أنه أحياناً يشير إلى أرواح كثيرة مرسله بواسطة الروح القدس منوط بها تعليم وإنارة بصيرة الناس، ونحن نجد إشارة إلى مثل هذا المعنى في رسالة يوحنا الأولى: «أيها الأحباء لا تصدقوا كل روح بل امنحنوا الأرواح هل هي من الله لأن أنبياء كذبة كثيرين قد خرجوا إلى العالم، بهذا تعرفون روح الله. كل روح يعترف بيسوع المسيح أنه قد جاء في الجسد فهو من الله... من هذا تعرف روح الحق وروح الضلال» (١ يوحنا: ١-٦).

كذلك نجد إشارة إلى هذا المعنى أيضاً في سفر رؤيا يوحنا اللاهوتي: «يوحنا إلى السبع الكنائس التي في آسيا. نعمة لكم وسلام من الكائن والذي كان والذي يأتي ومن السبعة الأرواح التي أمام عرشه». (رؤيا: ٤).

وراعي هرماس يؤمن بشدة أن روح النبوة لا يزال مستمراً في عمله في الكنيسة، ويشير إلى أنه حائز لهذه العطية الخاصة بالإلهام.

ويعتقد بعض العلماء مثل «جيهارت» و«هارناك» أن راعي هرماس لم يكن يفرق بين الروح القدس وبين المسيح قبل تجسده (١٠).
القرن الثاني :

ابتدأ الزمن يتباعد عن منبع التقليد الرسولي نوعاً ما، وبظهور جماعة المدافعين عن الإيمان المسيحي بلاهوت الكلمة وبتحقيق أن كلمة الله هو هو المسيح المتجسد في ملء الزمان، بدأ ثقل الحوار والتركيز ينصبُّ على لاهوت الأقنوم الثاني، وبدأت الأنظار والمحاورات تتعد عن مركز الروح القدس إلى الدرجة التي بدأوا فيها ينسبون «لكلمة» الصفات والأعمال الشخصية للروح القدس.

الرسالة إلى ديوجنيتس: وفيها نقرأ أن «الكلمة هو الذي يختار الأشخاص كيفما يشاء ويتكلم فيهم» «وأنه بالكلمة تخصب الكنيسة وتنمو باستمرار».

أما ثيوفيلس الأنطاكي: فيمتد ليرى أن إلهام الأنبياء في العهد القديم هو من عمل الأقنوم الثاني، الكلمة: «الكلمة لأنه هو روح الله الذي كان يجل على الأنبياء ويتكلم بواسطتهم» (١١).

أما يوستين، فإنه بحسب أن الحمل الإعجازي للعدراء هو من عمل «الكلمة» نفسه (١٢).

ولقد ظل هذا المفهوم عالقاً في فكر الكنيسة عند كثيرين من مستقلمي الرأي حتى منتصف القرن الرابع ويُقرأ بوضوح في المواضع التالية (١٣):

- ١ . إيرينيئوس ٥ : ١ .
- ٢ . ترتليان : بركسيا : ٢٦ .
- ٣ . كبريانوس : de Idol van .
- ٤ . إيلاريون : على الثالث : ٢ : ٢٤ و٢٦ .

(10) Patrol. Ap. opp. fasc. 3, p. 152 cited by D.C.B. p 115.

(11) Autol., ii, 32; cited by D.C.B., p. 115

(12) Apolog , i. 33

(13) D.C.B., p. 115 & Dorner, I, 1, p 392 sq.; Newman tracts, p 320; Pref. of Benedict. edition of St. Hilar., Migne, Patr. Lat. IX, p 35 sq:

كذلك نجد عالقاً في تقليد الليتورجية في أنافورا سيرابيون، حيث نجد حلول الكلمة على الخبز والخمر وليس حلول الروح القدس .
ويعزز هذا التقليد ما ورد عن القديس أثناسيوس وغيره (أنظر الإفخارستيا والقداس ص ٦٨٠ و ص ٦٨١) .

ثيوفيلس الأنطاكي: ولكن من جهة أخرى تُعتبر الكنيسة مدينة لهذا المدافع الشهيد بأول تسجيل للإصطلاح اللاهوتي الشهير «الثالوث» τριάς ، فيما يختص باللاهوت في ذاته ! وهذا نصه باليوناني :

[αἱ τρεῖς ἡμέραι πρὸ τῶν φωστῆρων γεγονυῖαι τύποι εἰσὶν τῆς τριάδος τοῦ Θεοῦ καὶ τοῦ λόγου αὐτοῦ καὶ τῆς σοφίας αὐτοῦ.] .

وهنا يذكر الثالوث بوضوح مشيراً إلى الشخصين الواضحين «الكلمة» و«الحكمة»، باعتبار الحكمة هي الروح القدس حسب التقليد القديم الموروث .
ويستمر هذا الكاتب الرسولي الملهم في توضيح تحديد الأشخاص في الثالوث إنما في وحدة مطلقة .

يوستين: ولكن يخرج يوستين بفكرة جديدة تعتبر بداية انحراف خطيرة، فهو يقول :
« نحن نضع روح النبوة في المرتبة الثالثة ἐν τρίτῃ τάξει لأننا نكرمه مع الكلمة» ،
ويقصد بروح النبوة نفس الروح القدس (١٤) .

وهو صاحب نزعة غير سليمة على الإطلاق في جعل الروح القدس خاضعاً وأدنى مرتبة من الكلمة، وهو الوحيد الذي يزعم أن الروح القدس «ملاك الله وقوة الله التي أرسلت لنا بواسطة يسوع المسيح» (١٥) .

وقد وردت على لسانه في كتاباته جملة مبهمة خطيرة بلا أي معنى ولا أصل معطياً فيها «الملائكة» المخلوقين درجة من الكرامة ليست أقل من التي يعطيها للروح القدس (١٦) .

(14) Apolog., i, 13; infra 60.

(15) Trypho, 116, cf. Neander, Hist of Christ. Dogma., i. 173.

(16) Apology, i.6; cf. Bull, ii.iv, chap. 8 & Kaye J M., p 52.

تلميذ يوستين المدعواتيان : لقد فاق معلمه في الخروج عن التقليد اللاهوتي الصحيح المسلم من الرسل فإنه يضع الروح القدس « كخادم » للمسيح (١٧) .

أثيناغوراس : هنا نبتدىء نقترّب مرة أخرى من العقيدة الكنسية السليمة التي بدأت تأخذ قوتها وصحتها مرة أخرى من جهة الثالوث الأقدس المتساوي .

ولكن أثيناغوراس رأى في الروح القدس عملاً غريباً على المفهوم التقليدي وهو اضطلاعه بوظيفة رباط الوحدة في اللاهوت (١٨) . (وهذا الإتجاه رفضته الكنيسة بالرغم من أخذ القديس أغسطينوس به) .

والذي رفضه بشدة ووضوح هو القديس أناسيوس في حديثه الثالث ضد الأريوسية :

[وإن الروح القدس لا يوحد الكلمة بالآب] ، [لأن الكلمة لا يشترك في الروح القدس حتى بصير في الآب ، ولا الإبن يستقبل أو يستلم الروح القدس بل بالحري يعطيه بنفسه للجميع ، فالروح لا يوحد الكلمة بالآب ... ، فالإبن هو في الآب لأنه كلمته وشعاعه] (١٩) .

كذلك فإن أثيناغوراس صاحب الفضل في توضيح جديد لعقيدة الإنبثاق الجوهرى للروح القدس من الله فهو يقول :

[إنه منه ينبثق وإليه يعود كشعاع الشمس أو كالنور المنبعث من النار] (٢٠) .

أما خارج الكنيسة ، أي لدى مجموعات الهرطقة ، فكانت هناك قوتان تتصارعان معاً بشدة ضد الكنيسة : جماعة المونتانيين وجماعة الغنوسيين .

أما جماعة الغنوسيين ، فأخذوا شيئاً ما بما تقوله الكنيسة من جهة الروح القدس ، وإنما بصورة مشوهة وعلى اتساع تحليلي ، وكان زعيمها الأول « سيمون » وهو ساحر سفر الأعمال ، وكان قبل عماده يُدعى من جميع الشعب « قوة الله العظيمة » (أع ٩ : ١٠) ،

(17) Adv. Graec. B. cited by D.C.B p. 115.

(18) Athenagoras, Legat. 10; cited by D.C.B., p. 115.

(19) Athanas., Discourse III against Arian, ch. XXV, p. 407.

(20) Athenagoras, wisd. vii. 25; Legat. 10, 24; cited by D.C.B., p. 115.

لما كان يأتيه من معجزات . وكان قد تلقى بعض تعاليم الرسل فيما يختص بأن القوة الإلهية إنما تنصل مباشرة بإسم الروح القدس كما هو مدون بوضوح في سفر الأعمال (أع: ٨: ٩-١٩) ولكنه عاد من بعد عماده (من أيدي الرسل) وعزله عن الكنيسة ، فادعى أن شريكته هيلانة هي «الپاراكليت» وأن القوة التي تنبثق من الله هي قوة مؤنثة .

وجاءت جماعة «أوفيت» Ophite وقالت صراحة أن هذه القوة المؤنثة هي الروح القدس ، وهي تتميز عن فكر الله ، يقصدون بذلك «كلمته» (٢١) ، وأن الكلمة مولود منها ، وهي التي كلمته على الأردن .

أما في نظام باسليدس ، فقد اعتبروا الروح القدس روحاً خادماً ، وليس متحداً جوهرياً بالإبن أو مساوياً له ، وهكذا صارت بلبلة في الفكر خارج المحيط الكنسي .

أما في نظام فالانتين ، فقال بانبثاق الروح القدس ولكن ليس بصورة مباشرة من الله (٢٢) ، وإنه مساوي للمسيح ؛ ولكنهم تبناوا كل الهرطقات التي ظلت متداولة حتى القرن الرابع والتي فندها القديس أثناسيوس (٢٣) .

أما جماعة المونتانيين ، فيشك أنهم أخذوا بشيء من عقيدة الروح القدس في الكنيسة ، لأن العالم الألماني نياندر (٢٤) قد أشار إلى أن موقف «مونتانس» و«ماكسيملا» فيما يختص بالروح القدس عندهم كان من وجهة نظر العهد القديم أكثر منه في العهد الجديد . وأنه لم يكن للفكر المونتاني تأثير كبير على الكنيسة ، وسرعان ما انحلت تحت ضغط الإضطهاد .

أما جماعة اليهود المنتصرين ، الذين ظلوا متمسكين بتقاليدهم العتيقة ورفضوا التقليد الرسولي من جهة الإيمان بالثالوث المقدس ، وهم — أي جماعة الناصريين Nazarenes ، أخذوا في هذا الموضوع برأي الغنوسيين فقالوا إن الروح

(21) Iren., i, 23, 30 (22) Iren., i, 2, 4, 5.

(23) Athanasius ad Serap., 1:10. (24) Neand., Ch. H., ii. 207; Epiph., Hear. 48, 11 sq.

القدس هو أيضاً قوة مؤنثة وأنها هي التي ولدت المسيح على الأردن وأن الباراكليت هو أم المسيح (٢٥).

والعجيب أن هذا الفكر أخذت به أيضاً جماعة هرطقة الإيبونيم اليهودية المنتصرة بزعامة كيرنثوس المبتدع، وقال إن الروح القدس قوة مؤنثة، وهكذا ظلت هذه السفاهة العقلية التحليلية الشيطانية عالقة بالكنيسة حتى القرن السابع—(وكان بعض أئمة هؤلاء الهرطقة قاطنين شبه الجزيرة العربية واليمن. لذلك فقد سمع بها القرآن وسئل فيها فجحدها وقال فيها إن الله لم يلد ولم يولد ولم يكن له صاحبة، والقرآن على ضوء هذه المرطقات محق فيما قال).

وجماعة هرطقة المونوأرخين (أي وحدة الرأس أو الصدر)، وهي قريبة من جماعة الإيبونيم يهودية منتصرة، وكان على رأسها ثيودوتس المبتدع فكانت أصلاً مشغولة بمحدد لاهوت المسيح وإنكار الثالث، وزعماءهم براكسياس ونوثينوس وبيرلوس (بلاد العرب) وسابيلوس، فهؤلاء جميعاً جحدوا الثالث القائم على أقانيم متميزة، وقد تزعم براكسياس— حسب شرح ترتوليان (براكسياس: ٩)— فكرة أن الروح القدس هو أصل وجود الآب والإبن.

بل وفي روما ذاتها قام كاليستوس بابا روما وألغى شخصية الروح القدس المتميزة في الثالث، وأعطى إسم الروح القدس ليعبر عن جوهر الله الذي قد يسمى الآب أو يسمى الإبن أو يسمى الكلمة (٢٦).

ومن هنا نشأت أيضاً بدعة السابلية التي امتدت وأعطت الروح القدس شخصية. ولكن كان عندهم الروح القدس قادراً أن يظهر نفسه في أي من الأقانيم الأخرى فهو إما يظهر كآب أو كإبن أو كالروح القدس (٢٧).

(25) Origen, in Joann., II, 6.

(26) Hippolytus, IX 12.

(27) Athanas, Or. C. Ar., iv 25.

بولس السموساطي المبتدع: وهذا المبتدع يعتبر الروح القدس ليس استعمالاً لشخص أو أقنوم وإنما «خاصية»...

وبولس السموساطي لم ينكر انبثاق وإرسال الروح القدس، وإنما حله إلى مجرد تأثير، وإنما تأثير غير مشخّص أو غير شخصي. فالروح القدس عند بولس السموساطي ليس أقنوماً بل مجرد نعمة نزلت على الرسل (٢٨). وكان حذراً في الدخول إلى التفاصيل الخاصة بعقيدة الكنيسة في هذا الموضوع، فقلت من جهة هذا الأمر من ملاحظة المجمع المقدس الذي حكم عليه في تعاليمه الأخرى وحرّم إيمانه وقطعه.

تعاليم الكنيسة الأرثوذكسية في تلك الحقبة،
أي أواخر القرن الثاني حتى منتصف القرن الثالث:

إيرينيئوس: وهو يمثل معاً تعاليم مدرسة آسيا الصغرى المنحدرة من القديس يوحنا الرسول، بجوار تعاليم جنوب شرق بلاد الغال (فرنسا الآن).

وهو يُعتبر من أوائل معلمي هذه الفترة الزمنية، وهو يجحد بشدة في كل أقواله أخطاء فالنتينوس المبتدع الذي خلط بين إرسالية الروح القدس المحددة زمنياً بيوم الخمسين وبين انبثاق الروح القدس من الله أزلياً، أي خلط بين عمل الروح القدس في البشرية وعلاقة الروح القدس جوهرياً بالله (٢٩).

ولكن إيرينيئوس يرفض أحد التعبيرات عن الإصطلاح بالانبثاق $\pi\rho\beta\omicron\lambda\eta = \text{emisso}$ (٣٠)، إذ تراءى له أن هذا التعبير يحمل ضمناً نوعاً ما من الانفصال في جوهر الله الواحد، ولذلك فإنه فضل أن يترك كيفية «الانبثاق» الإلهي بدون شرح (٣١)، مكتفياً بتوضيح ذلك بالتصوير، فيقول عن الإبن وعن الروح

(28) Leontius, de sect 3; cited by D.C.B., p. 117.

(29) Iren., ad. Haer. ii, 19. 9.

(30) Ibid., ii, 13. 5, 6.

(31) Ibid., ii. 28. 6.

القدس أنها يدا الله، الأول ابن progenies أما الروح القدس فهو الصورة figuratias للآب، الإبن هو «كلمة» الله والروح القدس هو «حكمة» الآب (٣٢)، ليس من خارج الله ولكن من داخله (٣٣). (يلاحظ هنا أن إيرينيثوس لا يتبع الخط الفكري الآبائي القديم الذي يشدد أن الكلمة هو حكمة الله).

ويبتدىء إيرينيثوس بختراع أوصافاً ومسميات أخرى للتعريف بما لا يقبل التعريف، دون أن يحترس ليمسك بخط التقليد، فينحرف ويضع بدايات خطيرة لأفكار يمكن أن تكون كفرية، فيقول أن الإبن والروح القدس يخدمان الآب. ثم يطبق تطبيقاً غير منسجم، فيقول كما تخدم اليدان الفكر في الإنسان، ثم يعود إذ يحس بخطورة الوصف فيصحح هكذا: ليس كالفكر المخلوق كأنه خارج عن حياة الله، لأن روح الله ليس زمنياً، ولكنه روح أزلي كالله نفسه (٣٤).

ويستشهد إيرينيثوس بما جاء في إشعياء أصحاب ٥٧ آية ١٦ (الترجمة السبعينية) هكذا: «لأنه هكذا قال العلي الساكن في الأعالي إلى الأبد، القدوس في الأقداس إسمه، العلي المستريح في القديسين المعطي صبراً للمنسحقين وحياة لمنكسري القلوب، لأنني لن أنتقم إلى الأبد ولا أغضب عليكم دائماً لأن روحي التي تنبثق مني تحيي كل نفس» (إش ٥٧: ١٦ سبعينية).

وإيرينيثوس يعطي تصوراً للعلاقة بين الروح القدس والإبن هكذا:

[إننا بالروح القدس نرتفع إلى الإبن، وبالإبن نصعد إلى الآب] (٣٥)، وبذلك فإن عطية الروح القدس لنا هي إحدى نتائج التجسد.

والذي ليس له الروح القدس فليست له شركة في حياة يسوع المسيح (٣٦). كذلك فإن إيرينيثوس يرى أن نفخ المسيح في تلاميذه وإعطاءهم الروح القدس

(32) Ibid., IV. 7. 4.

(33) Ibid., IV. 7. 8.

(34) Ibid., V 12.

(35) Ibid., V. 36.

(36) Fragment, 36.

(يو: ٢٠: ٢٢) هو برهان على لاهوت المسيح (٣٧).

وبخصوص وظيفة الروح القدس التعليمية كالأقنوم الثالث، فعقيدة إيرينيثوس سليمة وكاملة فهي واضحة في إلهام الأنبياء والرسل (٣٨).

غير أن إيرينيثوس يعود في مواضع أخرى ليثبت أن إلهام الأنبياء كان من عمل الكلمة سواء في العهد القديم أو الجديد (٣٩).

كذلك فإن الروح القدس هو الذي يضطلع بعمل إستنارة لذهن الكنيسة بصورة مستمرة (٤٠)، ويؤكد أنه في حضن الكنيسة فقط يمكن أن يستمتع المسيحي بنور الروح القدس، وأن الروح القدس ينطلق عمله في سري المعمودية والأفخارستيا (٤١).

ترتليان: (١٦٠-٢٤٠م).

صوت مدوي يظهر مبكراً من شمال أفريقيا في نهاية القرن الثاني، يمثل تعبيراً حراً ومستقلاً، هو صوت ترتليان، وذلك في معرض كتاباته ضد الموحدين Monarchians وكان يمثلهم آنشد براكسياس.

وترتليان يُحسب كواضع لأساس التعليم الجامعي بخصوص الإنبثاق.

ولكن نجد في كتاباته ما يفيد تعبير الكنيسة الرومانية الآن: أن انبثاق الروح القدس هو من الآب والإبن (٤٢).

كما نجد في مواضع أخرى بكل وضوح تعبيره الآخر وهو الأرثوذكسي السليم: أن الروح القدس منبثق من الآب في الإبن:

"Spiritum non aliunde pute quam a Patre per Filium" (٤٣).

(37) Syr. fragment., D.C.B., p. 117.

(38) Ibid., III, 24. 1.

(39) Ibid., IV, 7. 2; IV. 9, 1; IV, 20. 4; cited by D.C.B., p. 117.

(40) Ibid., III, 24, 1.

(41) Ibid., III, 17, 82 & fragment 38, cited by Neander Hist. of Dogma, 1. 231.

(42) Tert., against prax, 8.

(43) Ibid., 4.

كما يقول إن الروح القدس يأخذ دائماً من الإبن، كما أن الإبن يأخذ دائماً من الآب، وهكذا فإن الثلاثة متحدون معاً في حياة إلهية واحدة.
"Ita connexus patris in Filio et Filii in paracleto tres efficit cohaerentes alterum ex altero." 44

[الآب في الإبن والإبن في الباراكليت ثلاثة متحدون...].

ولكن يشط ترتليان في فهم العلاقة الأتقنومية التي تربط بين الآب والإبن والروح القدس. فبالرغم من عقيدته أن جوهر—أو طبيعة—الأقانيم واحد، إلا أنه يقول بخضوع الروح القدس للآب والإبن (٤٥). وكأنما يفهم مما سبق أن قال به إيرينيئوس من أن الروح القدس والإبن بخدمة الآب، أن الخدمة هي تدني من الدرجة الوظيفية بين الأقانيم، والتسلسل في الانحراف واضح، فايرينيئوس يقول بخدمة الإبن والروح القدس للآب، ويقول ترتليان إن الروح القدس هو الذي يخضع للآب والإبن.

[الروح هو «اسم ثالث للاهوت» (٤٥)، (There is a 'tertium nomen divinitatis' & a 'tertium gradus in Paracleteto').
الدرجة الثالثة هي في الباراكليت (٤٦)].

و يعود ترتليان فيضع ضوابط لهذا التدرج حتى لا ينقسم الجوهر هكذا:

(Yet the persons are 'tres non sttu sed gradu nec substantia sed forma nec potestat sed specie') 47

[+ الأقانيم هم «ثلاثة ليس في الكيان بل في الدرجة

ليس في الجوهر بل في الهيئة

ليس في القدرة بل في النوع» (٤٧).]

أما فيما يختص بعمل الروح القدس، فيتكلم ترتليان عن يقين كجزء لا يتجزأ من الإيمان، إن الروح القدس أرسل ليملاً مكان صعود المسيح، وذلك لكي يقدس

(44) Ibid., 25.

(*) Quasten, Patrology II, p. 36.

(45) Ibid., 30.

(46) Ibid., 9.

(47) Ibid., 2.

الكنيسة. في المعمودية ينزل الروح القدس من السماء و يقدر الماء معطياً للماء قوة التقديس (٤٨).

ثم إن حضور الروح القدس يُستدعى بالإضافة إلى تقديسه الماء ليحل بوضع الأيادي الذي يتبع طقس العماد (٤٩).

كبريانوس: (+ ٢٥٨ م).

يعتبر كبريانوس أكبر تلاميذ ترتليان. وهو يذكّر موضوع أقنوم الروح القدس عبوراً (٥٠)، ولكنه يؤكد وحدة الأقانيم الثلاثة الآب والإبن والروح القدس، أي توحيد الله هكذا:

"De unitate Patris et Filii et spiritus sancti plebs adunata" 50

[إن أفضل ذبيحة لدى الله هي سلامنا وتوافقنا الأخوي، (و ظهور) وحدة الآب والإبن والروح القدس في تآلف الشعب (المسيحي)] (٥١).

ولكن يركز كبريانوس كثيراً على علاقة الروح القدس بالكنيسة كجسد وكأفراد في الجسد.

أما ما يتبع هذا من غم أو فقدان في النعمة فهذا يرجع، في عقيدة كبريانوس، إلى سلوك الفرد.

وعن الروح القدس يقول: "Totus infunditur se qualiter sumitur"

« كله يُفاض بقدر ما يُقبَل » (٥٢).

ولكن لكي تكون المعمودية ذات مفعول يتحتم أن تجرى بواسطة إنسان يكون هو نفسه يملك الروح القدس (٥٣).

(48) Tert., De Baptismo, 4.

(49) Ibid., 8.

(50) Cyprian, De Domin. orat. 23.

(51) Ibid., 34. (52) Cyprian, Epist. 69: 14. (53) Ibid., 79: 9.

والكنيسة الجامعة باعتبارها عروس المسيح الوحيدة هي وحدها التي لها القوة على ميلاد (تجديد) أولاد الله (٥٤)، لأنها هي وحدها التي تملك ينبوع المياه الحية (يقصد التعاليم المحيية السليمة) (٥٥).

ويتبع كبريانوس خط ترتليان في تأكيده أن وضع الأبادي بعد المعمودية يكمل بالضرورة طقس المعمودية لإعطاء الروح القدس (٥٦). كذلك فإن كبريانوس يتبع خط ترتليان في كون الروح القدس هو مصدر الإلهام للأنبياء والرسل وكتابة الأسفار جميعاً (٥٧).
هيبوليتس (١٦٠ - ٢٥٨ م) (٥٨):

وإذ كان هيبوليتس أسقفاً على بورتس رومانو (ربما بعد رعاية إيرينيثوس لها فترة من الزمن) (٥٩)، قيل أنه كان أول أساقفة روما ثم ضخموا الأسقفية — إن كانت هي أسقفية روما — فقالوا بابا روما!! وقد فرح مؤرخو اللاتين بهذا الإلتباس في النسخة وقالوا أنه فعلاً بابا روما لأنهم اكتشفوا أخيراً جداً أن كتاباته في تقليد الرسل عن الليتورجيا تطابق ليتورجية روما، ثم إذ لم يجدوا ما يبرهنون به على صحة تزييف نسبه لروما قالوا إن بورتس رومانو كانت قرية بجوار روما؛ وللأسف أثبتت السجلات أنه لم توجد قط أسقفية بجوار روما بهذا الاسم ولا وُجد بابا لروما بهذا الاسم، ولما اكتشفوا

(51) Ibid., 34. (52) Cyprian, Epist 69-14. (53) Ibid., 79: 9.

(54) Ibid., 75:14. (55) Ibid., 73:11. (56) Ibid., 73:9.

(57) Westcott, Study of The Gospels, pp. 429.

(٥٨) وهو تلميذ إيرينيثوس، والمسمى في المخطوطات القبطية «أبوليدس»، شرقي المولد، اسكندري الجنس وقد نُسب خطأ إلى روما وأُعطي خطأ لقب بابا روما في المخطوطات القبطية. وذلك الإلتباس أصله كلمة «بورتس رومانو» وترجمتها الحرفية المرفأ الروماني، وهو مرفأ عدن الآن، وكانت المرفأ الروماني الهام في مدخل البحر الأحمر. وقد قرأها النساخ الأقباط بورتس = الأول (خطأ)، رومانو = الروماني، فقرأوها «الأول» في أساقفة روما، ثم بابا روما مع أن كلمة بورتس هي مرفأ وليس برونو = الأول وسيصدر الكاتب نبذة تاريخية مفصلة ومدعمة بالحقائق التاريخية عن هيبوليتس كأسقف عدن وأصلته كعالم قبطي اسكندري.

(٥٩) انظر كتاب مخطوط «مصباح الظلمة في إيضاح الخدمة» لابن كبري في ذكر كتاب اعتراف الآباء.

في آثار روما كرسياً حجرياً وتمثالاً لا يحمل إسم هيپوليتس و بدون ذكر أي لقب بابوي عليه ولكن وجد على ظهر الكرسي مؤلفات هيپوليتس اعتبروا هذا دليلاً على صدق امتلاكهم لشخصية هيپوليتس ، وقالوا بلا تينيته ونسبته لروما . والحقيقة إن هذا العالم اسكندري الجنس وكان أسقفاً على عدن كل أيام حياته . وبسبب صراعه ضد بابا روما ، وتصحيحه لهرطقة إثنين من هؤلاء الباباوات وبما أنه كان أيضاً أسقفاً على مدينة تحت الولاية الرومانية ، اعتبروه رومانياً . وكان صراعه هذا ضد هرطقة البابا زفرينوس (١٩٩-٢١٧م) والبابا كالليستوس (٢١٧-٢٢٢م) ، كما قاوم انحراف البابا فابيانوس . وإن تسمية مؤلفات هيپوليتس الليتورجية باسم « نظام الإسكندرية في الرسامات القبطية » منذ أقدم العصور هو دليل كافي لتدعيم علاقة هيپوليتس بالإسكندرية وليس بروما .

أما كل ما يعرفه تاريخ العقيدة والإيمان عن علاقة هيپوليتس بروما فهو مهاجمة هيپوليتس لهرطقة زفرنيوس وكالليستوس وفابيانوس باباوات روما ، حيث كانت روما في ذلك الوقت هي مرتع ومهد هرطقة المونوأرخيزم (٦٠) ، أي « منكري الثالث » ، كما كتب أيضاً هيپوليتس ضد نوثيتوس Noetus .

ولكن كتابات هيپوليتس عن الروح القدس جاءت قليلة ، ولكنه أكد على لاهوت الروح القدس بوضوح حيث يقول :

[إنه يستحيل أن نمجد الله دون أن نتجه مباشرة إلى الاعتراف بكل أقنوم في الثالث المقدس]

[بواسطة هذا الثالث يتمجد الآب] :

[διὰ γὰρ τῆς τριάδος ταύτης πατήρ δοξάζεται]

[ونحن عن طريق تجسد الكلمة صرنا نعبد ونكرم (προσκυνούμεν) الروح القدس ، كذلك فإنه يستحيل علينا أن نكون فكرة عن الوحدة أو

(60) Rev. Henry Barclay Swete, D. ch. B., p. 118.

الوحدانية في الله إلا بالإيمان بالآب والإبن والروح القدس (كونهم في اتحاد مطلق) [(٦١)] .

وهيوليتس يدحض فكرة خضوع الروح القدس للمسيح بقوله :
[إن الآب اخضع كل شيء للإبن المعجسد ما خلا الآب والروح القدس] [(٦٢)] .

ولكن للأسف لم يستطع هيوليتس أن يرقى للتساوي المطلق بين الروح القدس والآب أو الإبن ، فهو يقصر تسمية الأقنوم أو الشخص أو الوجه πρόσωπον في الثالث كصفة شخصية على الآب والإبن فقط ، أما الروح القدس فيقصر عليه صفة النعمة ، أما الثالث فهو متساوي في التدبير :

[أقنومان ، وبالتدبير نعمة الروح القدس هي الثالثة] [(٦٣)] .

[πρόσωπα δὲ δύο, οἰκονομία δὲ τρίτην τὴν χάριν τοῦ ἁγίου πνεύματος]

وهم هيوليتس بتحديد الصفة أو الوظيفة الخاصة للروح القدس في التدبير الإلهي بالإشارة أو الاستنارة هكذا :

[لأن الآب هو الذي يأمر ، والإبن هو الذي يطيع ، والروح القدس يوحد .
لأن الآب أراد ، والإبن صنع ، والروح أنار] [(٦٤)] .

[Ο γὰρ κελεύων πατήρ, ὁ δὲ ὑπακούων υἱὸς, τὸ δὲ συνετίζον ἅγιον πνεῦμα ... πατήρ γὰρ ἠθέλησεν, υἱὸς ἐποίησεν, πνεῦμα ἐφάνέρωσεν]

كما يقول هيوليتس أيضاً إن الأنبياء يظهرون دائماً مؤيدين بروح النبوة ومكرمين من جهة الإبن الكلمة ذاته (٦٥) ، وإن إلهامهم ينبع من قوة الآب .

[τῆς πατρῶας δυναμεῶς ἀπονότιαν λαβόντες] [(٦٦)]

(61) Contra (Noetus 12-14), cited by D.C.B., p. 118. (62) Ibid., 8.

(63) Ibid., 14. (64) Ibid.

(65) Hippolytus, De Antichr. 2, cited by D.C.B., p. 118.

(66) Ibid., Contra Noetus, ii, 12.

ديونيسيوس الروماني (٢٦٩ م):

في احتجاجه ضد الذين انحرفوا نحو فصل الثلاث أقانيم وضد مبادئ سابيلوس ، أوضح ديونيسيوس الروماني عقيدته عن الروح القدس بالنسبة لعلاقته بأقنومي الآب والإبن في الثالوث قائلاً إنه ينبغي أن لا نقسم الوحدة الإلهية القائمة في الثالوث إلى ثلاثة أقانيم منفصلة .

ولكن سقط ديونيسيوس هو الآخر في فهمه الخاطيء لوضع الروح القدس في الثالوث بقوله إن أقنوم الإبن وأقنوم الروح القدس هما ، من جهة الأصل والمنبع ، خاضعان لله الآب . على أن ديونيسيوس يقول إن الإبن متحد بالآب والروح القدس قائم (ساكن) فيه ، فالثالوث الأقدس يجمع في ذات واحدة حيث الآب مصدر ورأس فائق ، وفي نفس الوقت يشدد أن ننتبه حتى لا نفرق الوحدة إلى ثلاثة آلهة ، حيث يلزم جداً أن نحفظ بوحدة الأصل *μοναρχία* وهكذا نحفظ ونقيم حقيقة الإيمان بالثالوث في المعمودية الآب والإبن والروح القدس ؛ أما الذي نقل لنا ذلك عن ديونيسيوس الروماني فهو القديس أثناسيوس (٦٧) .



(67) Athanas., De Decr., cited by D.C.B., p. 119.

كنيسة الإسكندرية

والآن نأتى إلى تعليم مدرسة الإسكندرية فيما يتعلق بالروح القدس .

اكلمنديس الإسكندري :

بالرغم من أن الكثير من مؤلفات اكلمنديس الإسكندري قد فُقدت ، من بينها كتابان عن كل ما يتعلق بالتعاليم الخاصة بالروح القدس عن شخصه ومواهبه : الأول «عن النبوات» ، والثاني «عن النفس» ؛ غير أنه قد تبقى لنا أجزاء هامة قام بفحصها ونشرها العالم كوتيلبييه Cotelier ، والتي يُظن أنها تتبع أحد هذين الكتابين المفقودين^(١) ، وتدور حول معنى الإنبثاق ἐκπόρευσις بالنسبة للروح القدس :

[مبارك الإنسان الذي عرف عطية الآب من خلال انبثاق الروح كلي
القدس]^(٢) .
[διὰ ἐκπορεύσεως τοῦ παναγίου πνεύματος]

[مبارك الإنسان الذي عرف وتقبل الروح القدس الذي هو عطية الآب الذي
منحه على هيئة حمامة ، الروح الذي بلا شائبة عديم الغضب والمرارة ، الكامل
المنطلق من — قلب — (أعماق) الآب .
« ἀπὸ σπλάγχχνων ἰδίων προϊέμενος »

ليدبر الدهور و يعلن غير المنظور ، فهو الروح القدس الحق الآتي من الآب
(τὸ ἀπ' αὐτοῦ προελθόν) الذي هو قدرته وإرادته ، المستعلن لتكميل ملء
مجده . أما الذين ينالونه فإنهم ينطبعون بطابع الحق بكامل النعمة]^(٣) .

وفي بقية أعمال اكلمنديس الإسكندري يعلن بوضوح لاهوت الروح القدس^(٤) ،
حيث ينتهي كتاب المعلم بدعاء النعمة لتمجيد الآب والإبن مع الروح القدس ، وهو
يفرق بين وحدانية الروح القدس وبين تعدد مواهبه .

(1) Lightfoot, on Clement, p. 219-220. (2) D.C.B., p. 119.

(3) Ibid. (4) Clement of Alex., Paedagog., iil. 12.

كذلك فإن اكلمنندس يعتبر أن حضور الروح القدس في المؤمنين يشكل نوعاً جديداً من الطبيعة البشرية .

كذلك فإنه يصف مواهب الروح القدس الإلهية أنها هي العطر الذكي المكون من الروائح السماوية التي يمنحها المسيح لأحبائه (٥) .

واكلمنندس يقرن أحياناً بين الكلمة والروح حينما يتكلم عن إلهام الأنبياء (٦) . كذلك فإن اكلمنندس يؤكد على دور الروح القدس في إنارة الكنيسة بصورة مستمرة وكذلك الأفراد فيها (٧) .

كما يضيف أن كل من يؤمن « بالكلمة » فإن نفسه تتحد بالروح القدس (٨) . والإنسان العارف بالله بالحقيقة true gnostic هو المؤمن حقاً والتلميذ بالفعل للروح القدس (٩) ، وهو بهذا يتمكن أن يسبر أعماق الكتاب المقدس و يطلع على أعماق المعنى الخفي فيها بالإضافة طبعاً إلى إتباعه التقليد فيما يخص قانون الإيمان (١٠) .

واكلمنندس يشير إلى عمل الروح القدس في ملوك الكنيسة من نحو الماديات ، ويربط بين أعمال الروح القدس وبين سر المعمودية فيقول :

[نحن المعمدين إذ قد تخلصنا من خطايانا التي كانت بمثابة ضباب، يحجب نور الروح الإلهي ، أصبحنا نملك عيناً روحية محررة غير منطمسة ممتلئة نوراً ، بها نحدق في الإلهيات ، وصرنا منفتحين على خفايا الأسرار، والروح القدس ينسكب علينا من السماء] (١١) .

و يشرح اكلمنندس التدرج من درجة الموعوظين التي فيها تقود التعاليم المبدئية إلى الإيمان ، والإيمان حينما تلحق به المعمودية يتهيأ لقبول تعاليم الروح القدس :

(5) Paedagog., 11. 8. (6) Westcott., Study of the Gospels, p. 435.

(7) Clement, Strom., V. 13.

(8) Ibid., II. 1-13. (9) Strom., V. 24; paed., 1. 6.

(10) Strom., VI. 15. (11) Paedag., 1. 6.

« πίστις δέ ἄμα βαπτίσματι ἁγίῳ παιδεύεται πνεύματι »

أما فيما يختص بالإفخارستيا وعلاقتها بالروح القدس فهو يشير إلى هذه العلاقة ولكن يذكر أيضاً الكلمة ولا يتضح تماماً ما إذا كان التقديس يتم بالروح القدس أو بالكلمة :

« ἐν τῷ πνεύματι τῷ αὐτοῦ κοσμήσειν λέγει τὸ σῶμα τοῦ λόγου ὡσπερ ἀμελεῖ τῷ αὐτοῦ πνεύματι ἐκθρέψει τοὺς πεινῶντας τὸν λόγον » (12)

أوريجانوس :

كان أوريجانوس من بعد ترتليان أول من قام بمحاولة دراسة موضوع الروح القدس دراسة علمية .

وقد علم أوريجانوس بأن الروح القدس مساوٍ في الكرامة والمجد للآب والإبن (13) . وأول من أكد بيقين أن الروح القدس منبثق من الآب انبثاقاً أزلياً ، حاله كحال الإبن (14) .

وأن الروح القدس صالح صلاحاً كلياً ومطلقاً (15) .

وأن عمل الروح القدس المميز غير عمل الآب والإبن ، فهو يختص بنفوس المؤمنين (16) .

وأنه بالرغم من أن عطاياه متعددة فجوهره واحد غير منقسم (17) .

وأن الروح القدس العامل في الأنبياء في العهد القديم هو نفسه العامل في العهد الجديد في القديسين ، غير أنه بعد الصعود صارت إرساليته ممتدة وشاملة ومتسعة (18) .

والمؤمنون باشتراكهم في الروح القدس يصيرون روحيين وقديسين ، والذي يشترك في الروح القدس يشترك في الثالوث ، لأن الثالوث غير مفترق لأنه ليس هيولياً أي مادياً (19) .

(12) Paedag., ch. 2; ch. 47; cited by H.B. Swete, D.C.B., p. 119.

(13) Origen, Princ., 1; praef.

(14) Ibid., II. 2; ch. 1. (15) Ibid., I. 2, ch. 3.

(16) Ibid., I. 3; ch. 5.

(17) Ibid., I. 1; ch. 3. (18) Ibid., II. 7; ch. 1,2. (19) Ibid., IV. 1, ch. 32; cf. I. 3 ch. 5

والقدرة على استخلاص المعاني الروحية العميقة بالإلهام يرجع إلى كون الكتب المقدسة مكتوبة بإلهام الروح القدس (٢٠).

بل وإن كل حرف هو بمقتضى الحال يكشف عن أثر الحكمة الإلهية (٢١).

ولأسف فإنه بعد كل هذه التعبيرات عن لاهوت الروح القدس فإن كلاً من جيروم وإبيفانيوس يتهمان أوريجانوس بأنه قال إن الروح القدس مخلوق (٢٢)، بل والقديس باسيليوس كاد أن يصادق هو أيضاً على هذه التهمة بالنسبة لأوريجانوس (٢٣).

وكل هذا جاء بسبب خطأ في فهم الفرق بين

(٢٤) γενητός ἢ ἀγέννητος & γεννητός ἢ ἀγέννητος

ولكن خروج أوريجانوس عن تقليد الكنيسة ولغتها المهمة واضح جداً في شرحه لإنجيل يوحنا، فهو يضع الروح القدس في درجة أقل من الإبن، لا بالنسبة للكرامة بل بالنسبة للأصل origin، فهو يقرر أن الإبن وحده هو من الآب فقط، ولكن الروح القدس هو من الآب بواسطة الإبن (هنا بداية خطأ الكاثوليك الآن في قوهم إن الروح القدس منبثق من الآب والإبن — Filioque — الذي يشير مباشرة أن الروح القدس أقل من الإبن والتي أخذوها عن أوغسطين الذي أخذها بدوره عن أوريجانوس).

كذلك عندما بدأ أوريجانوس يشرح قول إنجيل يوحنا (١: ٢) «كل شيء به كان» «πάντα δι' αὐτοῦ ἐγένετο» أي أن الكلمة خلق كل شيء، تساءل أوريجانوس في غفلة قائلاً: أليس يلزم أن يكون الروح القدس أيضاً بين هذه الموجودات أي الخليفة γενητά ؟

(20) Origen, Hom. on Num., XXVII. 1.

(21) Origen, Philocal. 2.

(22) Hieron., epp. ad. avlt., ad. Pamm., et ocean; eplph., Haer. LXIV. 8.

(23) Basill., De Sp. sanct, 29.

(24) Origen De princp., l. praef. ch. 4.

وهكذا يعتبر أوريجانوس أن الروح القدس ، بمفهوم ما ، يستمد خلقته أو وجوده Genesis بواسطة الابن ، ويعود بلا جدوى يمنح الروح القدس الكرامة فوق كل الخليفة γενητά . ، ولكن هيهات ! فقد أسقط أوريجانوس الروح القدس عن المساواة الكاملة في الثالوث وهو يعنى في هذا الفكر الخاطيء بقوله :
[وحتى وإن كان الروح القدس فوق كل الخليفة في الكرامة فهو بحسب الفكر يتحتم أن يُحسب بين الخليفة ، لذلك فهو يُعتبر أقل من الابن الذي بواسطته يستمد وجوده !!] .

وهكذا لم تسعف العبقرية الفكرية هذا الفكر العملاق ، لأنه لم يلتزم بالتقليد واستخدم المنطق الذي أوقعه في الخطأ ، ومهّد دون أن يدري لبدعة آريوس الذي تمادى في إنكاره الكامل للاهوت الروح القدس .

تلاميذ أوريجانوس وامتداد الخطأ :

من بين تلاميذ أوريجانوس الذين تمسكوا بهذا المفهوم الخاطيء من جهة درجة الروح القدس بييريوس (Pierius) ، الذي يتهمه فوتيوس بأنه وضع الروح القدس أقل في المجد والكرامة من الأب والابن .

وقد وقع ثيوغنسطس Theognostus في نفس الخطأ (٢٥) باعتماده على تعاليم أوريجانوس .

وقد قام القديس باسيليوس (٢٦) باتهام ديونيسيوس بابا الإسكندرية (سنة ٢٤٧) بنفس الخطأ من جهة درجة الروح القدس ، ولكن العجيب أن باسيليوس نفسه يستشهد بكتابات ديونيسيوس الإسكندري نفسه في إثبات تساوي الثالوث ، كما يذكره ديونيسيوس في الذكصا أي تمجيد الثالوث في ختام أقواله دائماً « والمجد لله الأب والابن مع (σύν) الروح القدس » حيث σύν تفيد المعية في المساواة .

(25) Biblioth. codd., 119, 106.

(26) Basil., ep. 41.

وفي كتابات ديونيسيوس بابا الإسكندرية إلى سميّه بابا روما توجد أقوال واضحة تتنافى مع هذا الإتهام – ومع أي مباحكة لآريوس الذي قال إنه يقتبس من ديونيسيوس الإسكندري – وقد أوردتها القديس أثناسيوس في دفاعه عن البابا ديونيسيوس لإثبات صحة إيمانه .

[إن كل إسم من الأسماء الآب والإبن والروح القدس غير منفصل قط عن ما يليه ... لذلك حينما يُذكر الروح القدس فإني في الحال أتذكر انبثاقه من الآب بواسطة الإبن $\pi\theta\epsilon\nu\ \kappa\alpha\iota\ \delta\iota\acute{\alpha}\ \tau\acute{\iota}\nu\omicron\varsigma\ \eta\kappa\epsilon\nu$ فإن طبيعة الآب ليست غريبة عن الإبن ولا يمكن أن يفترق الإبن عن الآب والروح القدس فيها (في أيديهما)] (٢٧).

ولا تخلو هذه الحقبة – نهاية القرن الثالث – من شاهد قوي لتقليد الكنيسة اللاهوتي بالنسبة لدرجة الروح القدس ولاهوته معاً ، وهو ميثوديوس Methodius أسقف صور، الذي قال صراحة إن الروح القدس مساوي للآب في الجوهر $\delta\mu\omicron\upsilon\sigma\iota\omicron\nu\ \pi\nu\epsilon\upsilon\mu\alpha$ (٢٨).

القرن الرابع ... قرن المتاعب والتصفيات

أريوس والآريوسية :

لقد تخصصت الأريوسية في بادئ الأمر في مهاجمة الإبن ، ولكنها لم تستثن من حين لحين الروح القدس من التنكرو والمهاجمة ، ففي صلب « الثاليا » ، وهي أنشودة الكفر التي ألفها أريوس وتعني « الوليمة » يقول :

[« إن جواهر الأقانيم الثلاثة الآب والإبن والروح القدس هي من جهة طبيعتها منفصلة عن بعضها وغريبة عن بعضها وتمييزة » ... « وكل أقنوم في الثالوث أكرم وأمجد من الآخر بالتسلسل وهذا التدرج في المجد والكرامة هو إلى

(27) Athanas., De sent. Dionys., 17.

(28) Migne, Patr. Gr., XVII) 210, 351; cited by D.C.B., p. 120.

مالانهاية» [٢٩].

ولكن لم يركز مجمع نيقية إلا على لاهوت الابن ومساواته للآب بسبب الخطورة المحدقة بالخلاص والفداء آنثذ، من جراء إنكار لاهوت الابن، واكتفى المجمع بقوله: «ونؤمن بالروح القدس» ولما طُرح هذا التساؤل فيما بعد بخصوص عدم توضيح المجمع لماهية الروح القدس جاء الرد مفحماً بالعدل والحق حينما قال كل من غريغور يوس اللاهوتي وإييفانيوس أسقف قبرص أن ذكر المجمع «ونؤمن بالروح القدس» لم تأت منفصلة عن الثالث، أي عن الله، بل جاءت في معرض تقرير قانون الإيمان بالله الواحد (٣٠).

أما إحجام المجتمعين في مجمع نيقية - أي أساقفة العالم كله - من جهة التعرض لشرح لاهوت الروح القدس، فكان بسبب انصباب الهجوم كله وبكل كثافة على لاهوت الابن، حيث لم يكن في جميع الكنائس وبين جميع الشعوب حديث آخر في تلك الحقبة الزمنية العصبية سنة ٣٢٥م إلا عن لاهوت الابن، أما الروح القدس فلم يتعرض له الأريوسيون إلا لماماً وبدون تخصيص (٣١). وكما يقول القديس باسيليوس أن الأريوسيين في بدء المعركة بذروا فقط بذور إنكار لاهوت الروح القدس ضمن تعبيراتهم المبهمة عمداً، ولم تنضج هذه البذار ولم تأت بحصادها المسموم وبصورة متخصصة تجاه الروح القدس إلا بعد خمسين عاماً تقريباً (٣٢).

وهكذا بين سنة ٣٢٥م أي زمن انعقاد المجمع الأول، وسنة ٣٦٠م، واثت فرص كثيرة لدى الأريوسيين وخاصة جماعة اليوسابين (يوسابيوس النيقوميدي) لكي يشرحوا وجهة نظرهم تجاه إنكارهم للاهوت الروح القدس بصورة مستترة ضمن تعبيراتهم وقوانينهم الكثيرة التي خرجوا بها للعالم بعد المجمع التي عقدوها. وهي توضح دهاء السياسة التي انتهجوها آنثذ في مقاومتهم لمقررات مجمع نيقية بألفاظ منتخبة

(29) Athanas., Contr. Ar., 1. 6; de syn. 15.

(30) Greg. Naz., Or. XXXVII; Epiph., Haer. LXXIV.

(31) Basil., Epp., 78, 387.

(32) Ibid., Ep. 78.

ومتقنة ومن الكتاب المقدس ، إنما مفرغة عمداً من أية إشارة لأزلية الروح القدس أو لاهوته بدون تصريح علني ، مكتفين بوضع أقنوم الروح القدس في درجة أقل من الآب والإبن ، موضحين فقط ما يختص بإرسالته الزمنية أي إرساله يوم الخمسين ، حاذفين ما يخص وجوده السابق (أزليته) ودون ذكر لأي تعبير يُمْت إلى كيانه أي لاهوته (٣٣) .

وإليك مختصر لتعبيرات الأريوسيين عن الروح القدس :

[ونحن نؤمن بالروح القدس ، الباراكليت ، روح الحق ، الموعود به من الأنبياء ومن الرب وأُرسل إلى الرسل ليعلمهم كل شيء وليعزي ويقدر ويكمل المؤمنين . والإبن هو الذي منح الروح القدس للكنيسة بحسب إرادة الله (πατρικῶ βουλήματι) لذلك نحن نحرم كل من يقول أن الروح القدس هو إله غير مخلوق (واضح هنا الكفر) ، ونحرم كل من يخلط بين شخص الروح القدس وشخص الإبن أو يقول أنه من الآب ، أو يقول أنه من الإبن الذي - الروح القدس - هو به (وليس منه) ، أي أرسل به إلى العالم الذي = (δι' υιοῦ ἀποσταλεῖν) = per filium est ونحن نرفض الإصطلاح غير الكتابي « جوهر واحد » للآب والإبن والروح القدس] (٣٤) .

وبينا كان يستخدم الأريوسيون كل هذا الخدق وكل هذا الدهاء في الإكتفاء بالأوصاف الناقصة أو السلبية للروح القدس ليخفوا حقيقة إنكارهم للاهوت الروح القدس ، نجد أن أشخاصاً مسئولين وكثيرين من أفراد الشعب بدأوا بسرعة وبدون دهاء يعلنون ويؤكدون كفرهم بلاهوت الروح القدس صراحةً وعلناً .

فوجد مثلاً لوسيفر سنة ٣٥٨ م وهو أسقف كاجلياري يوجه إتهاماً علنياً للإمبراطور قسطنطينوس يقول فيه إن الإمبراطور لا يؤمن أن الباراكليت هو بعينه « روح الله » (٣٥) .

(33) Hahn., Bibliothek. der Symbole, p. 148-174; cited by D.C.B., p. 121.

(34) Ibid.

(35) Pro Athanas. II; Migne Patr. Lat. XIII, 898.

وفي هذا الصدد أعلن القديس أثناسيوس مرات عديدة منذ البداية رداً على محاولات الأريوسيين في تشويه الإيمان بالروح القدس قائلاً:

[إنه يستحيل الإيمان بالروح القدس إيماناً صحيحاً طالما يخفق الإيمان بأن الابن واحد مع الآب في الجوهر] (٣٦).

ولقد ظل الأرثوذكس في كافة أنحاء العالم متمسكين بمقررات مجمع نيقية تجاه الإيمان الصحيح بالابن وبالروح القدس إزاء محاولات الأريوسيين ، سواء كان ذلك في الغرب الذي وضع في مجمع سرديكا سنة ٣٤٧ م أو في مجمع أريمنيم مع الشرقيين سنة ٣٥٩ م .

أما القديس أثناسيوس فقد بدأ في تنفيذ آراء الأريوسيين من جهة الروح القدس بصورة واضحة ومحددة سنة ٣٦٠ م ، حينما أصدر أول شرح مستفيض عن شخص الروح القدس موضحاً أنه « منبثق من الآب » .

ومنذ ذلك التاريخ أصبح أمام الكنيسة ضرورة ملحة في توضيح كل ما يتعلق بالروح القدس لتنفيذ كفر الأريوسيين ! وبينما كان القديس أثناسيوس في منفاه هارباً من وجه مضطهديه في صحراء طيبة وصلت إلى يديه أول رسالة من القديس سيرابيون أسقف ثمي ، يخبره أنه في إبارشيته (في الدلتا) وجد ضمن الراجعين إلى الكنيسة بعد أن جحدوا الأريوسية لا تزال جماعة من المنحرفين عن العقيدة الصحيحة من جهة الإيمان بالروح القدس تسمى جماعة المتقلبين tropici ، وهم ينادون بأن الروح مخلوق وأنه روح خادم لا يختلف عن الملائكة إلا في الدرجة وحسب (٣٧) .

وبعودة أثناسيوس إلى الإسكندرية بعد منفاه ، بدأ فوراً بالتحضير لمجمع الإسكندرية الذي أصدر منشوراً جمعياً سُمي بطومس الأنطاكيين ، لأنه أرسل إلى أنطاكيا بنوع خاص ، يحمل أول حكم بالإدانة تصدره الكنيسة ضد عدم الإيمان بلاهوت الروح القدس ، محذراً أن كل من يريد أن يعود إلى الكنيسة من جماعة

(36) Athanas., Or. Cont. Ar., 1. 8.

(37) Ad. Serap., I. init.

الأريوسيين عليه أن يجحد أولاً كل من يقول بأن الروح القدس مخلوق أو أنه منفصل عن جوهر الآب والإبن .

وبمجرد وصول هذه الوثيقة التاريخية الهامة إلى أنطاكيا ، قبلها الأسقف بولينوس المرسوم جديداً بكل فرح ، ووقع عليها بإمضائه وأضاف إليها اعترافه الخاص الذي فيه يحرم كل من لا يقول بما جاء فيها .

و يقرر كل من المؤرخ سوزومين وسقراط وروفينوس أن مجمع الإسكندرية هذا أعلن بوضوح أن الروح القدس واحد في الجوهر مع الآب والإبن (٣٨) .

« ἀδιαίρετον τῆς οὐσίας τοῦ υἱοῦ καὶ πατρὸς »

وتحاشى الخطاب ذكر كلمة الأوموؤوسيوست حتى لا يثير مشاكل عند النصف أريوسيين ، الذين كانوا قد قبلوا الأوموؤوسيون بصعوبة فيما يتعلق بالإبن وتعذر عليهم فهم الأوموؤوسيون بالنسبة للروح القدس .

وقد انبرى في هذه الحقبة مقدونيوس وماراثونيوس Marathonius ، اللذان رفضا بشدة القول بلاهوت الروح القدس ، وظلا يعلمان أن الروح القدس مخلوق وخادم لله ، ولذلك دُعيا هما وجماعتهما بمحاربي الروح القدس = πνευματομάχος ، الذين حرمتهم الكنيسة آنثوذ (٣٩) . ولكنهم لم يقووا على مقاومة الكنيسة كثيراً ففي مدى عشرين سنة استسلموا وخضعوا للإيمان الصحيح (٤٠) .

وفي سنة ٣٦٣ م عقد القديس أناسيوس مجمعاً آخر في الإسكندرية ، أعاد فيه التأكيد على عقيدة ألوهية الروح القدس ، حيث أصدر المنشور الجمعي باسم الإمبراطور جوفيان يدين فيه الذين يحاولون إحياء هرطقة أريوس من جديد ، منكرين إيمان مجمع نيقية الذي يتظاهرون بالإعتراف به ولكنهم يحرفون معنى الأوموؤوسيون ويجدفون على الروح القدس قائلين إن الإبن خلقه ، في حين أن واضعي قانون الإيمان في مجمع نيقية

(38) Sozom., V. 12; Socrate III. 7; Ruf. H.E. 1. 28.

(39) Socr. II. 45; Sozom. IV. 27; Theodor., II. 6.

(40) D.C.B., p. 121; by Rev. H.B. Swete.

يمجدونه مع الآب والإبن ضمن الإيمان بالثالوث المقدس (٤١).

في روما ...

ولكن للأسف وقعت روما في حبال مقدونيوس وأتباعه ، إذ أرسل إلى البابا ليبريوس بعثة من مجعته الخارج على الإيمان ، المُسمى بمجمع لمباسكوس سنة ٣٦٥ م ونجح مقدونيوس في إقناع البابا ليبريوس وكل أساقفة إيطاليا ، واكتسبهم أنصاراً له فيما يخص تعاليمه المغشوشة عن الروح القدس (٤٢) ، مدعياً أنه يتمسك بقوانين مجمع نيقية المقدس .

وهذه المناسبة نذكر بالأسى أنه بعد موت هذا البابا حدثت مذبحة قُتل فيها ١٣٧ شخصاً من الشخصيات المتزاحة بسبب انقسام معركة الإنتخابات بين داماسوس ويورسينوس Ursinus المزاحم له ، حتى بلغت حد الحصار في الكنائس واقتسام النفوذ عليها . وقد تم بالفعل رسامة كل منها بابا ، داماسوس بابا روما في كنيسة القديس لورنزو ويورسينوس بابا روما في كنيسة بازيلكا يوليوس (٤٣) .

ولكن في سنة ٣٦٦ م بعد اعتلاء البابا داماسوس وهو أسباني الأصل (٣٠٤-٣٨٤ م) كرسي روما (٤٤) ، افتضح الأمر واكتشف الغرب أخيراً الفخ الذي سقطوا فيه وذلك بفضل ومضات النور المنبعثة من فنار الإسكندرية - أثناسيوس اللاهوتي - الذي لم يهدأ ولم ينثن أن يفضح الظلام شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً سواء بالرسائل الخاصة أو بإعلان مقررات المجامع التي عقدها في الإسكندرية لهذا الغرض (٣٦٠-٣٦٣ م) .

واستيقظت روما متأخرة جداً على رائحة الهرطقة التي دخلت كنيستها وتغلغلث فيها بسبب غفلة البابا ليبريوس المذكور، وبدأ الأساقفة في الإجتماع وعقد المجامع

(41) Ad. Jovian 4; Migne XXVI, 820.

(42) D.C.B., by Rev. H.B. Swete, p. 122.

(43) Acc. to the Gestie Inter Liberium et Felicem 160; cited by Cross. Dict. p. 370.

(44) Ibid.

المتتالية برئاسة داماسوس أسقف روما ، وذلك بمساعدة الإمبراطور فالانتيان الأول ، لدحض هذه الهرطقة بلا توقف . و يذكر لنا المؤرخ المشهور هيفلي أنه لم تهدأ روما من سنة ٣٦٨ - ٣٨١ م وهي تقيم المجامع الواحد تلو الآخر، الأول سنة ٣٦٩ م ، والثاني سنة ٣٧٤ م ، والثالث سنة ٣٨٠ م (٤٥) . وفي هذه المجامع استعادت روما أرثوذكسيته وقررت بكل وضوح وتأكيد أن :

١ . الروح القدس غير مخلوق .

٢ . أنه في كرامة واحدة وجوهر واحد (أوسيا) وقدرة واحدة مع الآب والإبن .

٣ . أزلي عالم بكل شيء (كلي العلم) ، موجود في كل الوجود ، متميز بشخصه ، معبود من الكل (كلي العبادة) ، منبثق من الآب فقط ، واحد مع الآب والإبن باتحاد كامل مطلق .

وحرمت بالتالي أريوس ومقدونيوس واينوميوس وكل من أنكر أزلية الروح القدس وانبثاقه من الآب = *De Patre esse vere ac proprie* (فقط) (لاحظ هنا أيها القارئ أن إيمان روما كان أرثوذكسياً صحيحاً سليماً فيما يخص انبثاق الروح القدس من الآب فقط في القرن الرابع) .

كذلك حرمت كل من يقول أنه مخلوق أو أن الإبن خلقه ، حتى ولو كان أرثوذكسياً في كل نواحي الإيمان الأخرى . وأعلنت روما إيمانها (بعد وفاة أثناسيوس بخمس سنوات وعلى هدى مقررات مجامع الإسكندرية) بالثالوث المقدس ، لاهوت واحد قدرة واحدة وكرامة ومجد واحد ، وسُمي هذا « طومس داماسوس » ولاقى قبولاً في أنطاكيا ووقع عليه ١٤٦ أسقفاً اجتمعوا في مدينة أنطاكيا سنة ٣٧٨ م بحسب تحقيقات العالم والمؤرخ هيفلي (٤٦) .

(45) Hefele, op. cit. vol. II. 287-393.

(46) Ibid., p. 291, 360-363. (47) Socr., II. 21.

ماذا في قيصرية وتعاليم أسقفها يوسابيوس المؤرخ الشهير (٢٦٤-٣٤٠ م):
يعتبر من القلائل الذين عاصروا عصر ما قبل نيقية (وكان عضواً في جماعة النصف
أريوسيين) ، وعصر ما بعد نيقية ، وواحد من أكثر المتحمسين لأوريجانوس (١٧) .
لقد كان غير دقيق في تعبيراته اللاهوتية ، حتى أنه يمكن بسهولة وضعه ضمن
المتقدمين في الهرطقة الأريوسية (١٨) .

فكان يوسابيوس يؤمن و يعلم بأن الروح القدس هو ثالث في الكرامة والمجد وفي
الدرجة أيضاً أي في الجوهر (١٩) .

فكان يصف « الروح القدس بأنه يستقبل نوره من ، الكلمة ، ، كالقمر في فلك
اللاهوت وأنه يستمد كل كيانه وصفاته من الابن » .
وبذلك كان يحسبه أنه ليس إلهاً ولا حتى بمستوى الابن ، أي ليس غير مخلوق ،
وكونه لا يستمد أصله من الآب كالإبن فيتحتم أن يكون واحداً من الأشياء التي
خلقت بواسطة الابن و بالنص الحرفي هكذا: (٢٠)

« οὐτε θεός, οὐτε υἱός, ἐπὶ μὴ ἐκ τοῦ πατρὸς ὁμοίως τῷ υἱῷ καὶ αὐτὸ τὴν γένεσιν
εἴληφεν ἐν δέ τι τῶν διὰ τοῦ υἱοῦ γενομένων » (50)

ثم يعود يوسابيوس و يستدرك هذا الشطط ، لعله يعيد للروح القدس شيئاً من هيئته
الإنجيلية فيقول : وبالرغم من أنه مخلوق إلا أنه أعلى وأفضل جميع المخلوقات ... وهيئات
فأي كرامة لمخلوق ؟

كما يتبين من أقوال يوسابيوس هذا ، أن انبثاق الروح القدس مرتبط فقط
بإرسالته ، أي كحدث زمني .

وماذا في أورشليم عند كيرلس الأورشليمي

صاحب التعاليم المشهورة للموعوظين (٣١٥-٣٨٦ م):

لقد عاش هذا الأسقف حتى شاهد ختام المعركة اللاهوتية ضد الأريوسيين التي

(48) Rev. H.B. Swete, D.C.B., p. 123

(49) Paraep. Evang., VII. 16.

(50) Euseb., De Eccl. Theol., III. 6.

بدأت في صبوته المبكرة . والمعروف عن منهجه اللاهوتي أنه جاز عدة تطورات وتصحيحات على طول المدى (٥١) ، ولقد كتب مقالة عن الروح القدس في بكور حياته (٣٤٧-٣٤٨ م) .

وكان من الآباء النادرين الذين تمسكوا بتعليم الكتاب المقدس والتقليد والتزم الصحة في التعبيرات اللاهوتية فيما يخص الروح القدس ، بسبب ما كان يجري أمامه من المعارك اللاهوتية وتعاليم أثناسيوس التي أنارت الشرق والغرب ، وبسبب شدة تعلقه بالأسرار الكنسية وخاصة المعمودية التي اعتبرها الأساس في التعليم والبناء الروحي ، لذلك صار هذا الأسقف نموذجاً رائعاً للتمسك بالتقليد وبالأسرار كمصدر استنارة لإدراك اللاهوت وتجنب الأخطاء اللاهوتية ، وإن كانت تعاليمه جاءت غامضة فيما نحن بصددده ولكن يمكن استشفاف الأفكار الآتية من تعاليمه عن الروح القدس كالآتي :

- ١ . يرفض فكرة أوريجانوس فيما يخص خلقه الروح القدس بواسطة الإبن .
- ٢ . يعتبر الروح القدس مساوياً في الكرامة للآب والإبن .
- ٣ . يحدد شخصية الروح القدس ويؤكد على وحدانيته المتميزة عن ظهوراته المتعددة (بالمواهب المتعددة) .
- ٤ . لا يحدد انبثاقه وكيفيته ولكن يكتب بالقول أن الإبن يمنح الروح القدس ما يستلمه هو من الآب ، وهنا يظهر بنوع ما الانحراف في فهم درجة طبيعة الروح القدس (٥٢) .

« πατήρ μὲν δίδωσιν υἱὸν καὶ υἱὸς μεταδίδωσιν ἅγιον πνεῦματι »

ثم يقف هنا حائراً ويقول إنه لا يليق بنا بعد ذلك أن نفحص أموره أكثر من ذلك .

٥ . وأهم ما يجيء في تعاليم كيرلس الأورشليمي عن الروح القدس هو مفاعيله ومواهبه وأعماله كالآتي :

(51) Sozom., IV. 25; VII, 8; Socr. V. 8. (52) Catech. XVI. 24.

أ — يقدس ويؤله — θεοποιόν — بنعمته الخاصة كل ذي طبيعة عاقلة أو
مفكرة كضرورة حتمية للإقتراب من الله ، ولا يستثنى من ذلك الملائكة
ورؤساء الملائكة (٥٣) (يقرر هذا القديس أناسيوس بوضوح) .

ب — ألهم الأنبياء ، وحلّ على الرب ، وأعطي للرسل ، يُمنح للمعمدين في
المعمودية في لحظة العماد (٥٤) .

«τό και νῦν κατὰ τὸν καιρὸν τοῦ βαπτίσματος σφραγίζον σου τὴν ψυχὴν»

كذلك فإنه يُعطي لنا أيضاً لحظة التثبيت (٥٥) (وضع
اليد = الميرون) .

ج — الروح القدس يقدس ويحول الإفخارستيا (٥٦) .

د — يوحى إلينا بكل الأفكار المقدسة (٥٧) .

هـ — الروح القدس هو النار الإلهية التي تُغني الخطية وتنير النفس التي تتقبل
نعمته (٥٨) .

وهكذا يغطي كيرلس الأورشليمي مفهوم الروح القدس للمعمد العادي ، ولكنه
على المستوى اللاهوتي يقف عاجزاً عن فهم الجوهر الواحد الذي للآب والإبن
والروح القدس ، أي التساوي المطلق في الثالث الذي يدونه يستحيل الإيمان
بوحداية الله .

كما يقف عاجزاً عن فهم الإنبثاق من الآب فقط (كإنبثاق الشعاع من
الشمس) كصفة جوهرية لأقنوم الروح القدس ، الذي بدون ذلك يستحيل
فهم مساواته للإبن أو الآب في الجوهر والكرامة .

* * *

(53) Ibid., IV. 6; XVI. 23.

(54) Ibid., IV. 16.

(55) Ibid., XXI. 2,3.

(56) Ibid., XXIII. v. 9,17.

(57) Ibid., XVI. 19.

(58) Ibid., XVII. 5.

الفصل الثاني

القديس أناسيوس الرسولي

وإرساء القواعد الثابتة للاهوت الروح القدس

ووحدة الثالوث

إلى القديس أناسيوس يعزى منهج التعريف اللاهوتي للروح القدس على أصول البحث المنهجي العلمي بما لا يقل دقة وأصالة عن منهجه في التعريف بالإبن . وبدراسة الرسائل المتبادلة بينه وبين القديس سيرابيون أسقف تمي فيما يخص الروح القدس ، وكذلك بدراسة كل ما جاء في دفاعه ضد الأريوسيين يتضح هذا المنهج بخطواته وعمقه واستشهاداته والتزامه بالفكر التقليدي الكنسي الإسكندري على المستوى الكتابي والروحي وبإلهام واضح . فهو يقول لسيرابيون أسقف تمي هكذا :
[إن هذا هو التعليم الذي استلمته الكنيسة من الرسل] (إلى سيرابيون ٢٨: ٣٢).

[لنتأمل في تقليد الكنيسة الجامعة وتعاليمها وإيمانها منذ البدء التي أعطتها الرب ، وكرز بها الرسل ، وحفظها الآباء . على هذه تأسست الكنيسة ، ومن يسقط منها لا يعتبر مسيحياً ... هكذا ينادى بإله واحد في الكنيسة ، الذي على الكل ، وبالكل ، وفي الكل . (الترجمة الأصح : الذي هو كلي الأصل (على) وكلي السبب (ب) وكلي التنفيذ (في) ، وهي الصفات الخاصة المتكاملة بالآب والإبن والروح القدس ، حيث كلمة « كل » لا تفيد الأشياء أو المخلوقات بل تفيد معنى الكلية ، أي المطلق ، أي الله في ذاته الكلية المطلقة) على الكل كآب ، كبداية ، كينبوع ؛ بالكل أي بالكلمة ، في الكل أي في الروح القدس ... فإن كنتم تفصلون وتمزلون الروح القدس من اللاهوت ، لا يكون لكم ذلك الذي هو في الكل ، وإن فكرتم في ذلك فإن طقس الانضمام إلى الكنيسة (المعمودية والتثبيت) الذي تدعون أنكم تمارسونه لا يكون في اللاهوت قطعاً] (إلى سيرابيون ١ : ٢٨ و ٢٩).

والقديس أثناسيوس يواجه أخطاء جماعة المتقلبين tropici في عجزهم عن فهم ماهية الثالوث في وحدانية الله ، بتوضيحه أن اختلاط الطبائع يستحيل أن يستقيم مع وحدانية الثالوث غير المنفصل ؛ فالروح القدس كونه في الثالوث يستحيل أن يكون بطبيعة غير طبيعة الآب والإبن عينا . ومن هنا يستحيل أن يُقال أن في الثالوث خالقاً ومخلوقاً بل إله واحد .

« εἰ κτίσμα ἦν, οὐ συνετάσσετο τῇ τριάδι· ὅλη γὰρ εἰς θεός ἐστιν »

وفي معرض دفاعه يوضح علاقة الروح القدس بالآب والإبن ، وهكذا يقدم القديس أثناسيوس ولأول مرة في تاريخ الكنيسة اللاهوتي منهجاً تعليمياً مفصلاً عن عقيدة الإنبثاق ، فهو في الأساس يقرر بوضوح :

[« إن الروح القدس منبثق من الآب ἐκπόρευμα τοῦ πατρὸς »] (١).

ثم يضع هذا الإصطلاح اللاهوتي الجوهري مراراً كثيرة هكذا : « الذي من الآب منبثق » وهو تجميع للآيتين يو ١٥ : ٢٦ ، و ١ كو ٢ : ١٢ =

« τὸ ἐκ τοῦ πατρὸς ἐκπορευόμενον »

و يضيف أثناسيوس عن عقيدة إرسال الروح القدس هكذا :

[الروح القدس الذي ينبثق من الآب فهو دائماً عند (في يدي) الآب الذي يرسله والإبن الذي يوصله والذي به يملأ كل شيء] (٢).

[لأنه إذا استقام تفكيرهم (المجدفين على الروح القدس) عن « الكلمة » ، استقام تفكيرهم أيضاً عن الروح المنبثق من الآب ، الذي بفضل علاقته (أي علاقة الروح القدس) بالإبن — أعطاه للتلاميذ وكل من يؤمن به ؛ وهم بأخطائهم هذه لا يستقيم إيمانهم بالآب أيضاً لأن الذين « يقاومون الروح » كما قال الشهيد العظيم استفانوس (أع ٧ : ٥١ و ٥٢) ينكرون الإبن أيضاً والذين ينكرون الإبن ليس لهم الآب أيضاً (١ يو ٢ : ٢٣)] (٣).

(1) Athanas., exposito Fidei (ek Thesis), parg. 4.

(2) Ibid

(3) Ad Serap. 1, 2.

أولاً : علاقة الروح القدس الجوهرية بالكلمة :

وإزاء محاولات جماعة المتقنين جحد لاهوت الروح القدس في الوقت الذي يعترفون فيه بلاهوت الإبن ، يبدأ ينتحي ناحية فرعية — أثناء دفاعه عن لاهوت الروح القدس — في وصف علاقة الروح القدس الجوهرية بالإبن خاصة ، فيقول : إن الروح القدس حتى قبل التجسد كان « الكلمة » يعطيه باعتباره أنه — أي الروح القدس — له خاصة وأنه هو الباراكليت :

[عندما حل الكلمة على الأنبياء تنبأوا بالروح] (إلى سيرايون ٤ : ٣) .
[وبكل تأكيد فإن الكلمة قبل أن يتأنس كان يعطي الروح القدس للقديسين باعتباره له أو كخاصته (as his own = ἰδιον) كذلك لما صار إنساناً فإنه يقدس الجميع بالروح القدس و يقول لتلاميذه « اقبلوا الروح القدس »] (٤) .
[هل الروح القدس « واحد » والباراكليت « آخر » ، حيث يكون الباراكليت هو بعد الروح القدس وهل الباراكليت لم يذكر في العهد القديم ؟ — حاشاً! ... فكما أن « الكلمة والإبن » هما واحد كذلك « الروح والباراكليت » والرب نفسه قال هكذا « والباراكليت الذي هو الروح القدس الذي سيرسله الأب باسمي » (يو ١٤ : ٢٦) وهكذا يتكلم الرب عن الواحد نفسه] (٥) .

ملاحظة هامة :

وبسبب هذه المهرطقة التي نشأت منذ القرن الثاني القائلة بأن الباراكليت لم يكن موجوداً في العهد القديم ، وأن الروح شيء والباراكليت شيء آخر ، وقد تبناها جماعة المتقنين والأريوسيين ؛ لذلك اهتم مجمع نيقية أن يقرر عن الروح القدس أنه « الناطق في الأنبياء » ، وقد انبرى قبل أثناسيوس يوستين ، الذي كان أول من أعطى صفة « روح النبوة » للروح القدس التي نردها الآن في الأجيال

(4) Athanas., C. Ar., I, 48.

(5) Athanas , C. Ar., IV, 29.

προφητικόν عندما كان يتكلم عن المعمودية^(٦)، كذلك تعرض لها أوريجانوس أيضاً^(٧).

[إن الكلمة صار جسداً لكي يقدم جسده عن الجميع ولكي إذا نحن اشتركنا في الروح القدس نصير شركاء الطبيعة الإلهية (نتأله). هذه العطية التي كان يستحيل علينا نوالها إذا لم يكن لبس جسداً من جسدنا المخلوق، ولكننا بنوالنا الروح القدس لا نفقد طبيعتنا الخاصة]^(٨).

كذلك فإن أثناسيوس قبل أن يصل بالقارىء إلى المساواة الكاملة للروح القدس في الثالوث مع الآب والإبن، يبدأ أولاً بوضع العلاقة الجوهرية المتساوية في كل شيء بين الروح القدس والكلمة، حتى ينفي قطعياً قول الهرطقة أن الإبن خلقه فيقول :

[كما أن الإبن هو في الآب والآب فيه وأنه من جوهر الآب ἴδιος τῆς τοῦ πατρὸς οὐσίας كذلك فإن الروح القدس هو في الإبن والإبن فيه، ولذلك لا يمكن أن يُقال أن الروح القدس مخلوق أو يوجد منفصلاً عن الكلمة]^(٩).

[وكما أن الإبن هو في (من) الآب، لذلك هو من جوهر الآب. كذلك بالتالي فإن الروح القدس لأنه في (من) الله فإنه يتحتم أن يوجد جوهرياً مع الإبن ἴδιος κατ' οὐσίαν]^(١٠).

[عندما افتقد « الكلمة » العذراء القديسة مريم، دخل الكلمة ومعه الروح القدس إليها = συν—εἰς—ἤρχετο وصاغ الكلمة جسده بالروح القدس ἐν τῷ πνεύματι ἐπλαίτε τὸ σῶμα كل البشرية (إتحاد) بالله وبحضرها إليه بواسطة نفسه] (إلى سيرايون ١: ٣١).

(6) Justin, Apol. I, 61; I, 6, 13; Trypho 49, 54, 61.

(7) Origen, In Tir, t. 4, p. 695; cited by Newman, op. cit.

(8) Athanas., De Decr. 14.

(9) Athanas., C. Ar., I, 20, 21.

(10) Ibid., I, 25.

[لا يمكن أن يتجزأ الثالث ، هذا نراه فيما قيل للقديسة مريم نفسها ، فإن رئيس الملائكة جبرائيل لما أرسل لكي يعلن حلول الكلمة عليها قال : « الروح القدس يجل عليك » ، عالماً أن الروح القدس قائم في « الكلمة » وبعد ذلك مباشرة يقول : « وقوة العلي تظلك (تسكن فيك) » لأن المسيح هو قوة الله وحكمة الله] (إلى سيرايبون ٣ : ٦).

[لذلك كم يكون مستحيلاً أن يُقال أن الروح القدس خارج عن أو غريب من الكلمة ἐκτός τοῦ λόγου لأنه كونه في الكلمة فهو في الله =

(١١) « ἐν τῷ λόγῳ ὃν ἐν τῷ θεῷ δι' αὐτοῦ ἔστιν

[إن الروح القدس هو التعبير الكياني μορφή والصورة εἰκὼν الموضحة للإبن كما أن الإبن هو التعبير الكياني وصورة الآب] (١٢).

وأثناسيوس يستخلص من هذه العلاقة الجوهرية والمتساوية في كل شيء بين الكلمة والروح القدس رداً مفحماً لجماعة المتقلبين ، الذين يقولون بلاهوت الكلمة وينكرون لاهوت الروح القدس قائلين أن الكلمة خلقه .

ولكن لا يغيب عن بالنا أن همّ أثناسيوس الأساسي في إثبات لاهوت الروح القدس ليس من صفاته أو علاقته بالكلمة فحسب ، بل ومن عمله في الخليقة القديمة والخليقة الجديدة هكذا :

[« بينا أن الخليقة كلها هي مجال عمل الروح القدس المتعدد الجوانب ، فإنه يعمل بصورة خاصة جداً وفائقة في المعمدين الذين يوحدتهم في الله :

τῆ τοῦ πνεύματος μετοχῆ συναπτόμεθα τῆ θεότητι

وبسبب هذه الوحدة يصيرون بحالة ما مؤهلين θεοποιῶνται = deified] (١٣).

(11) Ibid., III, 5.

(12) Ibid., III, 2; IV, 3.

(13) Ibid., III, 24, 25.

(١) التقديس :

[إذن فالروح القدس ، الذي لا يتقدس هو بشيء خارجاً عن نفسه ، ولا يستمد قداسته بالشركة بل هو نفسه ينبوع القداسة وفيه تنقدس كل الطبائع المخلوقة ، كيف يمكن أن تكون طبيعته مثل طبيعة المخلوقات التي تنقدس به ؟]
(إلى سيرابيون ١ : ٢٣).

(٢) طقس الإنضمام للكنيسة (العضوية في جسد المسيح) :

[لقد أوصى تلاميذه قائلاً : « اذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والإبن والروح القدس » ، لكي بالروح القدس وفيه تكمل معرفتنا بالله = θεολογία ، ويتم طقس الإنضمام للكنيسة (المعمودية والتثبيت معاً) ويكمل اتحادنا بشخصه وبالآب] (إلى سيرابيون ١ : ٦).

أ - الروح القدس لحظة العماد :

[فاذا قبلوا (لما آمنوا) إلا الروح القدس الذي يُعطى للذين يؤمنون ويُولدون ثانية « بغسل الميلاد الثاني » (تي ٣ : ٥)] (إلى سيرابيون ١ : ٤).

ب - الروح القدس لحظة وضع اليد (الميرون = التثبيت) :

[كذلك أيضاً بوضع أيدي الرسل كان الروح القدس يُعطى لمن ولدوا ثانية] (إلى سيرابيون ١ : ٦).

[ومتى تم هذا إلا عندما جاء الرب ووجد كل الأشياء بالنعمة ؟ فروحنا تجددت ... يقول الله أن روحه هو الذي به تتجدد أرواحنا ἀνακαινίζω]
(إلى سيرابيون ١ : ٩).

(٣) ثم يشير القديس أثناسيوس إلى عمل الروح القدس الأساسي في رسامة الأساقفة في الكنيسة :

[كما قال بولس الرسول « التي أقامكم الروح القدس فيها أساقفة لترعوا كنيسة الله التي اقتناها بدمه » (أع ٢٠ : ٢٨)].

(٤) يمتد أثناسيوس بمفهوم قوة التقديس في الثالوث إلى عملها الخاص بالروح القدس ، ويستنتج مباشرة أن الروح القدس من جوهر الثالوث أي اللاهوت لأنه يقديس الإنسان :

[إن الروح القدس يدعى روح القداسة (المسيح هو القدوس ابن الله) ، وأما المخلوقات فهي تحتاج – بطبيعتها – إلى التقديس ، أما هو فلا ينال القداسة من آخر بالمشاركة بل يمنحها باشتراكه هو مع الخليقة (الجديدة) ، لذلك كيف يمكن أن يُقال أنه يعتبر واحداً من الخليقة ؟] (إلى سيرابيون ١ : ٢٣) .

(٥) كذلك يستخدم أثناسيوس سر قدرة الروح القدس على إعطاء الحياة (المسيح هو الحياة) في إثبات لاهوته :

[إنه يُدعى الروح المحيي (و « روح الحياة في المسيح يسوع ») ، لأن منه تنال المخلوقات الحياة ، علماً بأن الإبن هو نفسه الحياة و يدعى في الإنجيل رئيس الحياة ، فكيف يُحسب الروح القدس ضمن المخلوقات وهو الذي فيه تنال المخلوقات الحياة بواسطة الكلمة ؟] (إلى سيرابيون ١ : ٢٣) .

(٦) وهكذا يرى أثناسيوس أن علاقة الإبن بالروح القدس علاقة (« الإبن » ، وروح البنوة) ؛ (« قدوس » ، وروح القداسة) ؛ (« حياة » ، وروح محيي) . كذلك يراها (« مسيح » ، ومسحة) ؛ (« وكلمة » ، وختم) ؛ (« وطيب » ، ورائحة زكية) :

[لهذا فكما أن الرب يدعى إبناً هكذا يدعى الروح القدس روح البنوة (روح التبني) ، كذلك أيضاً كما أن الإبن يُدعى « الحكمة » و « الحق » ، فالروح القدس يُدعى « روح الحكمة » و « روح الحق » ، وكما أن الإبن هو قوة الله ومجد الآب (رب المجد) فالروح القدس يدعى روح القوة والمجد :

« لو عرفوا لما صلبوا رب المجد » (١ كو ٢ : ٨) .

« إذ لم تأخذوا روح العبودية (الناموس) أيضاً للخوف بل أخذتم روح

التبني » (رو ٨ : ٥) .

« أرسل الله روح ابنه إلى قلوبكم صارخاً يا أباً الآب » (غل ٤: ٦).
« إن غُيِّرْتُمْ باسم المسيح فطوبى لكم لأن روح المجد والقوة يحل عليكم »
(١ بط ٤: ١٤).

« روح الحق ، المعزي » (يو ١٤: ١٦ و ١٧) [(إلى سيرايبون ١: ٢٥).
[الروح يدعى المسحة $\chi\rho\iota\sigma\mu\alpha$ ، و يدعى أيضاً الختم $\sigma\phi\rho\acute{\alpha}\gamma\iota\varsigma$ ، وبه
تُختم وتُمسح الخليقة (الجديدة) ، فإن كان الروح هو المسحة وهو الختم
الذي به يُمسح « الكلمة » الجميع ويختتمهم ، فأية مشابهة تكون بين المسحة
والمخلوق الذي يُمسح ، أو بين الختم والمختوم . يستحيل أن يكون الختم من عداد
المختومين به أو تكون المسحة من عداد المسوحين (الختم شيء والمختوم شيء
آخر ، المسحة شيء والمسوح شيء آخر ، هذه قوة الطبيعة الإلهية الواهبة وهذه
ضُعبف الطبيعة القابلة) إنه الروح الخاص بالكلمة وبه يُمسح و يُختم
(المعدون)] (إلى سيرايبون ١: ٢٣).

(٧) و يؤكد أثناسيوس أن الروح القدس هو روح المسيح الخاص ، و يستدل على ذلك
من أن الذين يُمسحون به تصير لهم رائحة المسيح الزكية لله والذين يَخْتَمُونَ به تنطبع
عليهم صورة المسيح الكلمة :

[المسحة $\chi\rho\iota\sigma\mu\alpha$ لها نفس رائحة الذي يمسح بها ، ولذلك فالذين يقبلون
المسحة يقولون « نحن رائحة المسيح الزكية لله »] (إلى سيرايبون ١: ٢٣).

(٨) [والختم $\sigma\phi\rho\acute{\alpha}\gamma\iota\varsigma$ يحمل نفس صورة المسيح الذي يَخْتَمُ ، ولذلك فالذين
يُخْتَمُونَ تصير لهم شركة هذه الصورة ، و يتحولون إليها بحسب كلمات الرسول
« يا أولادي الذين أتمخض بكم (الميلاد الجديد) إلى أن يتصور المسيح فيكم
(بالروح القدس) »] (إلى سيرايبون ١: ٢٣).

(٩) [وحينما نُخْتَمُ بالروح القدس نصير شركاء الطبيعة الإلهية (طبيعة الختم
والخاتم) بحسب كلمات بطرس الرسول ، وهكذا تصبح الخليقة (الجديدة)
شريكة الكلمة في الروح القدس] (المرجع السابق).

(١٠) و ينتقل أثناسيوس سريعاً ليصل بالإتحاد الذي يتم بالكلمة في الروح القدس إلى الإتحاد الذي يتم في الثالوث أي الله الواحد .

[وحيث أننا نصير بالروح القدس شركاء المسيح و بالتالي شركاء الله ، يتبرهن من ذلك أن المسحة والختم الذي فينا لا يُحسب أنه من طبيعة الكائنات المخلوقة ، بل من طبيعة الإبن الذي بواسطة الروح الذي فيه يوحدنا مع الآب] (إلى سيرابيون ١ : ٢٤) .

(١١) [فإن كان الآب هو الذي يخلق ويجدد الجميع بواسطة الكلمة في الروح ... فإن الروح الذي فيه يخلق الجميع ، كيف يكون هو مخلوقاً ؟
إن قبول مثل هذا الافتراء يضطرنا أن نقول مثل هذا بالتالي عن الإبن بل وعن الآب نفسه أيضاً] (إلى سيرابيون ١ : ٢٤) .

ثانياً : علاقة الروح القدس الجوهرية بالآب والإبن في الثالوث :

[الثالوث كله إله واحد ... ، ولا موضع فيه لشيء غريب عن الله] (سيرابيون ١ : ١٧) .

[هذا هو إيمان الكنيسة الجامعة ، لأن الرب أسسها في الثالوث وأصلها فيه عندما قال لتلاميذه « اذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والإبن والروح القدس] (إلى سيرابيون ٣ : ٦) .

يبتدىء أثناسيوس ليثبت وحدة الروح القدس مع الآب والإبن ، معتمداً كلية على الكتاب المقدس مقدماً الآيات تلو الآيات ، معتبراً أن إعلان الله في الكتاب المقدس هو المصدر الوحيد لفهم ماهية الروح القدس ، مؤكداً إن وحدة الأقانيم الثلاثة هي وحدة جوهر ثم وحدة في صفات وفي أعمال ، فكل ما يعمله الروح القدس إنما يعمله من خلال وحدته بالآب والإبن .

فهو يعتمد على بولس الرسول مثلاً في قوله : إنا في الروح القدس تستنير عيوننا (أف : ١ : ١٧ و ١٨) وإنا جميعاً سُقينا روحاً واحداً (١ كو : ١٢ : ١٣) . ثم يطبق ذلك

على ما جاء عن الآب فيقول إن الكتاب المقدس يقول إن الآب نور و ينبوع ، وكذلك الإبن أيضاً الذي يتصل بالآب كما يتصل النهر بالينبوع أو الشعاع بالنور (عب ١).

[وحيث أن الآب نور والإبن بهاء هذا النور، فنحن في الإبن ننال الروح الذي به نستنير، وحينما نستنير بالروح القدس يكون المسيح نفسه هو الذي ينير علينا لأنه هو النور الذي يضيء لكل إنسان آت إلى العالم .

وبالمثل من حيث أن الآب هو الينبوع ، والإبن كنهريقال أننا نشرب الروح ... ، وحينما نشرب الروح فنحن في الواقع نشرب من المسيح ، لأنه هكذا قيل عن شعب إسرائيل في البرية إذ كانوا يشربون من صخرة روحية كانت تتبعهم والصخرة كانت المسيح] (إلى سيرايون ١: ١٩).

ومن نفس هذه الوحدة بين الأقانيم الثلاثة نحن نقبل روح التبني :

[حيث أن المسيح هو الإبن الحقيقي (بالجوهر) ، فنحن حينما نقبل الروح القدس نصير أبناء «بالروح» ولكن حينما نصير أبناء ، فن الواضح أن ذلك يتم في «المسيح»، لذلك ندعى أبناء «لله» (بالتبني)] (سيرايون ص ١١٩ ؛ ضد الأريوسية ٣: ١٩).

ثم من نفس هذه الوحدة في الثالوث نتقبل روح الحكمة .

[حيث أن الإبن هو حكمة الله فنحن حينما نقبل روح الحكمة ، فنحن نقبل في الحقيقة الإبن الذي به نصير حكما] (نفس المرجع السابق).

ثم بنفس هذه الوحدة في الثالوث يصير حلول الأتقنوم الواحد ، أي الروح القدس ، لا بمعنى أنه يكون بديلاً عن الإبن أو الآب بل أننا به نحقق حلول الآب والإبن :

[«إن أحببنا بعضنا بعضاً ، فالله يثبت فينا . بهذا نعرف أننا نثبت فيه وهو فينا أنه أعطانا من روحه» . وحيث أن الله يثبت فينا ، فالإبن أيضاً يكون فينا ، لأنه هو نفسه يقول ذلك «إليه نأتى — أنا وأبي — وعنده نصنع منزلاً» [نفس المرجع السابق).

هكذا نرى أن جميع الأعمال المنسوبة للروح القدس تكون في الواقع هي أعمال المسيح نفسه :

[كل ما كان الإبن يعمله ، كان يقول إن الآب الحالّ فيه هو الذي يعمله . وهكذا على هذا النمط كل ما كان بولس الرسول يعمله بالروح كان يدعو عمل المسيح فيه] (نفس المرجع السابق) .

ومن ذلك يخرج أثناسيوس بالنتيجة الآتية :

[فحيث أن الثالوث المقدس يمتاز بمثل هذه الوحدة وهذا الإتحاد ، فن ذا يستطيع أن يفصل الإبن عن الآب أو الروح القدس عن كل من الآب والإبن ؟ ومن ذا يجسر أن يتكلم عن اختلاف أو مفارقة في طبيعة الثالوث كأن يقول أن الإبن من جوهر مخالف لجوهر الآب أو أن الروح القدس غريب عن الإبن ؟] (سيرابيون ١ : ٢٠) .

هكذا يصل أثناسيوس إلى الحقيقة أن وحدة الروح القدس بكل من الآب والإبن هي من نفس نوع الوحدة الكائنة بين الآب والإبن ، أي وحدة الجوهر والطبيعة . وهكذا يفحم أثناسيوس المعارضين على لاهوت الروح القدس بنفس برهان التحدي الذي قدمه مراراً للأريوسيين ، أن الأحرى بهم أن يفصلوا الشعاع من النور أو الحكمة من الحكيم إن أرادوا أن يفصلوا الروح القدس عن الآب والإبن (١٤) .

[يقولون — مستكرين — كيف بمجرد أن يكون الروح القدس فينا يُقال أن الإبن أيضاً فينا ؟ أو حينما يكون الإبن فينا يكون الآب أيضاً فينا ؟ — ثم يستطردون : إن كان الثالوث حقاً من ثلاثة أقانيم ، فكيف يكون وجود الواحد منهم كافياً لوجود الثالوث كله ؟ إن من يتساءل مثل هذه الأسئلة فالأحرى به أن يفصل الشعاع من النور أو الحكمة من الحكيم !!] (إلى سيرابيون ١ : ٢٠) .

[كما أن الإبن حالّ في الروح القدس كما في صورته الخاصة هكذا الآب حالّ

(14) Athanas., C. Ar., I. 29; II. 31; III. 4, 6, 15; De Syn.: 52.

في الإبن] (نفس المرجع السابق).

و يوضح أثناسيوس هذه التعبيرات الخاصة بالعلاقة بين الأقانيم قائلاً :
[إن الكتاب المقدس يستخدم مفاهيم الصورة والشعاع والنور والينبوع
والنهر... إلخ لكي يسهل علينا التعبير عن هذه الحقائق الفائقة ، ولكي نؤمن أنه
لا يوجد إلا تقديس واحد للنفس وهو الذي يأتي من الآب بالإبن في الروح
القدس =

[Ένα είναι τόν άγιασμόν, τόν έκ πατρός δι' υίου έν πνεύματι άγίω γενόμενον]

وهذا الإصطلاح يعتبر تلخيصاً سهلاً لكل ما أجاب به أثناسيوس على استنكارات
المنكرين لوحدة الأقانيم معاً مع احتفاظ كل أقنوم بميزاته الشخصية ، لأن وحدة القوة
المقدسة في الثالوث هي التي تفسر لنا أنه بمجرد حلول أحد الأقانيم الثلاثة ، يقال في
الحال أن الثالوث كله يكون موجوداً :

[لكي نعتقد أن هناك قداسة واحدة مستمدة من الآب بالإبن في الروح
القدس ، وكما أن الإبن مولود وحيد الجنس ، هكذا فإن الروح القدس واحد
وغير متعدد ، ليس واحداً من كثير (المواهب المتعددة التي له) ، بل روح
وحيد . وكما أن الإبن الكلمة الحي وحيد هكذا ينبغي أن يكون (روح الإبن)
القوة الحية والعطية ، الذي به يقدر وينير ، ينبغي أن يكون وحيداً كاملاً
تاماً ، وهو الذي قيل أنه ينبعث من الآب ، لأنه من الكلمة المعترف أنه من
الآب ، وهو الذي قيل أنه يشرق ويرسل ويعطي — وكما أن الإبن أرسل من
الآب ، كذلك الإبن يُرسل الروح القدس « إن ذهبت أرسل الباراكليت » [
(إلى سيرابيون ١ : ٢٠) .

[ووحدة الثالوث كاملة ، لأن الآب يصنع كل شيء بواسطة الإبن في
الروح القدس] (إلى سيرابيون ١ : ٢٨) .

وهنا نستطيع أن نفهم سر إصرار بولس الرسول حينما يتكلم عن مواهب الروح
القدس كيف يرجع كل شيء إلى الله الآب (١ كو ١٢ : ٦) وهذا يأخذه أثناسيوس

و بشرحه :

[لما يقسمه الروح لكل واحد ، يكون الآب هو الذي يمنحه بواسطة الكلمة ، لأن كل ما للآب هو للإبن ، وبالتالي فالمواهب التي يمنحها الإبن في الروح القدس هي أصلاً مواهب الآب] (إلى سيرابيون ١ : ٣٠) .

ثم إن هذه الوحدة الكائنة بسبب التساوي المطلق في الثالوث — وحدانية الله — هي التي تفسر لنا العمل الواحد والتواجد المشترك للأقانيم فينا :
[حينما يكون الروح فينا يكون الكلمة — الذي يمنح الروح — هو أيضاً فينا وفي الكلمة يكون الآب نفسه] .

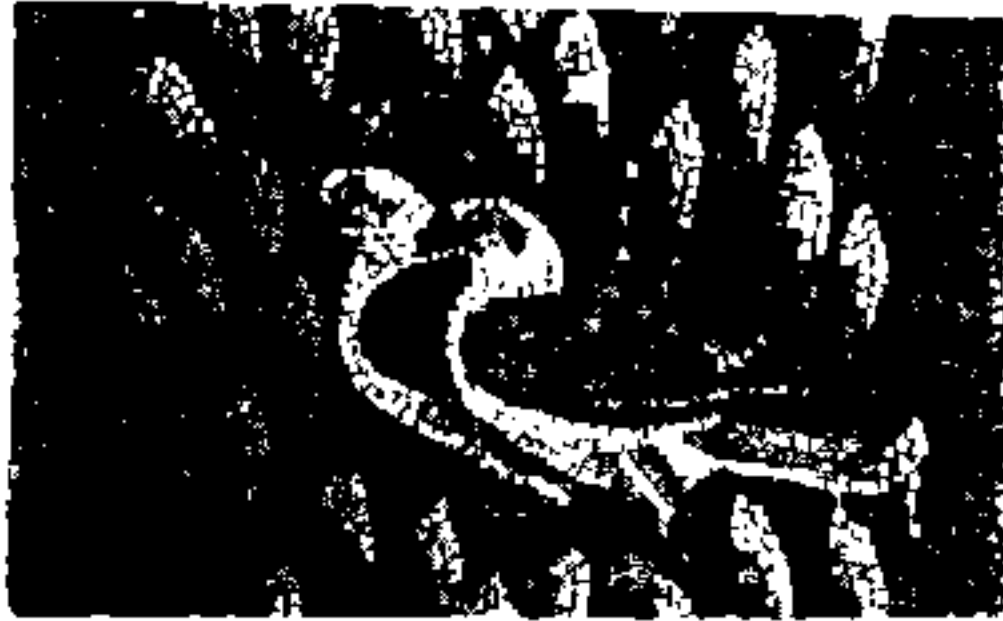
هكذا يؤكد القديس أثناسيوس أن الأقانيم الثلاثة متلازمون ، ولا يمكن الفصل بينهم كما لا يمكن الفصل بين النور والشعاع أو بين الشعاع وقوته ...
وهنا يكمن سر البركة المتلازمة العمل والفاعلية للثالوث التي يصر عليها بولس الرسول : « نعمة ربنا يسوع المسيح ومحبة الله وشركة الروح القدس مع جميعكم » .
[إن النعمة التي يمنحها الثالوث هي بالضرورة من الآب بواسطة الإبن في الروح القدس . فكما أن النعمة تأتي من الآب بواسطة الإبن ، هكذا أيضاً لا يمكننا أن ننال شركة فيها إلا في الروح القدس ، فحينما ننال شركة الروح تكون لنا بالتالي محبة الآب ونعمة الإبن] (إلى سيرابيون ١ : ٣٠) .

[ومن هذا يظهر أن عمل الثالوث واحد فالمواهب التي يتكلم عنها الرسول لا يقول عنها أنها تُعطى من كل واحد من الأقانيم الثلاثة على حدة ، بل يقول أنها معطاة في الثالوث ، وأن جميعها من الله الواحد ... فالروح القدس إذن ، وهو متحد بالإبن ، لا يوجد شيء يعمله الإبن إلا ويكون معمولاً في الروح . كما أن الإبن وهو متحد بالآب يصنع كل ما يصنعه الآب ، فالروح إذن غير منفصل عن الإبن ، حتى أنه حينما تم كلمة الرب « وإليه تأتي — أنا وأبي وعنده نصنع منزلاً » يكون الروح معها بالضرورة يأتي ويسكن

فينا كما يسكن الإبن تماماً [(إلى سيرايون ١ : ٣١)] .

وهكذا فإن القديس أناسيوس ، في معرض دفاعه عن لاهوت الروح القدس ،
يكون قد استوفى أصعب وأدق موضوع وهو علاقة الأقانيم معاً — وخاصة الروح القدس
في الثالوث — وفي نفس الوقت يكون قد استوفى أيضاً عمل الروح القدس فينا من
داخل الثالوث .

وهو في ذلك بينا يقدم تعاليمه كرجل لاهوت ، لا يفوت علينا قط أن نلمح أنه إنما
يشرح خبرته الروحية العميقة وعقيدته الإيمانية التي يعيش بها خلاصه وحياته
الأبدية ...



مسحة المسيح بالروح القدس وقت العماد والنعمة التي نلناها من هذه المسحة

لقد تطرق أثناسيوس إلى هذا الموضوع لينفي عن « الإبن » احتمال قبوله للروح القدس ، موضحاً أن الإبن لم يقبل الروح القدس لأن الروح القدس قائم في الإبن والإبن قائم في الروح القدس ، لأن جوهر الإبن والروح القدس واحد . فالروح القدس والإبن هما واحد - مع الآب - لاهوتياً ؛ أي بحسب الكيان الإلهي الذاتي الواحد . ولكن الروح القدس حلّ على الجسد بملء اللاهوت ، لكي نأخذ من هذا الملاء إذا اتحدنا بالجسد ، وأثناسيوس يقول بوضوح إن هذه المسحة إنما هي لنا ، وليست للإبن ، والإبن لم يتقدس من آخر بل هو الذي قدس ذاته (الجسد) :

[وإن ما قالتها المزامير (الأشعار) المقدسة ، توضح المعنى « الأرثوذكسي » الذي يحرفه الأريوسيون ، مع أنه واضح بكل تقوى لدى صاحب المزامير فهو يقول :

— « عرشك يا الله إلى دهر الدهور ، قضيب البر هو قضيب مُلكك ، لقد أحببت البر وأبغضت الإثم ، لذلك فالله وهو إلهك قد مسحك بزيت البهجة أعلى من (شركائك) رفقاءك » (مز ٤٤ : ٧ ، ٨) .

انظروا أيها الأريوسيون واعرفوا الحق ، فالمرغم يتكلم عنا نحن كرفقاء أو شركاء للرب ، ولكن لو كان المسيح (الإبن) هو واحد من المخلوقات التي جاءت من العدم (كما يقول الأريوسيون) ، لكان يُحسب واحداً من هؤلاء الرفقاء أو الشركاء ، ولكن المزمور يُسبِّح له أنه هو الله الأبدي « عرشك يا الله إلى دهر الدهور » ، وأن كل المخلوقات تأخذ منه وتشارك فيه ، فاذا نستخلص من هذا في النهاية ، غير أنه متميز بوضوح عن المخلوقات جميعاً ، لأنه هو كلمة الآب الحق وبهاؤه وحكمته ، الذي منه تأخذ وتشارك كافة الخليقة التي نتقدس به في الروح القدس . لذلك يقول هنا أنه « مُسح » ، لا ليصير إلهاً

لأنه هو إله حقاً من قبل ، ولا لكي يصير ملكاً ، لأن له الملكوت منذ الأزل باعتبار صورته الله — كما تقول الأسفار المقدسة — ولكن هذا إنما كتب من أجلنا نحن ، لأن ملوك إسرائيل عندما كانوا يُمسحون يصيرون ملوكاً ، كونهم لم يكونوا ملوكاً سابقاً كداود وحزقيا ويوشيا والباقيين ، أما فيما يخص المخلص فهو على النقيض من ذلك فإنه وهو إله وملك قائم على ملكوت الآب وهو أيضاً الذي يمنح الروح القدس ، يقول المزمور — بالرغم من ذلك — أنه « مُسح » ، على أساس أنه صار إنساناً . فهو على هذا الاعتبار مُسح بالروح القدس لكي يمدنا نحن البشر ليس فقط بالقيامة والرفعة إلى الأعالي (معه) ، بل ويسكني الروح القدس والالفة والمودة معه .

علماً بأن الرب قال من فمه في الإنجيل « لقد أرسلتهم إلى العالم ومن أجلهم أنا أقدم ذاتي حتى يتقدسوا في الحق » (يوحنا ١٧ : ١٨ ، ١٩) ، ويقول هذا يكون قد أوضح أنه لم يتقدس من آخر ، بل هو الذي يقدم نفسه (الجسد) حتى نتقدس نحن في « الحق » .

والذي قدس نفسه هو هو إله التقديس والقداسة ، ولكن كيف حدث هذا وما معناه ؟ :

(أنا كوني كلمة الآب — وقد صرت إنساناً أعطيت لِنَفْسِي الروح القدس ، فأنا إذ صرت إنساناً فكأنسان أتقدس فيه (أي في الكلمة) ، حتى فيّ — وأنا أيضاً الحق — يتقدس الجميع !! « كلمتك هو الحق ») .

فإن كان قد قدس نفسه من أجلنا ، وهذا صنعه لما صار إنساناً ، فإنه يكون من الواضح أن حلول الروح القدس عليه في الأردن كان حلولاً علينا ، لأنه كان حاملاً جسداً ، وهذا كله حدث — في الأردن — ليس لحساب الكلمة ، ولكن من أجل تقديسنا ، حتى يتسنى لنا أن نشترك في مسحته . وحينئذ يصح فينا القول « ألا تعلمون أنكم هيكل الله وروح الله ساكن فيكم » (١ كورنثوس ٣ : ١٦) .

لأن الرب عندما اغتسل في الأردن - كإنسان - فالذي اغتسل هو نحن الذين اغتسلنا فيه وبه ، وحينما تقبل الروح القدس فنحن الذين تقبلنا به الروح .

ولكن ، وأكثر من ذلك ، فإنه لم يُمسح بالزيت كهارون أو داود أو الباقين ، وإنما بطريقة أخرى أعلى من رفقائه (رفقائه في الكهنوت والملوكية) ، « بزيت البهجة » الذي يشرحه المسيح نفسه بأنه الروح القدس قائلاً بضم النبي : « روح الرب عليّ لأن الرب مسحني » (أش ٦١ : ١) ، وكما قال الرسول أيضاً : « كيف مسح الله بالروح القدس » (أع ١٠ : ٣٨) . ثم متى قيل هذا عنه إلا عندما جاء في الجسد واعتمد في الأردن وحلّ عليه الروح ؟ والحقيقة أن الرب نفسه قال : « إن الروح سيأخذ مما لي » ، « وأنا سأرسله » ، كما قال لتلاميذه : « إقبلوا الروح القدس » ، ولكن وبالرغم من هذا ومن كونه هو « الكلمة » و« بهاء الأب » والمُعطي الروح للآخرين يُقال إنه يتقدس « من أجلهم أقدمس أنا ذاتي » ، وما ذلك إلا لأنه صار بشراً ، وأن الجسد الذي يقده هو جسده حتى أننا نحن منه ابتداءً نأخذ المسحة والختم ، كما يقول يوحنا : « وأنتم لكم مسحة من القديس » والرسول يقول : « وقد خُتمتم بروح الموعد القديس » .

لذلك فن أجلنا و بسببنا قيلت هذه الأقوال ، أو ما هو الترقى والتقدم أو الفضيلة التي صارت ، أو حتى السلوك الذي ظهر ، كنتيجة لحصول الرب على هذه (المسحة) ؟ لأنه إن لم يكن أصلاً إلهاً وصار إلهاً أو إن لم يكن ملكاً وتزكى ليكون ملكاً ، لكنت تصبح مجادلاتكم مقبولة شكلاً ، ولكن إن كان هو إلهاً وإن كان قضيب منكه دائماً أزلياً ، فبأي حال من الأحوال يمكن أن يُقال أن الله ترقى أو تقدم (بنواله المسحة) ؟ أو ما هو الذي كان يعوزه ذلك الذي هو جالس بالفعل على عرش مملكة أبيه ؟

فإن كان الرب نفسه هو الذي قال إن الروح القدس هو له خاصة ، وأن

هذا الروح يأخذ منه ، وأنه هو الذي يرسله ، إذن فلا يمكن أن يكون الكلمة ككلمة وحكمة هو الذي مُسح بالروح ، لأنه هو الذي يعطيه ، بل الجسد الذي اتخذته الرب لنفسه هو الذي مُسح فيه وبه لكي التقديس الذي صار للرب كإنسان ينتقل منه لكل الناس ، والمسيح يقول أنه ليس من نفسه يتكلم الروح إنما « الكلمة » هو الذي يُعطي الروح للمستحق !

وهذا يطابق ما قاله الرسول « الذي إذ كان في صورة الله (وهو كائن في هيئة الله) لم يحسب خلسة (لم يعتبره امتيازاً) أن يكون معادلاً لله (أن يكون متساوياً مع الله) ، لكنه أخلى نفسه وأخذ صورة (هيئة) عبد » . هكذا أيضاً يخدم داود الرب (بالتسبيح) معتبراً إياه الإله والملك الأزلي .

لكنه أرسل إلينا وأخذ جسدنا المائت ، وهذا هو المعنى في المزمور « رائحة ثيابك لها عطر المر والصبِر والكاسيا (السليخة) » (إشارة إلى الجسد المائت) . وهذا ما اتضح بواسطة نيقوديموس ومرم ومن معها من النسوة حينما جاء الأول حاملاً مزيجاً من المر والصبِر نحو مئة رطل والأخريات الحنوط التي حضرنها لدفن جسد الرب .

والآن ما هو الإمتياز الذي صار لغير المائت (بطبيعته) حينما أخذ لنفسه (الجسد) المائت ؟ أو ما هو التقدم والترقي الذي صار للأبدي حينما لبس (الجسد) الزمني ؟ نعم ، ما هو العوض أو المكافأة التي نالها الإله والملك الأزلي الكائن في حضن أبيه من هذه المسحة ؟ ألا ترون إذن أن هذه (المسحة على الأردن من الروح القدس) إنما صارت وكتبت عنها « لنا ومن أجلنا نحن » ، حتى يُحضرنا الرب نحن الزمنيين والمائتين إلى ملكوته السماوي الأبدي ؟

لأنه حينما أتى الرب يسوع المسيح إلينا وصار في وسطنا ، حصل لنا نحن الإمتياز والترقي ، إذ قد أنقذنا من الخطيئة ، أما هو فبقى كما هو ولم يتغير قط عندما صار بشراً ، بل كما كُتبت : « إن كلمة الله = λόγος تثبت

(تسكن) إلى الأبد» (أش ٤٠: ٨، الترجمة السبعينية).

وبكل تأكيد، فإن «الكلمة» وقبل أن يصير إنساناً (أي في العهد القديم) منح القديسين روحه باعتباره له خاصة، كما منحه بعد أن صار إنساناً ليقدم الجميع بالروح فيقول لتلاميذه «إقبلوا الروح القدس». وكما أعطى موسى والسبعين الآخرين. وداود أيضاً — من خلال الإبن (الكلمة) — يصلي إلى الآب قائلاً: «روحك القدوس لا تنزعه مني»! فبالمقابل نجده بعد أن تأنس قال «سأرسل لكم المعزي روح الحق»، وقد أرسله بالفعل — وهو الكلمة — لأنه صادق.

لذلك فيسوع المسيح «هو أمس واليوم وإلى الأبد» باق غير متغير، وفي نفس الوقت وبآن واحد يُعطي (المسحة) و يأخذ (المسحة)، يُعطي باعتباره «كلمة الله»، و يأخذ كإنسان. فليس الكلمة إذن الذي يُرى كأنه نال امتيازاً (بالمسحة)، لأنه ككلمة له كل شيء وكل شيء له دائماً، ولكن البشر هم الذين يأخذون أصلهم — ἀρχή — منه وفيه.

إذن فحينها يُقال الآن إنه نال المسحة — كإنسان — فنحن الذين فيه نكون قد مُسحنا، حيث أيضاً حينها اعتمد فنحن أيضاً الذين اعتمدنا فيه. والرب والمخلص يعطي ضوءاً كثيراً على كل هذا حينها يقول للآب: «والمجد الذي أعطيتني أعطيتهم حتى يصيروا واحداً كما أننا نحن واحد» (يو ١٧: ٢٢).

ولذلك حينها طلب هو المجد لنفسه يكون قد طلبه لنا، وكذلك كل ما قيل عن كونه «أخذ» و«أعطى» و«ارتفع إلى الأعالي»؛ حتى فيه «نأخذ» نحن و«نُعطي» و«نرتفع»، لأنه أيضاً لأجلنا قال إنه يقدس ذاته حتى نتقدس فيه (٥).

(٥) هنا في الحقيقة ينقل لنا اثنا سيوس — بحسب التقليد الرسولي — مبدءاً آثائياً ضخماً ومدروساً، يقوم على =

ولكن الأريوسيين حينما يحاولون الإنتفاع - في غشهم - من كلمة « هذا » [« لهذا مسحك الله إلهك »] (وكأنها مكافأة) ، لخدمة أغراضهم ، فينبغي على هؤلاء المبتدئين في فهم الأسفار المقدسة والأساتذة المتعتمدين في

أساس أن الرب قد تفضل وتنازل ليكون وساطة سببية مباشرة لإعطاء حياة لكل فرد مسيحي .
ومبدأ أثناسيوس هنا يمكن مهاجمته لأول وهنة ، إذ يكون السؤال هو أية علاقة يمكن أن تقوم بين تقديس المسيح لبشريته وبين تقديسنا نحن ؟ إذ كيف يمكن أن يفهم أن الطبيعة البشرية تتقدس عندما يتقدس نموذج لها أو عينة ممتازة منها في المسيح ؟
يرد على هذا السؤال يوحنا ذهبي الفم :

[إنه لم يكن إرضاءً لنفسه أن يصير إنساناً ولا أن يتألم بضرب الشياطين ولا أن يقدم ذاته ذبيحة ، وإنما قصده أن يحنو بنا في نفسه *ἀναμάρτη ἐν αὐτῷ ἡμῖν* ليس بمجرد الإيمان وحسب ، وإنما « بالحق وبالفضل » إذ صيرنا جسده] . John Chrysostom, Hom. in Matt LXXXII. 5 .

وأيضاً يقول ذهبي الفم في موضع آخر :

[إننا قد امتزجنا *ἀνικερασθῶμεν* في هذا الجسد ليس بواسطة مجرد المحبة ، وإنما « بالحق والفضل » . هذا تم لنا بواسطة الطعام (الجسد والدم) الذي تفضل به علينا] .

Ibid., Hom. in John. 46. 3.

وكذلك يكتب القديس كيرلس الكبير ضد نسطور :

[وإذ قد برهنا أن المسيح هو الكرمة ، وأننا نحن الأغصان المتحدون به بالإشتراك فيه ، ليس على مجرد المستوى الروحي - وحسب - وإنما جسدياً ، فلماذا هذا - نسطور - يشوش علينا عبثاً قائلاً : بما أننا نلتصق به ليس جسدياً بل بالإيمان فقط وبعاطفة المحبة بحسب الناموس ، لذلك فإنه ليس جسده الذي يدعوه الكرمة وإنما لاهوته] .

St. Cyril, in Johann., Lib, 10, cap 2, cited by N.&P.N.F., vol. IV, p. 333.

وهنا يلاحظ أن الآباء جميعاً لا يقصدون بالإتحاد بالكرمة الإمتزاج المادي بين مادة جسده وبين مادة أجسادنا ، ولكن الإمتزاج والشركة هما مع قوة وتأثير وفعل الحياة الإلهية التي في جسده والموت والضعف والخطيئة التي في أجسادنا ، بحيث أن الحياة التي في جسده (ودمه) تسري في أجسادنا (الميتة) ، فتحياها بالسر المقدس وتلحمها وتثبتها في جسده .

كما يقول بولس الرسول :

« كذلك المسيح أيضاً ، لأننا جميعاً بروح واحد أيضاً اعتمدنا إلى جسد واحد ... وجميعنا سُقينا روحاً واحداً (عصير الكرمة) » (١ كو ١٢ : ١٣) .

« كأس البركة التي نباركها أليست هي شركة دم المسيح ، الخبز الذي نكسره أليس هو شركة

الكفر - أن يعرفوا أن كلمة «لهذا» لا تتضمن معنى المكافأة من أجل الفضيلة أو السلوك في حياة الكلمة ، بل تحمل ضمناً السبب الذي من أجله نزل إلينا ،
ومسحة الروح التي تمت فيه من أجلنا .

= جسد المسيح . فإننا نحن الكثيرين خبز واحد جسد واحد ، لأننا جميعاً نشترك في الخبز الواحد»
(١ كور ١٠: ١٦ ، ١٧) .

— « وأما أنتم فجسد المسيح وأعضاؤه أفراداً » (١ كور ١٢: ١٧) .

ويهذين السريين المقدسين (المعمودية والتناول) لا يصير مانع من الإمتزاج والشركة الحقيقية والفعلية بالروح القدس في جسده ، وإنما على مستوى السر غير المنظور ، حتى أننا نُحسب بالحق الآن أعضاء من جسده = « من لحمه وعظامه » (أف ٥ : ٣٠) ، على مستوى القيامة وعلى مستوى ليس الفاسد عدم الفساد والمائت عدم الموت ، بل ونصير بالنهاية حسب قول بولس الرسول « صعد أيضاً فوق جميع السموات لكي يملأ الكل ، ... لأجل تكميل القديسين لعمل الخدمة لبنيان جسد المسيح ، إلى أن ننهي جميعنا إلى وحدانية الإيمان ومعرفة ابن الله ، إلى إنسان كامل إلى قياس قامة ملء المسيح ... صادقين في المحبة ننمو في كل شيء إلى ذلك الذي هو الرأس المسيح الذي منه ، كل الجسد مركباً معاً ، ومقترباً بموازة الذي يعمل بحسب قياس كل جزء ، يحصل نحو الجسد لبنيانه في المحبة » (أفسس ٤) .

و يقول في ذلك القديس أثاناسيوس :

[حيث أيضاً حينما وُلد الجسد من مريم والدة الإله (ثيوتوكوس) ، قيل وهو « الكلمة » أنه « وُلد » مع أنه هو الذي يمنح الآخرين أصل وجودهم ؛ وهذا تم لكي يحول أصلنا إلى نفسه ونصير نحن بعد ذلك لا من مجرد تراب ، بل ملتحمين بالكلمة السمائي (كالأغصان بالكرمة) لكي نُحمل إلى السماء بواسطة] .

[لذلك فنحن لا نموت بعد بحسب أصلنا السابق في آدم ، بل من الآن وصاعداً فإن أصلنا وضعفنا الجسديين إذ قد تحول إلى « الكلمة » نفوم من الأرض ، ولعنة الخطية تُرفع عنا بسبب وجوده هوفينا ، ذلك الذي صار لعنة من أجلنا . وهذا له علة ، لأنه كما أننا جميعاً من الأرض وموت في آدم ، هكذا وُلدنا ثانية من فوق ، من الماء والروح في المسيح ، وهكذا نحيا ، لأن الجسد ليس هو بعد أرضياً بل صار « كلمة » (لوغس) *λογωθεΐσης τῆς σαρκός* بسبب « كلمة » الله الذي من أجلنا صار جسداً] .
Athanas., C. Ar., III 33.

وهذا الكلام بالرغم من صعوبته وخطورته اللاهوتية ، إلا أنه يصبح مفهوماً وسهلاً إذا عدنا إلى مثل المسيح الذي قاله عن علاقتنا به وما صرنا إليه بواسطة في مثل الكرمة والأغصان ، حينما قال إنه هو الكرمة ونحن الأغصان ، ثم ماذا تُحسب الأغصان إلا كرمة ؟

هذا هو سر كلمة « لهذا » التي جاءت في المزمور، لأنه لم يقل المزمور: « لهذا مسحك الله إلهك لكي تصير إلهاً أو ملكاً أو ابناً أو كلمة »، لأنه هو كذلك قبل ذلك وهو كائن كذلك إلى الأبد. وإنما معنى المزمور: [لأنك إله وملك لهذا فُسحت، لأنه ليس أحد آخر سواك يمكن أن يوحد — unite — الإنسان بالروح القدس، ولأنك أنت صورة الآب والذي فيك خُلقنا منذ البدء وأنت الذي له الروح القدس] لأن طبيعة المخلوقات يستحيل عليها أن تتكفل بعمل مثل هذا،

فالملائكة تعدوا = ἀγγέλων μὲν παράντων.

والبشر عصوا = ἀνθρώπων δὲ παρακουσάντων

لذلك أصبحت الحاجة الوحيدة إلى الله، و« الكلمة » هو هو الله. فالذين وقعوا تحت اللعنة يأتي هو بنفسه ليطلق سراحهم، ... فكما أننا أتينا إلى الوجود جميعاً بواسطة، كذلك أيضاً الآن، فيه، يمكن للجميع أن يُفتدوا من خطاياهم وبه يتدبر الكل.

وهذا هو السبب في المسحة التي تمت فيه، والتي سبق صاحب المزامير فرآها وحياتها، حينما رأى أولاً لاهوته وملكوته اللذين له مع الآب: « عرشك يا الله إلى دهر الدهور قضيب البر هو قضيب ملكوتك ». ثم بعد ذلك يعلن نزوله إلينا، « لهذا مسحك الله إلهك بزيت الإبتهاج أعلى من شركائك ».

فما الذي يستحق الاستغراب من هذا، أو ما هو الداعي هنا لعدم الإيمان إن كان الرب الذي يعطي الروح القدس يقال هنا عنه أنه « مُسِحَّ » بالروح القدس، في حين أنه لم يرفض — من جهة بشريته — أن يدعو نفسه أنه أقل من الروح القدس؟

لأنه حينما كان يخرج الشياطين وقال اليهود عنه أنه ببعلزبول يخرج الشياطين، رد عليهم لكي يكشف تجديفهم قائلاً: « إني بروح الرب أخرج الشياطين ». فانظروا هنا كيف أن الذي يعطي الروح القدس يقول إنه

بالروح يُخرج الشياطين ، وهذا لم يقله إلا بسبب جسده أ... لأنه بسبب أن الطبيعة البشرية ليست قادرة من ذاتها — أو بمفردها — على إخراج الشياطين بل بقوة الروح فقط ، لذلك قال كإنسان : « ولكن إن كنت أنا بروح الله أخرج الشياطين » (مت ١٢: ٢٨).

وهنا في الحقيقة يعني المسيح أيضاً أن التجديف من نحو الروح القدس هو أكبر من التجديف تجاه بشريته ، عندما قال « إن من قال كلمة على ابن الإنسان يُغفر له ، وأما من قال على الروح القدس فلن يُغفر له لا في هذا العالم ولا في الدهر الآتي » (مت ١٢: ٣٢) ، (لأن الواقفين كانوا يدركون بشريته فقط ، مثل الذين قالوا « أليس هذا ابن النجار؟ » (مت ١٣: ٥٥)).

ولكن الذين يجذفون على الروح القدس وينسبون أعمال « الكلمة » (وليس ابن الإنسان) إلى الشيطان ، فهؤلاء حتماً سينالون عقوبة . (أثناسيوس يشرح ذلك بدقة وبتوسع في الرسالة الرابعة لسيرابيون) . هذا ما قاله الرب لليهود بصفته إنساناً ، ولكنه أعلن لاهوته جهاراً لتلاميذه مُظهراً مجده — ككلمة — مشدداً أنه ، على هذا المستوى ، ليس أقل من الروح القدس ، بل مساوياً له حينما أعطاهم الروح القدس قائلاً : « اقبلوا الروح القدس » ، كما قال : « إني أرسله » ، و« إنه سيمجدني » ، و« إن كل ما يسمعه يتكلم به » .

وهنا أيضاً فالرب الذي يعطي الروح القدس لا يمتنع عن أن يقول إنه بالروح يخرج الشياطين كإنسان ، كذلك وهو الذي يعطي الروح القدس أيضاً لم يمتنع أن يقول : « روح الرب عليّ لأنه مسحني » (إش ٦١: ١) ، باعتبار أنه قد صار جسداً ، كما قال يوحنا ، حتى يتضح من هذين الموقفين الخاصين أننا نحن الذين نحتاج نعمة الروح في تقدسنا وأنا أيضاً غير قادرين على إخراج الشياطين بدون قوة الروح .

فبواسطة من ؟ وممن يليق أن يُعطي الروح إلا بواسطة الابن الذي الروح

هوله خاصة ؟

ومتى استطعنا أن نتقبله ونأخذه إلا بعد أن صار الكلمة إنساناً ؟
وكما يقول الرسول إننا لم نكن لثقتدى أو نرتفع إلى الأعالي إن لم يكن هذا
الذي هو صورة الله قد اتخذ صورة عبد !
هذا أيضاً ما أوضحه داود ، أنه لم تكن وسيلة أخرى بها يمكن أن نشترك في
الروح ونتقدس ، إن لم يكن هذا الذي له أن يعطي الروح القدس ، أي
« الكلمة » ذاته يتكلم عن نفسه كمنسوح بالروح من أجلنا ، وهذا نلنا الروح
في يقين وأمان ؛ لأنه إذ قيل أنه مُسح بالجسد ، وهذا تقدس الجسد أولاً فيه ،
فبسبب ما قيل عنه — بصفته إنساناً — إنه قبل الروح من أجل الجسد
(الإنسان) ، فبالتبعية نلنا نحن أيضاً بالتالي نعمة الروح « من ملئه » ؛
« ومن ملئه نحن جميعاً أخذنا ، ونعمة فوق نعمة » (يوا : ١٦) [(٥)] .

وفي موضع آخر يشدد أثناسيوس على أهمية نوال الرب للمسحة كنعمة موهوبة
للبشرية في جسده الخاص هكذا :

[وبالرغم من أنه لم يكن في حاجة إلى شيء ، لكن قيل عنه إنه تقبل ما تقبله
(المسحة) بشرياً ، حتى من الجهة الأخرى يصبح ما يكون قد تقبله الرب
من عطية تسكن فيه في أمان ، وتصير النعمة محفوظة ومؤكدة لحسابنا . لأن
الإنسان العادي إذا تقبل شيئاً ، فإنه يفقده ثانية (كما وضع في آدم لأنه تقبل
وفقد) ، ولكن لكي تكون النعمة غير قابلة بعد للفقدان وتُحفظ في أمان
لدى البشر ، من أجل هذا تقبلها المسيح في ذاته ...] (١) .

[فالبشرية إذن قد تكملت فيه واستعادت وجودها كما كانت منذ البدء وإنما
بنعمة أعظم] (٢) .

وأثناسيوس في موضع آخر يوضح أن « المسحة » التي نالها جسد المسيح لحسابنا

(*) C. Ar., I, 46-50.

(1) C. Ar., III, 38.

(2) C. Ar., II, 67.

هي بعينها اللاهوت ، فهو أي « الكلمة » — لاهوتياً — هو الذي أعطى جسده المسحة :
[« أنا الكلمة » : « المسحة » والذي أخذ المسحة مني هو (أنا)
« الإنسان »] (٣).

وفي هذا يوضح أثناسيوس طبيعة الروح القدس التي هي واحد مع الطبيعة الإلهية
للكلمة . وبسبب هذا يكون « الكلمة » و« الروح القدس » هما واحد جوهرياً أو
طبيعياً .

ولهذا لا يُقال أن الكلمة نال المسحة من الروح القدس ، بل الجسد (الإنسان)
كما سبق الشرح :

[لكن أعمال الجسد لم تكن تتم بدون اللاهوت ، ولا أعمال اللاهوت تتم
بدون الجسد ؛ بل على العكس فإن كل أعماله صنعها الرب الواحد (إشارة
واضحة إلى اتحاد الطبيعتين) الذي أكمل كل شيء في سر نعمته ... فعندما
نرى أعمال الجسد نتعجب ونرى فيها القوة الإلهية التي تعمل ؛ هذا هو إيمان
الكنيسة] (٤).



(3) C. Ar., IV. 36.

(4) Athanas., ad Serap., Ep. V.

مفهوم التجديف على الروح القدس كما يراه القديس أناسيوس

الرسالة الخامسة لسيرايون (١):

« هذا الإنسان يخرج الشياطين ببعزبول رئيس الشياطين » .
« إن كنت بروح الله أخرج الشياطين فقد أقبل عليكم ملكوت الله »
(مت ١٢: ٢٨) .

« كل خطية وتجديف يُغفر للناس . وأما التجديف على الروح ... فلن يغفر له ... لا
في هذا الدهر ولا في الدهر الآتي » (مت ١٢: ٣١، ٣٢) .
يقول القديس أناسيوس مفسراً هذا الكلام هكذا:

[لماذا يُغفر التجديف على الابن ولماذا لا يُغفر التجديف على الروح القدس لا
في هذا الدهر ولا في الدهر الآتي أيضاً؟

لقد قرأت ما كتبه الآباء وبالذات الحكيم المجاهد أوريجانس والعجيب
المجاهد ثيئوغنسطس (٢) (توفي سنة ٢٨٢ م) واطلعت على كتبهم لأرى ماذا
قالوا بخصوص هذا الموضوع .

وكلاهما قال أن التجديف على الروح القدس يحدث عندما يعود الذين

(١) ترجمها إلى العربية الدكتور جورج حبيب بياوي ، وقد نُقل عنه النص بتصريح منه .
(٢) ثيئوغنسطس كاتب كنسي ولاهوتي مشهور، كان مديراً لمدرسة الإسكندرية خلفاً لديونيسيوس وقبل
بيريوس (وليس بعده) . وكتب منهجاً لاهوتياً متكاملًا قائمًا على أساس أفكار أوريجانس وذلك في
سبعة كتب، وأسماء هيبوتيوزيس = ὑποτύπωσεις . وقد تبقّى وصف وتحقيق عنه بقلم فوتيوس
(Cod 106) ، كما لا يزال يوجد مقتطفات كثيرة منه في كتابات القديس أناسيوس إلى سيرايون، وعلى
الدفاع عن قانون نيقية (٢٥) . كما استعان به القديس غريغوريوس النيسي في مؤلفه:
Contra Euno. III . وبالرغم من سقوطه في مفهوم تدني الابن عن الأب بحسب فكر أوريجانس فقد
استخدم القديس أناسيوس كثيراً من أفكاره ضد الأريوسيين

حصلوا على نعمة الروح القدس في المعمودية إلى الخطية . ولذلك يتفق كلاهما مع الآخر على عدم وجود مغفرة ، مستندين إلى ما ذكره بولس في رسالته إلى العبرانيين (٦ : ٤-٦) . عند هذه النقطة كل منهما يتحدث مثل الآخر تماماً ، ولكن بعد ذلك كل منهما له رأيه الخاص .

يشرح أوريجانس سبب دينونة هؤلاء بهذه الكلمات « الله الآب يحل في كل شيء ويضبط كل الكائنات الحية وغير الحية ، أي التي لها نعمة العقل والتي ليس لها نعمة العقل . أما الإبن فهو يشمل بقوته الذين لهم نعمة العقل فقط ، مثل الموعوظين والوثنيين الذين لم يأتوا بعد إلى الإيمان . أما الروح القدس فهو يسكن فقط في الذين قبلوه في المعمودية . ولذلك عندما يخطيء الموعوظون أو الوثنيون فإن خطيئتهم هي ضد الإبن فقط ، لأنه هو فهم كما ذكر - أوريجانس - ولذلك يمكنهم الحصول على المغفرة عندما يكرمون بنعمة الميلاد الثاني . ولكن عندما يخطيء المعمد فإن الخطية بعد المعمودية موجهة ضد الروح القدس الذي يسكن في الذين عمّدوا ، ولذلك لا مناص من العقاب .

أما ثيوغنسطس فهو كما ذكرت يتبع نفس شرح أوريجانس ويقول : إن الذي يتخطى الحاجزين الأول والثاني يستحق عقوبة أقل . ولكن الذي يتخطى الحاجز الثالث لا يمكن أن يحصل على مغفرة . وهو يدعو التعليم الخاص بالآب والإبن بالحاجزين الأول والثاني . أما الحاجز الثالث فهو التعليم الذي يُقال في المعمودية والخاص بالروح القدس ، ولكي يؤكد ثيوغنسطس هذا الشرح اقتبس كلمات الرب للتلاميذ « عندي أشياء كثيرة لأخبركم ولكنكم لا تملكون بعد ، ولكن متى جاء الروح القدس فهو سيعلمكم ... » (يوحنا : ١٦ : ١٢-١٣) . وقد قال ثيوغنسطس عن هذه الكلمات أن المخلص تحدث مع أناس لا يمكنهم أن يقبلوا التعاليم الكاملة ، ولذلك نزل إلى مستواهم غير الكامل . أما الذين تكلموا فهم الذين قبلوا الروح القدس في المعمودية ، والتعليم الكامل هو من نصيب الذين حل فيهم الروح القدس .

لكننا نحذر كل من يقرأ هذه الكلمات من عدم فهمها بصورة سليمة ، إذ

لا يجب أن يظن أحد أن التعليم عن الروح القدس أسمى من التعليم عن الإبن مادام الإبن قد نزل إلى مستوى غير الكاملين ، بينما الروح القدس هو « ختم الكمال » . كما علينا أيضاً أن نحذر من الظن بأن الروح القدس أسمى من الإبن طالما أن التجديف على الروح بلا مغفرة . ولكن المغفرة لغير الكاملين (غير المعمدين) ، أما الذين ذاقوا الموهبة السماوية وصاروا كاملين فلا مغفرة لهم ولا صلاة يمكنها أن تسهل لهم المغفرة . هذا ما ذكره هذان الكاتبان المجاهدان .

أما عن نفسي فحسب ما تعلمت ، أعتقد أن رأي كل منيها يتطلب فحصاً ومراجعة دقيقة لأن كلمات الإنجيل الخاصة بالتجديف عميقة .

في الحقيقة واضح أن الإبن في الآب ، وبالتالي فهو في الذين فيهم الآب أيضاً . والروح القدس ليس غائباً عن الآب والإبن ، لأن الثالوث القدوس المبارك غير منقسم . وزيادة على ذلك إذا كان كل شيء قد خلق بالإبن (يوا : ٣) وفيه كل الأشياء توجد (كوا : ١٧) ، فهو ليس كائناً خارج الأشياء التي جاءت إلى الوجود بواسطته . فكل المخلوقات ليست غريبة عنه . هو بالطبيعة في كل شيء ، وبالتالي كل من يخطيء ويجدّف على الإبن يخطيء ويجدّف على الآب والروح القدس . ولو كان حيم الميلاد الثاني قد أُعطي باسم الروح القدس فقط ، لكان من المعقول أن نقول أن الذي عُمد إذا أخطأ بعد المعمودية يخطيء ضد الروح القدس وحده . ولكن لأن المعمودية تُعطى باسم الآب والإبن والروح القدس ، فكل معمد يقبل المعمودية باسم الثالوث ، وبذلك يصبح واضحاً أن كل من يجدّف بعد المعمودية يكون قد جدّف على الثالوث الأقدس ، وهذا هو التعليم الحقيقي الذي يجب أن نقبله .

ولو كان هؤلاء الذين تحدث معهم الرب ، أعني الفريسيين ، قد قبلوا حيم الميلاد الثاني وحصلوا على نعمة الروح القدس ، لكان التفسير السابق لكل من أوريجانوس وثيئوغنسطس مقبولاً ، لأن الرب لم يكن يتكلم مع أناس ارتدوا وجدّفوا على الروح القدس ، لأننا إذا تذكرنا ، لم يكن هؤلاء الناس — أي

الفريسيون - معمدين ، بل حتى معمودية يوحنا احتقروها ورفضوها (مت ٢١: ١٥-٢٧). فكيف يمكن اتهامهم بالتجديف على الروح القدس وهم لم يحصلوا عليه بعد ؟! ولذلك لم ينطق الرب بهذه الكلمات لكي يعلم عن الخطية بعد المعمودية ، كما أنه لم يكن كذلك يهدد بعقوبة أولئك الذين سيخطئون في المستقبل بعد المعمودية ، بل قال هذه الكلمات بطريقة مباشرة وصرحة ضد الفريسيين لأنهم أذنبوا فعلاً وسقطوا في هذا التجديف الفظيع . لقد اتهمهم الرب بطريقة واضحة بالتجديف وهم لم يقبلوا المعمودية . فإن هذه الكلمات ليست موجهة ضد الذين يخطئون بعد المعمودية ، خصوصاً وأن الرب لم يكن يشتكيهم بخطايا عامة ولكن بالتجديف بالذات ، وهناك فرق بين الذي يخطيء و يتعدى الناموس والذي بسبب عدم تقواه يجدف على الله نفسه . وقبل ذلك اتهم الرب الفريسيين بخطايا أخرى مثل محبة المال التي من أجلها أبطلوا الوصية الخاصة بالوالدين ، ورفضوا كلمات الأنبياء وجعلوا بيت الله بيت تجارة ، وفي كل هذا انتهرهم المخلص لكي يتوبوا . أما عندما قالوا أنه ببعلزبول يخرج الشياطين لم يقل لهم ببساطة أنهم يخطئون بل إنهم يجدفون بصورة شنيعة تستوجب العقاب وتجعل المغفرة مستحيلة ، لأنهم تمادوا إلى حيث لا حدود لخطئهم .

وزيادة على ذلك ، لو كانت هذه الكلمات موجهة ضد الذين يخطئون بعد المعمودية وهؤلاء لا مغفرة لهم ، فكيف أظهر الرسول محبة نحو التائب في كنيسة كورنثوس ؟ (٢ كو ٢: ٨). وماذا عن الغلاطيين الذين ارتدوا (غل ٤ : ٩) ، والذين تألم الرسول لكي يولدوا و يتكون فيهم المسيح مرة ثانية (غل ٤ : ١٩) ؟ وكيف نلوم نوفاتس (٢٤٩-٢٥٠ م Novatian) الذي يمنع التوبة ونعترض على قوله بأن الذين يخطئون بعد المعمودية لا مغفرة لهم طالما أن هذه الكلمات الإنجيلية تؤيد تعليم نوفاتوس وهي موجهة إلى الذين يخطئون بعد المعمودية .

وحق كلمات الرسالة إلى العبرانيين (٦ : ٤-٦) لا تمنع توبة الخطاة بل تشير إلى أن معمودية الكنيسة الجامعة تُعطى مرة واحدة ، ولا يمكن أن تتكرر .

ويجب أن نلاحظ أنه للعبرانيين بالذات كتب الرسول هذه الكلمات لأنه خاف عليهم من التظاهر بالتوبة وأنهم بسبب تمسكهم الشديد بالناموس الموسوي وشرعية التطهير سيظنون أنه توجد فرصة لمعموديات يومية متكررة كما في مرقس ٧: ٣-٤ ، ولذلك يشجعهم على التوبة و يعلن أن التجديد في المعمودية هو تجديد فريد لا يعاد . وفي رسالة أخرى يقول : « إيمان واحد ، معمودية واحدة » (أف ٤ : ٥) . وهو لا يقول أنه من المستحيل أن يتوب الساقط بل من المستحيل أن نصنع نحن تجديداً لأنفسنا بالتوبة والفرق كبير ، لأن من يتوب يكف عن الخطية ولكن آثار جروحه تظل ظاهرة بعكس من يعتمد يخلع العتيق و يتجدد (كو ٣ : ٩-١٠) ، بل و يولد مرة ثانية بنعمة الروح القدس (يو ٣ : ٣) .

وعندما أفكر في هذه الأشياء أجد في الكلمات السابقة عمقاً عظيماً . ولذلك بعد أن صليت بلجاجة للرب الذي جلس عند البئر (يو ٤ : ٦) ومشى على المياه (مت ١٤ : ٢٥) أعود إلى تدبير الخلاص الذي تم راجياً أن أكون قادراً على أن أملاً دلوي من معاني الكلمات الإنجيلية التي نبحتها .

كل الكتب الإنجيلية ، وبالذات إنجيل يوحنا ، تخبرنا عن التدبير الإلهي : « الكلمة صار جسداً وسكن فينا » (يو ١ : ١٤) . و بولس عندما يكتب : « الذي إذ كان في صورة الله لم يحسب مساواته لله اختلاساً بل أخلى ذاته وأخذ صورة عبد وصار في شبه الناس » (في ٢ : ٦-٨) . ولأنه الإله الذي أخلى ذاته وصار إنساناً ، أقام الموتى وشفى المرضى ، وبكلمته حوّل الماء خمرًا... وهذه كلها أعمال ليست من قدرة البشر . ولكنه جاع وعطش وتألم لأنه أخذ جسداً وكل أعمال الجسد ليست من صفات اللاهوت . كإله قال : « أنا في الآب والآب فيّ » (يو ١٤ : ١١) ، ولأنه أخذ جسداً حقاً وبكل يقين ، انتهر اليهود قائلاً : « لماذا تطلبون أن تقتلوني وأنا إنسان قد أخبركم بالحق الذي سمعته من الآب » (يو ٨ : ٤٠) . ورغم كونه إلهاً إلا أنه لم يقم بهذه المعجزات مرة واحدة لأنه تجسد وكان عليه أن يواجه الإحتياجات والظروف المرتبطة بحياته كإنسان .

لكن لم تكن أعمال الجسد تتم بدون اللاهوت ولا أعمال اللاهوت كانت تتم بدون الجسد ، بل على العكس ، فإن كل أعماله صنعها الرب الواحد ، الذي أكمل كل شيء في سر نعمته . وعلى سبيل المثال ، بصق على الأرض كما يبصق كل الناس ، لكن لعابه وحده كان فيه قوة إلهية لأنه وهب به البصر لعيني المولود الأعمى (يوحنا : ٩ : ٦) . ورغم أنه الإله إلا أنه تكلم بلغة بشرية وقال : « أنا والآب واحد » (يوحنا : ١٠ : ٣٠) ، وبإرادته منح الشفاء (مت : ٨ : ٣) . ولكن عندما مدَّ يده الإنسانية ، أقام حماة سمعان بطرس من الحمى (مر : ١ : ٣١) وبنفس اليد أقام من الموت ابنة رئيس المجمع (مر : ٥ : ٤) . وقد أخطأ الهراطقة كلُّ حسب مقدار جهله ، البعض منهم نسب كل ما حدث من الرب لجسده (أي كإنسان) وتعاموا عن القول الإلهي : « في البدء كان الكلمة » (يوحنا : ١ : ١) ، والبعض نسب ما حدث إلى لاهوته فقط ، ولم يفهموا القول : « والكلمة صار جسداً » (يوحنا : ١٤ : ١٤) . لكن المؤمن الذي يتبع تعليم الرسل يعرف غنى الرب ومحبه للبشر . وعندما يرى أعماله العجيبة الإلهية يمجّد الرب الذي ظهر في الجسد . وعندما يرى أعمال الجسد يتعجب ويرى فيها القوة الإلهية التي تعمل . هذا هو إيمان الكنيسة ، ولذلك إذا ثبت البعض عيونهم على الجانب الإنساني في حياة الرب ، وشاهدوه يختبر الجوع والتعب والألم ، يتحدثون عنه بدون تقوى كمن يتحدث عن إنسان فقط ، فيخطئون بذلك خطية عظيمة . وبلا شك إن لم يتأخروا في التوبة يمكنهم الحصول على المغفرة ، لأن ضعفهم الإنساني هو عذرهم . وحتى الرسول يمنحهم المغفرة ، وبطريقة ما يمد يده إليهم ، لأنه بالحق يقول : « وبدون جدل ، عظيم هو سر التقوى ، الله ظهر في الجسد » (١ تي : ٣ : ١٦) .

وعندما يرى البعض أعمال اللاهوت يترددون في الاعتراف بإنسانيته — وهذا خطأ بالغ — ويتوهمون عندما يقرأون أن الرب يأكل ويتألم أنه خيال ، هؤلاء إذا لم يتأخروا في التوبة سيفرغهم يسوع لأنهم لا يفهمون أعماله الفائقة التي أتمها في الجسد . وإذا فحصنا جهل هؤلاء وأولئك ، أي الذين

يخطئون ولهم معرفة بالناموس مثل الفريسيين أو الذين يستسلمون للجنون وينكرون وجود الكلمة في الجسد ، أو يذهبون إلى أبعد من هذا عندما ينسبون أعمال اللاهوت إلى الشيطان وجنوده ؛ فإنه من العدل أن تكون عقوبة عدم تقواهم هي عدم المغفرة ، لأنهم اعتبروا الشيطان مثل الله ، وحسبوا أن من هو بالحقيقة الله لا شيء في أعماله يدل على ألوهيته ، بل إنه الشيطان يستخدم أعوانه . وإلى هذه الدرجة السفلى من عدم التقوى انحدر اليهود في ذلك الزمان ، وبالذات الفريسيون منهم . ورغم أن الرب كان يقوم بأعمال الآب علانية ، فهو أقام الموتى ومنع النظر للعميان وجعل العرج يمشون وفتح آذان الصم وجعل الخرس يتكلمون ، معلناً أن الخليقة العاقلة وغير العاقلة خاضعة له ، لأنه هو الذي أمر الريح ومشى على البحر ، والجموع عاينت هذا وامتلات بالدهشة ومجدت الله ، إلا أن الفريسيين قالوا إن هذه أعمال بعزبول — ومن فرط جنونهم لم ينجلوا من أن يعطوا الشيطان قوة الله . وأمام هذا أعلن الرب بالحق أن تجديفهم بلا مغفرة ، لأنهم عثروا في كل ما يختص بإنسانيته وكان لهم في المسيح ، كإنسان ، رأي شرير ، إذ قالوا : « أليس هذا ابن النجار » (مت ١٣ : ٥٥) ، وكيف يفهم الكتب وهو لم يدرسها (يو ٧ : ١٥) ، وما هي المعجزات التي « تعملها لنؤمن بك » (يو ٦ : ٣٠) ، و« فليزل الآن عن صليبه لنرى ونؤمن » (مت ٢٧ : ٤٢) . وقد احتمل الرب كل هذا ، وسمى الإنجيل مثل هذه الأقوال بالتجديف على ابن الإنسان ، وتألم الرب من قساوة قلوبهم (مر ٣ : ٥٠) ، وقال : « لو كنتم تعلمون ما هو لسلامكم ؟ » (لو ١٩ : ٤٢) .

وغفر الرب لبطرس عندما تكلمت معه الجارية عن يسوع كإنسان فأجاب بطريقة لا تختلف عن رأي الجارية وكلامها ، ولكن الرب غفر له عندما بكى بدموع .

أما عندما سقط الفريسيون إلى أدنى من كل هذا وتفوهوا بما هو أشر من كل ما سبق ، حتى أنهم قالوا إن أعمال الله هي أعمال بعزبول ، لم يحتملهم

لأنهم جذفوا على روحه بقولهم إن من يعمل هذه الأعمال ليس الله ولكنه بعلزبول . ولهذا السبب استحقوا عقوبة أبدية . وفي الحقيقة إن جرأتهم زادت عن الحد ، وعندما رأوا ترتيب العالم والعناية به نسبوا الخلق إلى بعلزبول ، حتى أن الشمس صارت بحسب قولهم تحت سلطان الشيطان وأصبح الشيطان هو الذي يحرك النجوم في السماء ، لأن كل أعمال الآب كخالق ، عملها يسوع ؛ فإذا قالوا إن أعمال يسوع هي أعمال بعلزبول ، فكيف إذا يفهمون القول الإلهي : « في البدء خلق الله السموات والأرض » (تك ١ : ١) . ولكن مثل هذا الجنون ليس غريباً عنهم لأن آباءهم أظهروا نفس الطباع ، فبعد خروجهم من مصر صنعوا العجل الذهبي في البرية ونسبوا إليه المعجزات والبركات التي أخذوها من الله وقالوا : « هذه آلهتك يا إسرائيل التي أخرجتك من أرض مصر » (خر ٣٢ : ٤) . وبسبب هذا التجديف الذي ارتكبه أولئك المجانين تم فناء الكل في البرية ، وأعلن الله أنه في يوم افتقاده « سوف يجلب شرهم عليهم » (خر ٣٢ : ٣٤) . وعندما اشتكوا من انعدام الخبز والماء اهتم بهم تماماً مثل المرضعة برضيعها ، ولكنهم زادوا الشكوى إلى الحد الذي وصفه الروح القدس في المزامير « أبدلوا مجده بصورة العجل الذي يأكل الحشيش » (مز ١٠٥ : ٢٠) . وعندما اجترأوا على ارتكاب مثل هذا العمل الذي لا مغفرة له ضرهم الرب ، كما يقول الكتاب ، بسبب العجل الذي سبكه هرون (خر ٣٢ : ٣٥) . وتصرف الفريسيون بنفس الوقاحة ، ولذلك أخذوا من الرب عقوبة مماثلة بل هي عقوبة مثل عقوبة بعلزبول نفسه الذي تحدثوا عنه ، كي يحترقوا معه بنار أبدية .

ولم يكن الرب يقصد بما قاله في الإنجيل أن يقارن بين التجديف الموجه ضده ، والتجديف الموجه للروح القدس ؛ ولا أشار ولو من بعيد أو بطريق غير مباشر إلى أن الروح القدس أسمى منه ولا لأن التجديف على الروح أخطر ، حاشا ؛ نطق الرب بهذه الكلمات لأنه علم من قبل أن كل ما هو للآب فهو للإبن ، وأن الروح يأخذ من الإبن وبذلك يمجد الإبن

(يو ١٦: ١٤-١٥). والروح لا يعطي الإبن بل الإبن هو الذي يعطي الروح وقد أعطاه لتلاميذه، وهم لمن يؤمنون به بواسطتهم. ولم يكن الرب يقارن نفسه بالروح عندما قال هذه الكلمات، كما أنها لا تعني أن الروح أسمى من الرب، فهذا سوء فهم لكلمات المخلص. والتجديف بنوعيه موجه بالضرورة للروح القدس. والنوع الأول محتمل أما النوع الثاني فهو خطير. وقد ارتكب الفريسيون نوعي التجديف لأنهم رأوه إنساناً فأهانوه بقولهم «من أين له هذه الحكمة؟» (مت ١٣: ٥٤)؛ وقولهم: «أنت لم تبلغ بعد من العمر خمسين سنة فكيف رأيت إبراهيم؟» (يو ٨: ٥٧). ورغم أنهم رأوا أعمال الآب فيه إلا أنهم لم يرضوا بألوهيته. وبدلاً من هذا قالوا أن بعزبول فيه، وأن هذه الأعمال هي أعمال بعزبول، وبذلك أصبح تجديفهم بنوعيه موجه ضده. والنوع الأول أقل خطورة بسبب العذر الواضح وهو إنسانيته، أما النوع الثاني فهو أكثر خطورة لأنه إهانة موجهة إلى ألوهيته. ومثل هذا التجديف الخطير هو الذي استدعى عقوبة عدم المغفرة. ومن الواضح أن الرب كان يشجع التلاميذ عندما قال لهم: «إذا كانوا قد دعوا رب البيت بعزبول» (مت ١٠: ٢٥) وأكد هنا أنه رب البيت الذي جدف عليه اليهود.

أما اليهود فعندما قالوا عنه «بعزبول» لم يهينوا أحداً سوى الرب يسوع، وهذا واضح من التعبير نفسه لأن كلمة «الروح» في نص الإنجيل تشير إلى الرب يسوع وإلى الروح القدس، لأن «رب البيت» يُراد به المسيح أي رب الكون كله. وأنا أرجو أن لا تتضايق من هذا التكرار فهو لازم إذا كنا نحرص على الوصول إلى المعنى الدقيق للنص، ولذلك سأعود إلى ما ذكرته سابقاً أن الجوع والتعب والنوم والإهانات كلها خاصة بناسوته، أما الأعمال الباهرة التي كان يقوم بها الرب، فلم تكن أعمال إنسان بل أعمال الله.

لذلك بعد أن شاهد بعض الناس الأشياء الخاصة بالإنسان مثل الجوع... إلخ وأهانوا الرب لأنه حسب ظنهم مجرد إنسان، فقد حُسبوا

مستنحقين لعقوبة أقل من عقوبة أولئك الذين ينسبون أعمال الله للشيطان . لأن هؤلاء لا يكتفون بإلقاء الأشياء المقدسة للكلاب (مت ٧: ٦) ، بل يجعلون الله مساوياً للشيطان و يدعون النور ظلمة (أش ٥: ٢٠) . لذلك سجّل مرقس أن تجديف اليهود بلا مغفرة ، « وأما من جَدَّف على الروح القدس فلن يُغفر له بل هو مستحق دينونة أبدية ، لأنهم قالوا أن به روحاً نجساً » (وذلك على أعمال لاهوته) (مر ٣: ٢٩-٣٠) .

والرجل الأعمى منذ ولادته عندما أبصر ، شهد بأنه لم يُسمع من قبل أن أحداً فتح عيني مولود أعمى ، ولذلك قال : « إذا لم يكن هذا الإنسان من الله لا يستطيع أن يفعل شيئاً » (يو ٩: ٣٢-٣٣) . حتى الجموع نفسها عندما امتلأت من الإعجاب بما فعله الرب قالت : « إن هذه ليست أعمال من فيه شيطان ، هل يقدر شيطان أن يفتح أعين العميان » (يو ١٠: ٢١) . أما هؤلاء الذين امتلأوا من معرفة الناموس ، أي الفريسيون وهم الذين يلبسون العصائب العريضة (مت ٢٣: ٥) ، ومزهوون بمعرفتهم بالناموس أكثر من باقي الناس (يو ٩: ٢٤-٢٩) ، كان من المفروض عليهم بسبب هذه المعرفة أن ينجلوا ، ولكن كما هو مكتوب عنهم أنهم « تعساء لأنهم ذبحوا للشيطان وليس لله » (تث ٣٢: ١٧) . وعندما قالوا إن بالرب شيطاناً ، وأن أعمال الله هي أعمال الشيطان ؛ لم يكن لديهم أي أسباب مقنعة تدفعهم إلى هذا الاعتقاد ، والدافع الحقيقي لمثل هذا التجديف هو رغبتهم في أن ينكروا أن الذي يعمل هذه الأعمال هو الإله ابن الله . وبالْحَقِيقَة لقد أكل أمامهم وشاهدوا جسده وتأكّدوا أنه إنسان فكان لديهم فرصة لأن يقتنعوا من أعماله أن الآب فيه وأنه في الآب . أما لماذا لم يقتنعوا ؟ فلأنهم لم يشاءوا .

وفي الحقيقة لقد سكن بعزبول في الفريسيين . وكان بعزبول هو الذي يتكلم فيهم . ولذلك قالوا عن المسيح : إنه مجرد إنسان ، بسبب ناسوته ، دون الاعتراف به إلهاً بسبب أعماله التي هي أعمال الله . ولكن

بهذه السقطة ألهوا بعزبول الذي سكن فيهم ، والذي في النهاية سوف يعاقبون معه في النار إلى الأبد .

ودرستنا للنص توضح لنا أنه يعني نوعي التجديف الذي أشرنا إليه سابقاً . ذلك أن المختص أشار إلى نفسه عندما قال : « ابن الإنسان » ، ولكنه كان يعني أيضاً نفسه عندما تحدث عن « الروح » . والإسم الأول « ابن الإنسان » يوضح تجسده ، والإسم الثاني « الروح » يوضح طبيعته الروحية غير المادية ولاهوته . وفي الواقع ، إن الخطية التي يمكن غفرانها هي العثرة الناتجة عن رؤية ناسوته ، أي ما يتعلق به كإبن الإنسان ، ولكنه أوضح أن التجديف الذي لا يمكن مغفرته هو التجديف على « الروح » ، أي على الطبيعة الإلهية .

وقد لاحظت أن التعبير « الروح » جاء بالمعنى الذي نتحدث عنه في انجيل القديس يوحنا عندما كان الرب يتحدث عن تقديم جسده . ولما رأى أن كثيرين عثروا بسبب ما ذكره عن جسده ، قال لهم : « هل هذا يعثركم ؟ وماذا ستفعلون عندما تشاهدون ابن الإنسان صاعداً إلى حيث كان سابقاً ؟ الروح هو الذي يحيي أما الجسد فلا يفيد شيئاً . الكلام الذي أكلتمكم به هو روح وحياة » (يوحنا : ٦٢-٦٣) . وقد تحدث الرب هنا عن « الجسد والروح » ، وكما هو واضح كان يتحدث عن نفسه . وميز بين الجسد والروح لكي يتمكن الذين سمعوه من الإيمان بما يرون أي بجسده ، وكذلك الإيمان بغير المنظور ، أي الروح أو لاهوته ، لكي يؤمنوا أن ما يتكلم عنه ليس الجسديات بل الروحيات .

ولنسأل كم عدد البشر الذين يمكن أن يقدم لهم جسده المادي ؟ وماذا عنه كغذاء للعالم كله ؟ لهذا السبب تحدث عن صعود ابن الإنسان إلى السماء لكي يبعد عن أفكارهم كل التصورات المادية عن جسده ، ولكي يفهموا جيداً بدون أي تصورات مادية أن جسده الذي يتكلم عنه هو طعام سمائي يأتي من فوق

كغذاء روحي يعطيه هو بنفسه . وحقاً قال : « الكلام الذي أكلكم به هو روح وحياة » (يوحنا : ٦٣) ، أي أن ما أعلنه ، وما سيعطيه لخلاص العالم هو جسده ، ولكن هذا الجسد عينه بما فيه من دم سوف يعطى لكم بواسطة روحياً ، وكطعام ، وبطريقة روحية سوف يورث على كل واحد منكم لكي يصبح عربون القيامة والحياة الأبدية .

واستعمال كلمة « روح » جاء بنفس المعنى في حديث الرب مع السامرية عندما وَّجَّه فكرها إلى المعنى الروحي ورفع نظرها إلى الأمور غير المادية بقوله لها « الله روح » (يوحنا : ٤ : ٢٤) ، لكي يستقر في قلبها الفهم الصحيح عن الله ، أنه ليس من طبيعة مادية محصورة في مكان بل إنه روح . وهذا ما يعنيه كلام التعليم الذي يقول عندما يتأمل الكلمة وقد تجسد « روح الإيمان هو المسيح الرب » ، وحتى لا يعثر أحد ما بالشكل الخارجي الملموس و يظن أن الرب هو مجرد إنسان ، جاءت كلمة « الروح » لتؤكد أن الذي في الجسد هو الله .

وهكذا يبدو لنا شيثان ظاهراً تماماً : الأول هو حالة من يرى الرب في الجسد و يعتبره مجرد إنسان و يقول بعدم إيمان : « من أين الحكمة لهذا الإنسان » (مت ١٣ : ٥٤) ، وكل من يتكلم بهذا يخطيء بدون شك و يحذف على ابن الإنسان ؛ والثاني يرى أعماله التي تتم بالروح القدس و يقول أن صانع هذه الأعمال ليس الله ولا ابن الله و ينسب هذه الأعمال لبعض بول . مثل هذا ينكر لاهوته ، وهذا ما يظهر واضحاً عدة مرات في الإنجيل لاسيما في النص الذي نشرحه .

ومرة أخرى ، نكرر ، عندما يوصف الرب بأنه « ابن الإنسان » فهو نفسه يستخدم هذا اللقب لتأكيد بشريته . ولكن عندما يتحدث عن الروح أي الروح القدس الذي به يصنع كل هذه الأعمال والذي هو (الروح) أيضاً فيه ، يقول بعد إتمامه أعماله الباهرة : « إذا كنتم لا تؤمنون بي فعلى الأقل آمنوا بالأعمال التي أعملها لكي تعرفوا أنني في الآب والآب فيّ »

(انتهى) .

وملخص عقيدة القديس أثناسيوس في هذا الموضوع كالآتي :

- ١ - إن الموضوع لا يختص إطلاقاً بامتياز أقنوم عن آخر في الثالوث ، فالتجديف على الروح القدس هو تجديف على الآب والإبن أيضاً .
- ٢ - والتجديف لا يختص بالعمودية ونوال الروح القدس فيها ، لأنها تتم باسم الآب والإبن والروح القدس إله واحد . فكل من يخطيء ويجدف بعد المعمودية فهو يخطيء ويجدف على الله الثالوث الآب والإبن والروح القدس . لذلك فالرب لم يكن يقصد بالتجديف الخطية بعد المعمودية .
- ٣ - إن الخطية بل كل الخطايا بعد المعمودية تُغفر جميعها بالتوبة ، ولا توجد خطية قط يمكن أن يقال أنه من المستحيل غفرانها .
- ٤ - المعمودية هي التي لا يمكن بل و يستحيل أيضاً أن تتكرر، وهي التي تسمى بالتجديد أو الميلاد الثاني فهي معمودية واحدة .
- ٥ - كذلك هناك فرق بين الخطايا كتعدي على الوصايا وبين التجديف على الله نفسه .
- ٦ - إن الإلتباس الظاهر في فهم عب ٦ : ٤-٦ راجع إلى أن بولس الرسول يخاطب اليهود (العبرانيين) الذين اعتادوا أن يتخلصوا من خطاياهم بالتطهير بالماء كل يوم ، وكلما أرادوا (حتى الزنا كان في عرفهم يمكن التخلص منه بالإستحمام بالماء) ، فنبتَّهم أن المعمودية في المسيحية ليست تطهيراً بالماء ، ولكنها موت عن الإنسان العتيق وخطاياهم وولادة روحية من فوق بانسان جديد ، ولا تتم إلا مرة واحدة فقط بنعمة الروح القدس .
- ٧ - العنصر الجوهري في عدم غفران خطية التجديف على الروح القدس هو المتعلق

(٥) من كتاب: الروح في القدس في بعض كتابات الآباء، تعريب: دكتور جورج حبيب بياوي، ص ٢٨-٤٢ .

بالذين ينسبون أعمال اللاهوت التي كان يعمدها المسيح إلى أنها أعمال
الشيطان .

٨ — وعلى نفس المستوى ، فالذين يعتبرون المسيح أنه مجرد إنسان كان عمله
المعجزات بقوة الشيطان فهذا هو التجديف على روح الله أي الروح القدس ،
لأن المسيح كان يعمل كل الأعمال بروح الله .

٩ — وعلى نفس المستوى ، كل من يجدف على لاهوت المسيح معتبراً أن المسيح مجرد
إنسان ، وأن أعماله كانت مجرد أعمال شيطانية (سحرية كما يقول اليهود
الآن) وليست أعمالاً إلهية ، فهذه تعتبر خطية تجديف غير قابلة للمغفرة .

١٠ — وهنا يقرر أثناسيوس أنه لا فرق بين التجديف على الروح القدس والتجديف
الموجه ضد لاهوت المسيح .



كيف يتم تقديس النفس بالروح القدس
في لاهوت القديس كيرلس الكبير
البابا الرابع والعشرون (+ ٤٤٤ م.)

أعد هذه المقالة وترجم نصوصها من الفرنسية واليونانية
أحد الآباء بالدير وراحمها الأب متى المسكين
سنة ١٩٧٨

كيف يتم تقديس النفس بالروح القدس للقدّيس كيرلس الكبير (١) البابا الرابع والعشرون (+ ٤٤٤ م.)

مقدمة:

في وسط الضيقات التي كانت تحيط بالمسيحيين الأوائل كان القدّيس بولس يدعوهم إلى أن يرفعوا أفكارهم فوق هذا العالم الحاضر (كو ٣: ١) وأن يتأملوا الحياة الإلهية الكائنة فيهم بالروح القدس:

— «إنكم هيكل الله وروح الله يسكن فيكم» (١ كو ٣: ١٦).

— «أم لستم تعلمون أن جسديكم هو هيكل للروح القدس الذي فيكم الذي لكم من الله» (١ كو ٦: ١٩).

— «أرسل الله روح ابنه إلى قلوبكم» (غل ٤: ٦).

— «أخذنا الروح الذي من الله لنعرف به الأشياء الموهوبة لنا من الله» (١ كو ٢: ١٢).

— «وأعطى عربون الروح في قلوبنا» (٢ كو ١: ٢٢).

— «نحن الذين لنا باكورة الروح» (رو ٨: ٢٣).

وفي العصر الرسولي (أي الجيل المسيحي الأول بعد الرسل) صار هذا الإمتياز هو

(١) عن مقالة:

J. MAHÉ — La Sanctification d'après Saint Cyrille d'Alexandrie. Revue d'Histoire Ecclésiastique X. (1909), p 30-40, 469-492

الموضوع الرئيسي الأول لأحاديث المسيحيين الأوائل وتأملاتهم . أنظر:

— رسالة كلمنضس الأولى ٣٠ و ٣٥ .

— رسالة برنابا ٦ : ١١ — ١٩ .

— رسالة أغناطيوس إلى أهل أفسس ٣ : ١٥ و ٣ : ١٩ .

— رسالة أغناطيوس إلى أهل رومية ٢ : ٧ .

— الرسالة إلى ديوجنيتوس ٧ .

— الراعي لهرماس ٩ : ١٦ .

وبعد انتهاء العصر الرسولي لم يكف آباء الكنيسة ومعلموها، وعلى الأخص في الشرق، عن الحديث بعبارات مضيئة عن كرامة الإنسان الجديد الذي قدسه المسيح بالروح القدس . أنظر:

— القديس إيريناوس : ضد الهرطقات ٥ : ٦ ، ٨ .

— العلامة أوريجينوس : المبادئ ١ : ٣ .

— القديس أثناسيوس : ضد الأريوسيين ١ : ١٦ و ٣ : ٣ و رسالته الأولى إلى سيرابيون ١٩ ، ٢٢ .

— القديس كيرلس الأورشليمي : عظة ١٧ .

— القديس باسيليوس : عن الروح القدس ٩ ، ١٩ ، ٢٦ .

— القديس غريغور يوس النيسي : عظة ٢١ .

— القديس غريغور يوس النزينزي : عظة ٣٤ : ١٢ .

— القديس إبيفانيوس : ضد الهرطقات ٧٤ : ١٣ .

— القديس يوحنا ذهبي الفم : عظة ١٨ على رسالة كورنثوس الأولى .

— ديديموس الإسكندري : في الروح القدس : ٣ وما يليه .

وقد فاق جميعهم القديس كيرلس الإسكندري .

التزام القديس كيرلس بالتقليد :

لقد كان فكر القديس كيرلس في كافة الموضوعات متوافقاً تماماً مع تقليد

الكنيسة السابق له . وبخصوص الموضوع الذي ندرسه الآن (تقديس النفس بالروح القدس) ، نراه يكرر ما قاله الذين سبقوه ، غير أنه يكرره بأسلوبه الخاص بعد أن صاغه صياغة روحية جديدة . فقد جمع عناصر روحية كانت من قبله متناثرة ، ثم ربط الموضوع كله بعقيدة الثالوث وبعقيدة الإتحاد الأقنومي (أي اتحاد اللاهوت والناسوت في المسيح) . وفوق هذا كله فإن تقواه وحرارته الروحية كانتا تلهمانه تعبيرات روحية قوية ، لم يكن لها مثيل عند الذين سبقوه من جهة الصحة والأصالة والجرأة التعبيرية .

+ + +

ما هو تقديس النفس ؟

إن القديس كيرلس يصف تقديس النفس بالروح القدس أنه :

- تطهير للنفس^(٢) .
- وتغيير داخلي^(٣) .
- وعبر من حالة الموت والفساد إلى الحياة وعدم الفساد^(٤) .
- وانتقال من الرذيلة إلى الفضيلة ، ومن العبودية إلى الحرية^(٥) .
- هو مصالحة الإنسان مع الله^(٦) .
- وارتقاء الإنسان إلى حالة تفوق طبيعته^(٧) .
- وبالإجمال هو ولادة جديدة وخلقة جديدة ، أي إصلاح وتقوم لطبيعتنا الساقطة ، بحيث تستعيد حالتها الأولى التي خلقت بها الإنسان الأول^(٨) .
- بل ويؤكد القديس كيرلس أن النفس التي تقديس بالروح القدس ترتفع إلى حالة

(2) P.G 75, 1016 B

(3) P G 70, 965 B, P G 69, 508 C

(4) P G 88, 1073; P G 76, 1164 A

(5) P G 72, 676 A

(6) P G 74, 544

(7) P G 69, 48 B, P G 77, 897 B

(8) P G 72, 908 D, P G 73, 205 B, 725 C, P.G 74, 541 B sq, P.G 75, 880 B sq.

أسمى وأقدس من تلك التي خلقت بها^(٩).

كيف فقدت البشرية الروح القدس؟

لما خلق الله الإنسان في البدء، خلقه على صورته ومثاله خالداً وغير فاسد، سائداً على أهوائه، وقادراً على ممارسة الفضيلة^(١٠). غير أن هذه الإمتيازات لم يكن آدم يستمدها من طبيعته الخاصة التي كانت - بصفتها طبيعة مخلوقة - قابلة للفساد والفناء، بل كان يستمدها من روح الله الذي حل فيه يوم خلقته^(١١). فالقديس كيرلس يفسر «نسمة الحياة» πνοή ζωής التي يتكلم عنها سفر التكوين (٢: ٢٧) أنها الروح القدس نفسه وليست مجرد حياة طبيعية^(١٢).

ولما وقع آدم في المعصية بحمد إبليس^(١٣)، للوقت فارقه روح الله وفقد آدم كل الإمتيازات التي كان يستمدها من الروح. وبالخطية صار الموت والفساد يسودان على العالم، غير أن صلاح الله لم يرض بهذا الوضع؛ بل كان لا بد، بسبب رحمته الكثيرة وقدرته الفائقة، أن يتدخل الله ويرفع الإنسان ويرده إلى رتبته الأولى ويرجع إليه كل الإمتيازات التي فقدها^(١٤).

وكما أن كل هذه الخيرات قد أدركت الإنسان أولاً بواسطة الروح القدس ومع الروح القدس، لذلك كان لا بد أن يستعيدها أيضاً بواسطة الروح القدس ومع الروح القدس.

ولذلك فالوسيلة الوحيدة لكي يستعيد الإنسان كرامته الأولى هي أن يستمدها من

(9) P.G. 68, 1076 D; P.G. 77, 765 C

(10) P.G. 73, 204 D sq, 752 C sq, P.G. 75, 908 C

(11) P.G. 78, 1085 D.

(12) P.G. 73, 204 D; P.G. 75, 584 D

(13) P.G. 74, 764 A sq.

(14) P.G. 76, 925 D.

جديد من الروح القدس (١٥). ولكن كيف يستعيد الإنسان الروح القدس؟

كيف استعادت البشرية الروح القدس؟

+ ملخص:

لما اتحد اللوغس (الكلمة) بالناسوت الذي اتخذهُ لنفسه من القديسة العذراء فقد منحهُ روحه القدوس وبذلك بدأت طبيعتنا البشرية تتقدس من جديد في شخص المسيح. وبالمثل يحدث لكل واحد منا لما يتحد بالمسيح. فهو ينال منه الروح القدس ويتقدس به.

في تفسيره لإنجيل القديس يوحنا (١٦)، يعبر القديس كيرلس باختصار يديع عن كيفية استعادة طبيعتنا للروح القدس: لقد منح المسيح الروح القدس لناسوته، وبذلك جعل الروح يتألف من جديد مع طبيعتنا.

وعلى هذا الأساس تمكن المسيح من أن يمنحه لكل واحد منا!
والآن لنسمع القديس كيرلس يشرح لنا هذه الفكرة في العديد من أقواله وهي تركز أساساً حول نقطتين:

الأولى: حلول الروح القدس في المسيح من أجلنا؛
والثانية: حلول الروح القدس فينا.

١ – المسيح قبل الروح القدس في ناسوته من أجلنا (١٧):
لقد كان الكلمة المتجسد قدوساً بطبعه، بحق جوهره الإلهي. ولكنه بصفته إنساناً، قدس ذاته من أجلنا كمن يكتب القداسة (١٨).

وهكذا نال الروح القدس، ليس من أجل ذاته هو، إذ أنه هو معطي الروح، بل

(15) P G 73, 752 C sq

(16) P G. 73, 208 A

(17) P.G. 73, 205 D sq, 753 A. P G 74, 548 D sq

(18) P G. 68, 708 B

من أجلنا نحن لكي يمنحه لطبيعتنا البشرية الكائنة فيه، ويجعل النعمة التي فارقتها تتأصل من جديد فيها (١٩).

فكما أنه قام من أجلنا وليس من أجل نفسه هكذا أيضاً قَبِلَ الروح القدس من أجلنا وليس من أجل نفسه:

لقد كان المسيح هو القيامة والحياة بطبعه، فلم يكن محتاجاً للقيامة لنفسه، ولكنه مات من أجلنا بالجسد لكي يمنح القيامة لطبيعتنا البشرية الكائنة فيه ويتمكن بذلك من أن يمنحنا الحياة والخلود.

وهكذا بالمثل قَبِلَ الروح القدس من أجلنا، حتى يتمكن من أن يمنحه لكل الطبيعة البشرية (٢٠).

ويقول أيضاً: لتفهم ذلك جيداً، وحاشا لنا أن نعتقد أن الذي هو الابن بالطبيعة لا يقتني الروح القدس إلا بالمشاركة، بل هو فيه جوهرياً، كما أنه في الآب جوهرياً لأنه روح الابن كما أنه روح الآب. ولكن هذا الروح الذي يقتنيه المسيح جوهرياً، بصفته الله، يناله بالمشاركة بصفته إنساناً. لأنه لما تأنس قَبِلَ لنفسه كل ما يخص الطبيعة البشرية. لنؤكد ذلك جيداً: هو قدوس بطبعه لكونه الله، وإن كان لكونه إنساناً يتقدس بالروح القدس، فهو نفسه الذي يقدر هيكلاً جسده بروحه الخاص، فهو ينال روحه الخاص، هو يناله كإنسان ويعطيه لذاته كإله (٢١).

غير أن هناك نقطة لا تزال تحتاج إلى توضيح: كيف يمكن أن ذاك القدوس بطبعه يتقدس أيضاً بالمشاركة؟ يجيب القديس كيرلس قائلاً: إن هذا الأمر الذي يصعب على مداركنا متصل بسر الإتحاد الأقنومي الوثيق جداً والسري للغاية الذي تم بين الكلمة والجسد. فنحن نؤمن أنه الله وأنه هو بعينه إنسان، أنه أزلي وأنه مولود في

(19) P.G. 73, 205 D.

(20) P.G. 73, 208 B; P.G. 74, 548 AB.

(21) P.G. 74, 548 B.

الزمن، أنه لا يموت وأنه قَبِلَ الموت. فلهذا السبب عينه نقول أنه قدوس بطبعه وأنه قدس جسده بالمشاركة (٢٢).

فكل ما هو مخلوق لا يكون مقدساً بطبعه، بل ينبغي أن ينال القداسة من الله. وهكذا أيضاً جسد المسيح، لم تكن له القداسة بطبعه بل كان ينبغي أن ينالها من ذلك الذي هو قدوس بطبعه (أي من اللوغس = الكلمة). فالكلمة الحال في الجسد قد منح جسده الخاص قوته التقديسية الطبيعية، وهكذا صار جسده مقدساً بل ومقدساً أيضاً (٢٣).

وقد شهد الروح القدس عن ذلك لما حلَّ بهيئة حمامة على المسيح في يوم عماده. غير أن هذه لم تكن سوى إشارة خارجية لما كان قد تم قبل ذلك بكثير. فقد تقدس جسد المسيح (أي قَبِلَ الروح القدس) بفعل اتحاده بالكلمة منذ أول لحظة حُبِلَ به في بطن العذراء (٢٤).

٢ - حلول الروح القدس فينا بواسطة المسيح:

لم يقبل المسيح الروح القدس من أجل ذاته بل من أجلنا. فهو يقبله لكي يمنحه لكل واحد منا. والقديس كيرلس يعود مراراً كثيرة إلى تأكيد هذه الحقيقة (٢٥).

وهي في الواقع تطبيق خاص لنظرية آدم الجديد على موضوع قبول الروح القدس. فالنظرية العامة التي تعتبر المسيح هو آدم الثاني أصل الجنس البشري الجديد، تعود إلى

(22) P.G 74, 548 D

بملاحظ من مقارنة هذا القول بسابقه أن القديس كيرلس يستعمل لفظ «القداسة» كمرادف لقبول الروح القدس، وعبارة: «قدوس بطبعه» كمرادف لعبارة: «يقبني الروح القدس جوهرياً»، وعبارة: «مقدس بالمشاركة» كمرادف لعبارة: «ينال الروح القدس بالمشاركة»، وذلك لأنه يعتبر القداسة هي الصفة الأبنوية للروح القدس كالأبوة للأب والبنوة للإبن كما سرى فيما بعد.

(23) P.G. 74, 549 C.

(24) P.G 74, 548 D.

(25) P.G 73, 753 C; P.G. 74, 561 B, 564 B

عصر بولس الرسول (أنظر روه و ١ كوه ١). وهي تعتبر أن الجنس البشري كله قد قبل الحياة وأخرج من العدم إلى الوجود في شخص آدم الأول. ثم بكسر الوصية الإلهية قد أخضع كله للموت والفساد. ولكن في شخص آدم الثاني قد نال الجنس البشري بداية جديدة: فقد نال حياة جديدة واستعاد عدم الفساد. وقد شرح القديس كيرلس هذه الفكرة كالذين سبقوه في مواضع عديدة (٢٦).

غير أنه امتد بها وطبقها على موضوع قبول الروح القدس: فالجنس البشري كله قد تقدس (أي قبل الروح القدس) في شخص المسيح آدم الثاني، بصفته أصل جنسنا الجديد وبدايته (أو مبدئه ἀρχή)، غير أن هذه القداسة الأصلية (المقابلة للخطية الأصلية) لا تكفي، بل لابد من أن يعطى الروح القدس بالفعل لكل واحد منا لكي يحيي كل كياناتنا الداخلي بحضرتة الإلهية (٢٧).

والمسيح قبل قيامته لم يوصل إلى الآخرين الروح القدس الذي كان فيه «لأن الروح لم يكن قد أعطي بعد لأن يسوع لم يكن قد مُجد بعد» (يو ٧: ٣٩). ولكنه حالما نقض أوجاع الموت واستعاد الحياة، صار بالحقيقة هو رأس جنسنا الجديد وأصل الخليقة الجديدة. فالنبات لا يمكن أن ينبت قبل أن يتكون أصله (أي جذره) (٢٨).

ولذلك لم يكن الآباء والأنبياء في العهد القديم قد قبلوا الروح القدس كما قبلناه نحن. لقد كانوا يتنبأون بفعل الروح ولكنه لم يكن يسكن فيهم بمثل ما يسكن فينا (٢٩).

لقد بدأ المسيح فور قيامته يمنح روحه القدس (٣٠):
فكما كان في الخليقة الأولى حينما نفخ الله روح الحياة في وجه الإنسان الأول،

(26) P.G. 73, 756 B; P.G. 69, 29, P.G. 72, 408 D, P.G. 73, 205 D, P.G. 75, 853 A.

(27) P.G. 73, 1045 B; 1048 A sq.

(28) P.G. 73, 756 C.

(29) P.G. 73, 757 A; P.G. 69, 233 B sq.

(30) P.G. 73, 756 C; P.G. 71, 376 D; P.G. 74, 55 B, 541 D.

هكذا صار أيضاً في الحلقة الجديدة، فقد نفخ مخلصنا في وجه تلاميذه قائلاً لهم: اقبلوا الروح القدس (٣١).

إن الكنيسة كانت سبني على أساس الرسل، ولذلك كان يليق بهم أن يتألموا الروح قبل غيرهم (٣٢).

ثم صارت رسالتهم الأساسية أن يكرزوا بالإنجيل ليهيئوا القلوب لقبول هذا الروح عنه. فلما قبل اليهود والأمم الإيمان تألموا بواسطة التبرير وتقديس الروح (٣٣).

وهكذا ستظل القلوب تتغير بفعل الروح القدس حتى نهاية العالم، وذلك بواسطة المعمودية، لأن الموعوظ الذي يعتمد يتحد بالمسيح. وهذا لا يتم إلا بالروح القدس، لأن الإبن لا يتحد بالبشر إلا بواسطة روحه القدوس (٣٤).

فالمعمودية تجعلنا نقتني في داخلنا روح القداسة. والروح القدس يسكن فينا بالحقيقة كما كان يسكن في آدم قبل المعصية. وسيظل ساكناً فينا ما دمنا لا نخرجه عنا بواسطة خطايانا (٣٥).

إننا لم نصر فقط هياكل للنعمة (٣٦)، بل هياكل للروح القدس نفسه، هياكل لله (٣٧)، فالروح القدس قد اتحد بنا بالحقيقة كما كان متحداً بآدم قبل المعصية. ليس هذا طبعاً اتحاداً أقنومياً كالذي تم في المسيح (فخطأ نستور أنه اعتبر المسيح إنساناً

(31) P G 73, 756 C, P G 69, 1100

ويقول القديس كيرلس أن الرسل قبلوا الروح القدس باخفية لما نفع الرب في وجوههم مساء أحد القيامة. وأما الألسنة النارية التي نزلت عليهم في يوم الخمسين فكانت استعلاناً علنياً للقديس الذي كانوا قد تألموا من ذي قبل. (P G 74, 717)

(32) P.G 71, 376 D

(٣٣) تفسير إشعياء ٢٨: ٢٢ P G 70, 640 B

(34) P.G 74, 333

(35) P.G. 74, 224 B sq

(36) P G 75, 1089

(37) P G 73, 757 B, P G 75, 605 A, 801 D

تقدس بالروح مثله مثل بقية الأبرار). بل إن اتحادنا نحن بالروح هو حقاً اتحاد وثيق جداً ومثمر جداً، ولكنه اتحاد نسبي، وبالمشاركة (٣٨).

+ + +

مفاعيل الروح القدس فينا:

+ حينما يحمل الروح القدس داخل نفوسنا فهو يطهرها أولاً. إنه النار التي تحرق كل زغل فيها (٣٩).

+ وهو يقويها ضد هجمات الشيطان وضد شهواتها الذاتية فهو المسحة *χρίσμα* التي تقويها (٤٠).

+ وهو يساعدنا أن نتحرر من أباطيل هذا العالم ويوضح فينا رؤية الوطن السماوي (٤١).

+ وهو يجعل ممارسة الفضيلة سهلة ومحبوبة لنفوسنا، وبذلك يجعل نفوسنا تثمر ثمرات كثيرة للخلاص، فهو ينبوع الماء الحي الذي يروي نفوسنا لتثمر للحياة الأبدية (٤٢).

+ إنه يجعل النفس التي يحمل فيها تستعيد جمالها الأول وقوتها الأولى (٤٣).

+ فهو الختم الإلهي الذي تُختم به النفس لتستعيد صورتها الإلهية الأولى (٤٤).

+ وبذلك تتشكل النفس على صورة الآب والإبن والروح القدس جميعاً، لأن الروح القدس هو صورة الإبن والإبن هو صورة الآب (٤٥).

(38) P.G. 75, 1293 CD; P.G. 76, 108 D, 304, 408 C, P.G. 77, 112; P.G. 69, 1056.

(39) P.G. 68, 821 B, 1009 A; P.G. 69, 1100 A; P.G. 70, 41 B, 98 C, P.G. 72, 333 D sq., 389 A; P.G. 76, 880 B.

(40) P.G. 74, 572 B sq., P.G. 69, 1100 D sq.

(41) P.G. 74, 433 D.

(42) P.G. 68, 640 D; P.G. 73, 297 AB, P.G. 74, 337 B, 433 A sq., 572 B.

(43) P.G. 70, 892 AB, 938 B, 1124 A; P.G. 71, 612; P.G. 72, 445 C; P.G. 73, 153 B, 205.

(44) P.G. 75, 609, 612, 1013; P.G. 76, 1089.

(45) P.G. 70, 936; P.G. 72, 673; P.G. 73, 205, 757.

عمل الروح القدس فينا وعلاقته بالآب والإبن

الروح القدس لا يحل فينا وحده، ولكن الآب والإبن معه دائماً^(١).
[إن تجديدنا الشامل هو عمل الثالوث المقدس كله... وإن كان يبدو أحياناً
أننا ننسب لأحد الأقانيم الثلاثة شيئاً مما يحدث لنا أو للخليقة، لكننا نؤمن
بدون شك أن كل شيء هو من الآب بالإبن في الروح القدس]^(٢).

πάντα ἐστὶ παρὰ τοῦ Πατρὸς δι' Υἱοῦ ἐν Πνεύματι

فالروح القدس لا يعمل فينا شيئاً بمعزل عن الآب والإبن.

(أ) الروح القدس يربطنا بالآب والإبن:

إنه الوسطة،

«الرباط الإلهي» الذي به تتحد نفوسنا بالآب والإبن:

+ الروح القدس يسكن فينا، وبواسطته نحن نقتني أيضاً الآب والإبن^(٣).

+ [لقد كان المسيح يحل في الرسل بواسطة الروح القدس]^(٤).

+ [لا يمكن أن تكون لنا شركة مع الله إلا بالروح القدس]^(٥).

فالروح القدس هو أساساً روح الشركة، فهو الذي يضطلع بإقامة الصلة بين
الخليقة والمخلوق. هو الذي يتصل مباشرة بالخليقة ويوحدها مع الإبن، ثم من خلال
الإبن مع الآب.

+ [المسيح يحل فينا بواسطة الروح القدس، ثم من خلال نفسه هو يوحدهنا بأبيه في

(1) P.G. 73, 157 C; P.G. 74, 289 D, 672 AB, P.G. 75, 801D-804

(2) P.G. 74, 333 D-336 A

(3) P.G. 73, 157 C

(4) P.G. 74, 925 C.

(5) P.G. 75, 1092

وحدة روحية] (٦).

وهكذا يتحقق القصد النهائي من الخليقة كلها :

+ [إن كل الأشياء تُستعاد إلى الآب من الإبن بواسطة الروح القدس] (٧).

(ب) الروح القدس يغيرنا إلى صورة الآب والإبن :

١ - الروح القدس هو صورة الإبن و بالتالي فهو يغير الذين يحل فيهم بالضرورة إلى

صورة الإبن :

+ [الروح القدس هو الصورة الكاملة لجوهر الإبن] (٨).

+ [الروح هو صورة الإبن الكاملة والطبيعية . فحينما تتجدد صورتنا بالقداسة بفعل هذا

الروح فنحن في الواقع نتغير إلى صورة الله . وهذا هو ما يقوله الرسول : « يا أولادي الذين

أتمخض بكم أيضاً إلى أن يتصور المسيح فيكم » . فالمسيح يتصور فينا بالروح القدس

الذي يحدد شكلنا بحسب الله] (٩).

+ [الإبن يجعل الذين يقبلونه مشابهي له ، بواسطة الروح القدس] (١٠).

+ [المسيح يحددنا على صورته الخاصة ، بواسطة الروح القدس] (١١).

٢ - لكن الإبن نفسه هو صورة الآب ، ولذلك فالروح القدس يغيرنا أيضاً حتماً

إلى صورة الآب :

+ [الروح القدس يجعل الذين يحل فيهم مشابهي لصورة الآب التي هي

الإبن] (١٢).

+ [المسيح يتصور فينا بفعل الروح القدس ، الذي يرسم في نفوسنا صورة إلهية

في البر والقداسة . وبذلك ينطبع فينا رسم جوهر الله الآب (لأن المسيح هو

(6) P.G 74, 577 A

(7) P.G 74, 541 D

قارن مع ١ كور ١: ٢٨

(8) P.G 74, 541 C.

(9) P.G. 75, 1088 B sq.

(10) P G 73, 885 A.

(11) P.G. 75, 808 B.

(12) P G 74, 541 C.

رسم جوهر الآب كما ورد في عب ١: ٣)، بفعل الروح القدس الذي يوحدنا به
بالقداسة] (١٣).

+ [الذي يقبل الروح القدس الذي هو صورة الإبن فهو يقبل به الإبن، وبذلك
أيضاً يقبل الآب الذي في الإبن] (١٤).

(ج) الروح القدس يمثل صفة القداسة في الثالوث:

إن الثالوث كله قدوس بكل تأكيد (١٥).

غير أن الروح القدس «هو بنوع ما صفة القداسة في الله» (١٦)، فهو «القوة
التقديسية التي تنبثق من عند الآب وتكمل الناقصين» (١٧).

إن الثالوث كله حقاً هو الذي يقديسنا، غير أنه يقديسنا بواسطة الروح القدس الذي
هو بطبعه الجوهر التقديسي في الثالوث (١٨).

فهو، إن جاز القول، صفة الله الآب، كما أن الخلاوة صفة العسل والرائحة الزكية
صفة الزهرة (١٩).

وجميع هذه التعبيرات تعود بنا في الواقع إلى المعيار الأساسي: «من الآب بالإبن
في الروح القدس».

غير أنها تبرز أيضاً بنوع خاص دور الروح القدس في تقديس الخليقة.

+ [إن لقب «القدس» الذي نلقب به «الروح القدس» لا يدل فقط على
كرامة أو امتياز عرضي منسوب له، كمثل ألقاب «الرؤساء والكراسي
والسلطين» التي نعطيها للأرواح المخلوقة، بل هو بالحري اسمه الخاص الدال

(13) P G 70, 936-937

(14) P G 75, 572 A

(15) P.G 75, 1120 A

(16) P.G 74, 292 D

(17) P G 75, 597 A

(18) P G 74, 292 D, 452 D sq, P G 75, 596 CD-597 A.

(19) P.G 75, 596 A

على صفته الجوهرية كممثل إسم « الآب » للآب وإسم « الإبن » للإبن [٢٠].

فالقداسة (وبالتالي القوة التقديسية) هي الصفة الجوهرية للروح القدس كالأبوة للآب والبنوة للإبن، غير أنه كما رأينا لا يباشرها بمعزل عن الآب والإبن، بل دائماً في شركة معها.

شركاء الطبيعة الإلهية:

إن الصورة الإلهية التي يطبعها الروح القدس في أعماقنا تبلغ من العمق حتى تجعلنا بالحق «شركاء الطبيعة الإلهية»، بحسب عبارة القديس بطرس (٢١) (٢ بط ١: ٤).

فنحن نصير بالحق شركاء في الألوهة.

إننا طبعاً لا نكون آلهة بالطبيعة (٢٢)، ولا نتحول إلى الطبيعة الإلهية (٢٣).

ولكننا على الرغم من ضعفاتنا ومن بشريتنا التي لا نفقدها (٢٤)، ننال بالحق شيئاً إلهياً يرفعنا فوق طبيعتنا الخاصة (٢٥).

وهذه الشركة في الألوهة θεοσις كانت معتبرة في عصر الآباء حقيقة شائعة متفق عليها من الجميع، حتى أن القديس كيرلس (كالآباء الذين سبقوه أيضاً) يركز عليها ليثبت ألوهية الروح القدس: إذا كان الروح القدس يؤلفنا فهو الله بكل تأكيد (٢٦).

(20) P.G 75, 1121 B

(21) P.G 74, 452-453; P.G. 68, 785. P.G. 69, 1056; P.G 70, 1144; P.G 71, 932; P.G. 75. 1089 sq.; P.G 76, 108, 248.

(22) P.G 75, 200, 201, P.G 73, 464; P.G 69 1205

(23) P.G. 75, 200, 205

(24) P.G 75, 285

(25) P.G 75, 905

(26) P.G. 73, 244, P.G 74, 260; P.G 75, 568, 585, 592, 608, 1097

وبطريقة أعم يستد القديس كيرلس في مواضع أخرى على قدرة الروح القدس على التقديس ليست ألوهيته. فهو يقول ما معناه: إن كان الروح القدس يقدمنا، فهو قدوس بطبيعته، ولذلك فلا بد أن يكون هو الله بالحقيقة.

(P.G 75, 568 D sq, 609 D, 749 D sq, 905 A, 1085 B, 1088 B sq, 1098 sq)

لا يمكن أن يعطى النور بدون نور^(٢٧).

ولا يمكن أن تشتعل نار بدون نار^(٢٨).

ولذلك أيضاً لا يمكن أن يعطينا الروح القدس شركة في الألوهة، بدون أن يكون هو نفسه الله .

وبفعل هذه الشركة في الطبيعة الإلهية، التي تناولها بالروح القدس، نحن نصير أبناء الآب السماوي بالتبني وأخوة ليسوع المسيح^(٢٩).

فإن كان المسيح قد دعانا إخوة له، فليس ذلك فقط لأنه هو أخذ الذي لنا أي طبيعتنا البشرية بل بالأكثر جداً، لأنه أعطانا الذي له، أي جعلنا شركاء في طبيعته الإلهية^(٣٠).

ثم إن كنا إخوة ليسوع المسيح، فنحن بالتالي أبناء الآب السماوي^(٣١). وهكذا نصير شركة الطبيعة الإلهية، التي نلناها بالروح القدس، هي أساس أخوتنا ليسوع المسيح وبنوتنا للآب السماوي .

هذه هي الكرامة العليا التي أدركت الإنسان المسيحي: أن يكون هيكلاً للروح القدس، وأخاً ليسوع المسيح، وإبناً للآب السماوي!

وهذا يمتاز على أبرار العهد القديم، الذين لم ينالوا مثلنا روح التبني بل فقط «روح العبودية للخوف»^(٣٢).

وكذلك يمتاز على الأنبياء الذين وإن كانوا يتنبأون بفعل الروح القدس، لكنهم لم يدعوا قط مثلنا هياكل لروح الله^(٣٣).

(27) P G 75, 592 D

(28) P G 75, 1085 B

(29) P G 75 525, P G 74, 753, P G 73, 153, 884, P.G 69, 721, P G 76, 125 A sq

(30) P G 76, 125 A sqq

(31) P G 73, 153 B sqq

(32) P.G 73, 156, P G 68, 488, P G 69, 233 AB, P G 70, 17 C, P G 72, 617 D sq

(33) P G 73, 757 A

بل ويمتاز حتى على يوحنا المعمدان «أعظم مواليد النساء»، فإن الأصغر في ملكوت السموات أي الطفل الذي اعتمد حديثاً أعظم منه:

[كيف ينبغي أن تفهم قول المخلص: «إن الأصغر في ملكوت السموات أعظم منه؟» ما هو ملكوت السموات؟

إنه عطية الروح القدس بحسب المكتوب: «إن ملكوت السموات فيكم» وبالفعل الروح القدس يحل فينا بالإيمان.

أترون كيف يرفع المخلص فوق جميع مواليد النساء الأصغر في ملكوت السموات؟

ولكن لا يظن أحد أننا نريد أن نقلل من فضيلة يوحنا المعمدان، فإن حُسن سيرته لا يُجَارَى، فقد بلغ منتهى حدود البر الممكنة للبشر. غير أنه كان يتوسل لدى المسيح قائلاً: أنا محتاج أن أعتمد منك وأنت تأتي إليّ. أترون كيف أنه يطلب أن يتجدد بالروح القدس؟ أترون كيف أنه يعترف بامتياز أولئك الذين تجددوا بالروح القدس؟ ولذلك قال المسيح إن الأصغر في ملكوت السموات، أي الذي تعمد حديثاً ولم يمارس بعد أية فضيلة هو أعظم منه. لأن المعمدان كان مولوداً من المرأة، وأما المعتمد فهو مولود من الله وشريك في الطبيعة الإلهية، وهويقتني الروح القدس ويُدعى هيكلًا لله [(٣٤)].

+ + +



هل يحل الروح القدس فينا بقوته فقط أم بجوهرة؟

سنجد في أقوال القديس كيرلس الإجابة الواضحة لهذا السؤال . غير أننا نريد قبل أن نستعرض أقواله في هذا الصدد أن ننبه ذهن القارئ إلى ضرورة التمييز بين معنيين دقيقين مختلفين تماماً، هما الحلول الجوهري والاتحاد الجوهري.

فالحلول الجوهري معناه أن الروح القدس يحل فينا بجوهرة الإلهي الخاص، وهذا المعنى سنرى القديس كيرلس يؤيده بحسب الآية القائلة: «أنتم هيكل الله وروح الله يسكن فيكم».

أما عبارة «الاتحاد الجوهري» فهي جد خطيرة لأنها تفتح المجال للزعم بأننا نتحول إلى جوهر الله أو نصير من جوهرة. ولقد كان القديس كيرلس حريصاً جداً في عدم استخدام عبارة «الاتحاد الجوهري» (وما يماثلها) فيما يخص علاقتنا نحن بالله وحصر استخدامها فيما يخص:

١ - اتحاد الإبن بالآب: فهو يدعو «اتحاداً جوهرياً وطبيعياً»^(١).

οὐσιώδη τε καὶ φυσικὴν τὴν ἔνωσιν

٢ - اتحاد اللاهوت بالناسوت في شخص المسيح: فقد كان شغله الشاغل ضد نسطور أن يفرق تماماً بين الاتحاد الأقبومي الذي تم في المسيح، وبين الاتحاد بالمشاركة الذي يتم فينا.

فهو يدعو الأول «اتحاداً بحسب الجوهر»^(٢) ἔνωσις κατ' οὐσίαν

— و«اتحاداً بحسب الطبيعة»^(٣) ἔνωσις κατὰ φύσιν

— و«اتحاداً بحسب الأقبوم»^(٤) ἔνωσις καθ' ὑπόστασιν

(1) P.G. 74, 561 D, P.G. 75, 1012 A

(2) P.G. 76, 1453 B

(3) P.G. 76, 1220 B

(4) P.G. 77, 120 C

— و« اتحاداً طبيعياً» (٥) ένωσις φυσική

بينما يدعو الإتحاد العرضي بين النفس والروح القدس:

— «علاقة» (٦) σχέσις

— و« شركة» (٧) συνάψεια

— و« اتحاداً نسبياً» (٨) ένωσις σχετική

— و« مشاركة نسبية» (٩) μέθεξις σχετική

— و« ارتباط نسبي» (١٠) κόλλησις σχετική

وهكذا لم يستعمل قط عبارة «الإتحاد الجوهري» فيما يخص علاقتنا نحن

بالله.

لذلك كان من اللازم قبل أن نقدم أقواله الخاصة بحلول الروح القدس فينا، أن ننسب ذهن القاريء إلى ضرورة التفرقة الواضحة بين «الحلول الجوهري» و«الإتحاد الجوهري». فبينما رأينا القديس يمتنع تماماً عن استخدام العبارة الثانية فيما يخص علاقتنا بالله، سنراه في الأقوال القادمة يؤكد بإلحاح أن الروح القدس لا يعمل فينا فقط بقوته بل يحل فينا أيضاً بجوهره الخاص.

وجدير بالذكر أن القديس كيرلس لا يبتكر بذلك شيئاً جديداً، بل يتمسك بما قاله الآباء السابقون له. فثلاً نجد لدى القديس غريغور يوس الترنتزي قولاً صريحاً جداً بهذا المعنى:

«لم يعد الروح الآن يحل بقوته فقط كما كان في القديم بل جوهرياً — كما قد

(5) P G 77, 120 C

(6) P G 75, 1089 C, 1096 CD

(7) P G 75, 1089 C, 597 C

(8) P.G 76, 408 C

(9) P G 73, 1032 C, P G 77, 112 C

(10) P G. 74, 333 A, P G 69, 497 C

يُقال — هو يعايشنا ويسكن معنا [١١].

وقد قام العالم بتافئوس Petavius في القرن السابع عشر بتجميع ودراسة جميع أقوال الآباء الخاصة بحلول الروح القدس فينا.

وقد أفرد لهذا الموضوع عدة فصول من كتابه عن الثالوث (١٢). وقد خرج من هذه الدراسة لأقوال الآباء عن حلول الروح القدس فينا بالنتيجة التالية:

«إن الروح القدس لكي يقدسنا لا يعمل في نفوسنا بقوته فقط بل يكون حاضراً بجوهره أيضاً حضوراً حقيقياً».

ويعلق الأب Mahé اليسوعي (١٣) على هذه الصيغة التي لخص بها العالم بتافئوس رأي الآباء فيما يخص حلول الروح القدس فينا قائلاً: «إن العقيدة التي تعبر عنها هذه الصيغة تعتبر عقيدة ثابتة يوافق عليها جميع اللاهوتيين الكاثوليك». ذلك لأنها شائعة في أقوال الآباء لدرجة يمتنع معها على أي لاهوتي يؤمن بالتقليد الكنسي أن يطعن فيها.

ويستطرد الأب Mahé قائلاً: «هذه النقطة الأساسية في لاهوت القديس كيرلس فيما يخص علاقتنا بالروح القدس. إنها هي الفكرة الرئيسية التي بدونها لا يمكن فهم شيء مما يقوله القديس كيرلس في هذا الموضوع».

ثم يعرض أقوال القديس بهذا الخصوص:

١ — لكي يفتني أحد بحلول وسكني ذلك الذي بالحقيقة هو الله بطبيعته (يفسد المسيح)، لا يكفي أن يقبل روحاً مختلفاً عن الله أو ليس من جوهره (أي مجرد نعمة أو قوة)، بل الروح نفسه الذي من الله والذي في الله أي روح الله الخاص ἰδίον αὐτοῦ [١٤].

(١١) عظة ٤٦ عن عيد الخمسين فقرة ١١. οὐκ ἔστι ἐνέργεια παρὸν, ὡς προτέρων, αὐσιωδῶς δέ.

ὡς ἂν εἶποι τις, συγγινόμενον τε καὶ συμπολιτειόμενον (P G 36. 444 C)

(12) PETAVIUS, De Trinitate viii, 4-7. Dogm theolog éd VIVÉS, t III p 453-495

(13) MAHÉ, op cit p 473 n 1

(14) P G 75. 1093 A.

٢ — [فهذه القوة التقديسية بعينها ، الصادرة بطبيعتها من عند الآب ، والمأنحة الكمال للساقطين ، هي التي ندعوها الروح القدس . فمن النفاية ، كما يظهر ، أن نتصور قوة أخرى متوسطة (يستخدمها الروح القدس) ليقدّس بها الخليقة ، إذ أنه ليس كثيراً على محبة الله أن تُظهر ذاتها للمتواضعين وتقدسهم بالروح القدس... فالروح إذن يعمل فينا بذاته *Αὐτουργόν ἄρα τὸ πνεῦμα ἐν ἡμῖν* (بذاته أي ليس بمجرد نعمة أو قوة منه) ليقدسنا و يوحدنا بنفسه بالشركة معه ويجعلنا شركاء الطبيعة الإلهية] (١٥).

٣ — ويقول في تفسيره لإنجيل القديس يوحنا بخصوص الآية ١ : ١٣ « الذين ولدوا ليس من دم... بل من الله » :

[لقد صرنا شركاء الطبيعة الإلهية ، ودعينا مولودين من الله ، ولذلك أيضاً نسمى آلهة . إننا لم نرتق إلى هذا المجد الفائق لنا بمجرد نعمة (من الله) ، بل لأننا منذ الآن نفتني الله أيضاً حالاً وساكناً فينا ، فنحن هياكل الله ، كما يقول بولس ، لأن لنا روح الله ساكناً فينا] (١٦).

οὐ χάριτι μόνον εἰς τὴν ὑπερ ἡμᾶς ἀνιπτάμενοι δόξαν

٤ — أما بخصوص الآية ٧ : ٣٩ « لأن الروح لم يكن قد أعطي بعد لأن يسوع لم يكن قد مُجّد بعد » ، فيقول :

[لقد كان في الأنبياء القديسين استنارة شديدة وغنية من الروح تعلمهم كشف المستقبل ومعرفة الحفيات . أما الذين يؤمنون بالمسيح فلا تسكن فيهم فقط استنارة سخية من الروح ، بل نؤكد بثقة أن الروح نفسه هو الذي يحل ويسكن فيهم] (١٧).

٥ — [الروح القدس لا يرسم فينا الصورة الإلهية كأنها مختلفة عن جوهره الخاص ، كما يفعل الرسام الذي يرسم صورة تختلف عن ذاته ، ليس بهذه الطريقة يجعلنا الروح على صورة الله . بل بالحري لأنه هو نفسه الله ومنبثق من

(15) P G 75, 597 AC

(16) P G 73, 157 B

(17) P G 73, 757 AB

الله، فهو يطبع ذاته بطريقة غير منظورة في قلوب الذين يقبلونه كمثل ما يطبع الختم ذاته على الشمع [١٨].

٦ - ويقول في الحوار السابع من كتابه في الثالث:

[أ - إذن فأنت تدّعي أن الروح القدس لا يتطبع فينا بل فقط النعمة التي يمنحها؟

ب - يبدو كذلك .

أ - فكان ينبغي إذن أن يدعى الإنسان صورة للنعمة بدلاً من أن يدعى صورة لله . ولكن الحقيقة أن نفوسنا لا تتجدد إلا بقبول صورة الله .

ب - بدون شك .

أ - ثم إذا كانت النعمة التي يمنحها الروح القدس هي شيء منفصل عن جوهره، فلماذا لم يقل موسى بوضوح أن الخالق عندما خلق الإنسان الأول قد نفخ فيه « النعمة »؟ ، ولماذا لم يقل المسيح: « اقبلوا النعمة بفعل الروح القدس؟ » .

لكن موسى يقول: « نسمة حياة »، لأن الطبيعة الإلهية هي الحياة الحقيقية التي بها نحيا ونتحرك ونوجد، وانخلص قال: « اقبلوا الروح القدس »... والروح القدس هو الذي يشكلنا من جديد على صورة الله ليس كما من نعمة يستخدمها οὐχ ὡς διὰ χάριτος ὑπουργικῆς بل بإعطاء ذاته هو نفسه للذين يستحقونه كشركة في الطبيعة الإلهية .

ب - ليس لي شيء أعارض به .

أ - بل أننا مدعوون هياكل الله وآلهة، ونحن بالفعل كذلك . كيف يكون ذلك، ليجب الذين يقاوموننا، كيف يكون ذلك إذا كنا لم نشترك بالحقيقة سوى في نعمة مجردة وغير أقنومية؟

ἵπερ ἔσμεν ἀληθῶς ψιλῆς καὶ ἀνυποστάτου χάριτος μέτοχοι

ولكن ليس الأمر كذلك .

(18) P G 75. 609 D

بل نحن هياكل للروح الكائن بجوهره حقاً، ونحن نُدعى آلهة بسببه لأننا
باتحادنا به نشترك في الطبيعة الإلهية [١٩].

وهناك أقوال أخرى عديدة بهذا المعنى وكلها تدلنا بوضوح أن القديس كيرلس يرى
أن الروح القدس يحل فينا بجوهره الخاص وليس فقط بمجرد نعمة أو قوة منه (٢٠).

+ + +

لقد اقتصرنا في هذا المقال على دراسة أقوال القديس كيرلس دون غيره من الآباء.
ولكن لا ينبغي أن يُظن من ذلك أن رأيه منفرد في وسط الآباء، فهذا يتنافى مع إحدى
الصفات الأساسية لطبيعة القديس كيرلس وهي محبته الشديدة للتقليد. فقد أشرنا في
بداية المقال أن أفكاره تعكس لنا تعاليم القديسين أثناسيوس وباسيليوس
وغريغوريوس النزينزي، غير أنه صاغها صياغة جديدة وصبغها بعبقريته الروحية.

+ + +



(19) P G 75, 1088 B sq

(20) P G 69, 233 B sq, P G 74, 260 ABC, 261 D sq, P G 75, 801 B, etc

الروح القدس روح الوحدة في التقليد الكنسي حتى عصر القديس كيرلس الكبير

أعد هذه المقالة وترجم نصوصها من الفرنسية واليونانية
أحد الآباء بالدير وراجعها الأب متى المسكين
مايو ١٩٨١

العناصر

- تقديم :
أولاً: في الكتاب المقدس: في العهد القديم.
في العهد الجديد:
- ٥/٣١٧
٧/٣١٩
١٠/٣٢٢
١٠/٣٢٢ في أعمال الرسل
١٠/٣٢٣ عند بولس الرسول
١٢/٣٢٥ عند يوحنا اللاهوتي
- ثانياً: عند الآباء السابقين للقديس كيرلس:
١ — القديس إغناطيوس
٢ — القديس إيريناوس
٣ — القديس كبريانوس
٤ — القديس أمبروسيوس
٥ — القديس باسيليوس الكبير
٦ — القديس غريغور يوس التريزي
٧ — القديس غريغور يوس النيسي
٨ — القديس يوحنا ذهبي الفم
٩ — القديس كيرلس الأورشليمي
١٠ — القديس أثناسيوس الرسولي
- ١٨/٣٣٠
- ثالثاً: في لاهوت القديس كيرلس
١ — دور الروح القدس في اتحادنا بالله
٢ — دور الروح القدس في اتحادنا معاً بعض
- ٣٢ / ٣٤٤
٣٣/٣٤٥
٤٢/٣٥٤

تقديم:

[الروح القدس يجمع و يوحد .

إذا لم تخضع النفس للروح القدس ، يستحيل أن تنجمع وتتحد بنفس أخرى...
الإنسان في الروح القدس يتنازل عن فرديته ، و ينجمع بالآخرين بفعل
المحبة - والمحبة تنسكب دائماً من الروح القدس في القلب المفتوح للآخرين .
يستحيل أن يتقابل إنسانان في الروح القدس على سبيل الإتحاد ، إلا إن كان
فيها واحد على الأقل قد أخل نفسه ! والإخلاء بالنهاية هو حالة ملء بالروح
القدس] (١).

لقد وُلدت الكنيسة من الروح القدس في يوم الخمسين لما كان الجميع معاً

ἐπὶ τὸ αὐτὸ بنفس واحدة ἑνωμαδόν

ومنذ ذلك الحين ، لم يكف الروح القدس في الكنيسة عن السعي المستمر للمحافظة
على وحدة جميع الأعضاء داخل الجسد الواحد .

فالروح القدس هو الذي يكوّن جسد المسيح السري و يوحدّه (٢) .

ولقد وعت الكنيسة منذ عصر الرسل دور الروح القدس الأساسي في نشأتها ، ثم في
المحافظة على وحدتها كجسد سري واحد للمسيح . ولقد توالى آباء الكنيسة من بعد

(١) من كتاب « الباراكليت » : [الروح القدس هو الذي يوحد الأفكار فلا سبيل إلى تقابل الناس جميعاً
في المسيح الواحد الحقيقي إلا إذا تقابل الناس بالروح أولاً على صعيد المحبة ... الروح القدس أملاً الوحيد
لتجميع القلوب في شخص يسوع ...] (ص ١٥٦ / ٨٤) .

(٢) من كتاب « العنصرة » : [الروح القدس يوحد الشربة كلها في جسم واحد فيزيل جميع الفوارق
الجنسية و يرفع الحواجز الحواجز العنصرية فتذوب كلها وتصبح لبشرية كأنها عُجبت من حديد عجيبة واحدة
متجانسة ، وذلك بفعل الإتحاد في جسد المسيح السري] (ص ١٧٢ / ٣٨) .

وأيضاً : [الإتحاد الكنيستة يعني بلا شك الإتحاد بالجسد الإلهي ... لا يمكن الإتحاد بالجسد الإلهي إلا
بتوسط الروح القدس ... إذن فجيء الروح القدس أمر لازم لإتحادنا بالكيسة] (ص ١٥٣ / ١٩) .

الرسل في استيعاب هذه الحفيقة وشرحها للمؤمنين والسلوك بمقتضاها.

وفي هذه المقالة سنستعرض دور الروح القدس في توحيد الجسد الإلهي، كما جاء أولاً في الكتاب المقدس، ثم عند آباء الكنيسة السابقين للقديس كيرلس الكبير، وأخيراً نستعرض نفس هذا الموضوع في كتابات القديس كيرلس الكبير.

+ + +



أولاً - في الكتاب المقدس

في العهد القديم:

+ « هوذا ما أحسن وما أحلى أن يسكن الإخوة معاً مثل دهن الطيب على الرأس النازل على اللحية... » (مز ١٣٣: ١، ٢).

هذه أول إشارة جاءت في العهد القديم عن العلاقة بين الروح القدس ووحدة الجماعة وتوافقها. فالروح القدس ينسكب بلا مانع على الجماعة المتآلفة بنفس واحدة - كما سنرى في يوم الخمسين (أع ٢: ١)، ولكنه يحزن و ينحبس حينما تنشب الخصومات - كما سنرى في (أف ٤: ٣٠، ٣١). وأفضل تعليق يمكننا أن نقدمه على هذا المزمور هو تفسيره بواسطة القديس أثناسيوس الرسولي:

[« هوذا ما أحسن وما أحلى... كالطيب الكائن على الرأس النازل على اللحية » . إنه يقصد بذلك أنه حينما تلتئم الكنيسة وتصير واحدة بنوع من التوافق، فحينئذ، وبالتحديد، تنسكب مسحة الروح القدس والكهنوت، أولاً على رأس الكنيسة الذي هو المسيح، ثم على اللحية التي هي وقار وجه الكنيسة إشارة إلى الرسل، وأخيراً تصل إلى كل الجسد أي إلى كل الذين يندمجون بالمسيح داخل الكنيسة.

«لأن هناك أمر الرب بالبركة والحياة إلى الأبد». بقوله «هناك» واضح أنه يعني عند «الإخوة الذين يسكنون معاً»، «والحياة» التي يعينها ليست الفانية بل الخالدة، لأن ندى الروح القدس المحيي قد انحدر على (علية) صهيون على الرسل القديسين وبه قد ربح جميع المؤمنين البركة الأبدية إذ كان لهم «قلب واحد ونفس واحدة» (أع ٤: ٣٢) [٣].

وجدير بنا أن نورد هنا أيضاً تعليق الكنيسة على هذا المزمور في تسبحة باكر لأنه من أبهج ما يمكن:

(٣) مكتبة الآباء اليونان (المطوعة في اليونان) جزء ٣٢ ص ٢٨٦.

[ها ما هو أحسن وما هو أحلى من مسرة الإخوة الساكنين معاً المتوافقين في
 سيمفونية **Ετεροφωνία** بمحبة حقيقية إنجيلية مثل الرسل، مثل
 الطيب على رأس المسيح النازل على اللحية إلى أمفل القدمين، يمسح كل يوم
 الشيوخ والصبيان والفتيان والخدام، هؤلاء الذين آلفهم الروح القدس معاً
 مثل قيثارة، مسبحين الله بمزامير وتسابيح وأغاني روحية في النهار والليل بقلب
 لا يسكت].

فهذا التوافق الذي يشبه التوافق الموسيقي (لاحظ عبارة متوافقين في سيمفونية...
 وآلفهم الروح القدس مثل القيثارة) هو من صميم عمل الروح القدس في الجماعة
 المتحدة المتحابة.

+ في نبوة إشعياء:

«ويخرج قضيب من جزع يسي... ويحل عليه روح الرب، روح
 الحكمة والفهم، روح المشورة والقوة، روح المعرفة وخفاة
 الرب...»

فيسكن الذئب مع الخروف ويربض النمر مع الجدي...
 ويجمع منفيي إسرائيل ويضم مشتتي يهوذا... فيزول حسد
 افرايم (إسرائيل) وينقرض المضايقون من يهوذا، افرايم لا
 يحسد يهوذا ويهوذا لا يضايق افرايم».

(إش ١١: ١-١٣).

+ في نبوة حزقيال:

«فقال لي تنبأ... هكذا قال السيد الرب لهذه العظام: هاانذا
 أدخل فيكم روحاً فتحيون... فتنبأت كما أمرت. وبينما أنا
 أتنبأ كان صوت، وإذا رعش، فتفارتبت العظام كل عظم
 إلى عظمه».

(حز ٣٧: ٤-٧).

يظهر هنا أن أول مفعول للروح في العظام اليابسة هو أن يصير فيها رعش ، فتتقارب كل عظمة إلى عظمتها . ثم إن هذا التقارب بعينه يشجع الروح لأن يعمل فيها أكثر: «فقال لي تنبأ للروح يا ابن آدم وقل للروح: هكذا قال السيد الرب هلم ياروح من الرياح الأربع وهبّ على هؤلاء القتلى ليحيوا. فتنبأت كما أمرني فدخل فيهم الروح فحيوا وقاموا على أقدامهم جيش عظيم جداً جداً» (حز ٣٧: ٩، ١٠).

هذه النبوة الصريحة عن دور الروح القدس في القيامة لا تقل في وضوحها عن أقوى ما سيقوله بولس الرسول فيما بعد في هذا الموضوع: «وإن كان روح الذي أقام يسوع من الأموات ساكناً فيكم ، فالذي أقام المسيح من الأموات سيحيي أجسادكم المائتة بروحه الساكن فيكم» (رو ٨: ١١).

غير أن الإلهام النبوي لا يقف عند هذا الحد بل يكشف أيضاً أن أهم نتيجة للقيامة الروحية التي تتم بحلول الروح القدس ، إنما هي أن يصير الجميع واحداً ، إذ أن الرب أمر النبي في نفس الأصحاح بأخذ عصوين: «واقربها الواحدة بالأخرى كعصا واحدة فتصيرا واحدة في يدك ... وقل لهم هكذا قال السيد الرب هاانذا آخذ عصا يوسف ... وأصم إليها عصا يهوذا وأجعلها عصا واحدة فيصيرون واحداً في يدي ... وأصيرهم أمة واحدة ... وملك واحد يكون ملكاً عليهم ولا يكونون بعد أمتين ولا ينقسمون بعد إلى مملكتين ... ويكون لجميعهم راع واحد» (حز ٣٧: ١٧-٢٤).

وهذا يبلغ الإلهام النبوي ذروته بإعلان الوحدة العتيدة أن تصير في الشعب إذا ما انسكب الروح عليهم بمثل ما انسكب على العظام اليابسة . على أن ما يجذب الإنتباه في هذه النبوة هو تقارب تعبيراتها مع ما سيأتي في العهد الجديد .

فاقتران العصوين الواحدة بالأخرى حتى تصيرا كعصا واحدة ، هو تعبير تصويري

يساوي تماماً قول بولس الرسول: «جعل الإثنين واحداً». ثم لا نستطيع أن نسمع قول حزقيال: «و يكون لجميعهم راع واحد» دون أن نتمثل الرب يسوع قائلاً: «أنا هو الراعي الصالح... وتكون رعية واحدة لراع واحد» (يو ١٠: ١١، ١٦).

+ + +
في العهد الجديد

+ في أعمال الرسل:

بينما كان الرسل في عليّة صهيون ينتظرون حلول الروح القدس كوعد الرب كانوا جميعاً يصلون بنفس واحدة:

+ «هؤلاء كلهم كانوا يواظبون على الصلاة بنفس واحدة *ὁμοθυμαδόν*» (أع ١: ١٤).

+ «ولما حضر يوم الخمسين كان الجميع معاً بنفس واحدة» (أع ٢: ١).

ἦσαν ἅπαντες ὁμοθυμαδόν ἐπὶ τὸ αὐτό.

من هذا يظهر أن وحدة التلاميذ معاً بنفس واحدة في جو من الصلاة، كانت أنسب وضع استقبلت به الكنيسة ميلادها الجديد بفعل الروح القدس.

ثم نقرأ في بقية أعمال الرسل كيف أن الروح القدس بعد الخمسين قد زكى هذه الوحدة الروحية وضم إليها جميع الذين آمنوا:

+ «وجميع الذين آمنوا كانوا معاً *ἐπὶ τὸ αὐτό* وكان عندهم كل شيء مشتركاً... وكانوا كل يوم يواظبون في الهيكل بنفس واحدة *ὁμοθυμαδόν*» (أع ٢: ٤٤ و ٤٦).

+ «فلما سمعوا رفعوا بنفس واحدة *ὁμοθυμαδόν* صوتاً إلى الله...» (أع ٤: ٢٤).

+ «وكان لجمهور الذين آمنوا قلب واحد ونفس واحدة *καρδία καὶ ψυχή μία* ولم يكن أحد يقول أن شيئاً من أمواله له بل كان عندهم كل شيء مشتركاً...» (أع ٤: ٣٢).

+ «وكان الجميع بنفس واحدة *ὁμοθυμαδόν* في رواق سليمان» (أع ٥: ١٢).

وهكذا نرى أن عبارة «بنفس واحدة» ὁμοθυμαδόν تكاد تكون أكثر عبارة مميزة لسفر أعمال الرسل، حتى أن قرار الرسل في أول مجمع كنسي في أورشليم كان «بنفس واحدة» بفعل الروح القدس:

+ «رأينا وقد صرنا بنفس واحدة ὁμοθυμαδόν... لأنه قد رأى الروح القدس ونحن» (أع ١٥: ٢٥، ٢٨).

في رسائل بولس الرسول:

+ «وجميعنا بروح واحد أيضاً اعتمدنا إلى جسد واحد يهوداً كنا أم يونانيين عبيداً أم أحراراً، وجميعنا سُقينا روحاً واحداً» (١ كو ١٢: ١٣).

هنا يصف بولس الرسول بكل دقة ما قد حدث في يوم الخمسين وما يحدث كل يوم بالعمودية. ففي يوم الخمسين قد ضم الروح القدس اليهود مع الدخلاء من أكثر من أربعة عشرة أمة مذكورة بأسمائها في سفر الأعمال (أع ٢: ٩-١١)، وحوّلهم جميعاً «إلى جسد واحد» في المسيح. ثم يبين أيضاً أن نفس هذا الشيء يحدث كل يوم بالعمودية «وجميعنا بروح واحد اعتمدنا إلى جسد واحد».

فالروح القدس يعمل كل يوم في المعمودية لضم أعضاء جدد لجسد المسيح. فسواء كان في يوم الخمسين أو كل يوم في المعمودية، يظهر من الآية أن الروح القدس هو المسئول الأساسي عن تكوين جسد المسيح السري وتوحيد جميع الأعضاء الداخليين فيه.

روح الشركة:

«وشركة الروح القدس مع جميعكم» (٢ كو ١٣: ١٤).

«إن كانت شركة ما في الروح» (في ٢: ١).

«وصاروا شركاء الروح القدس» (عب ٦: ٤).

يظهر من هذه الآيات أن الروح القدس هو المسئول الأول والأساسي عن إقامة الشركة سواء كانت بين الإنسان والله، أو بين الناس وبعضهم البعض. ولذلك سنجد

الآباء مثل أمبروسيوس وأثناسيوس وكيرلس يكررون بلا ملل أن الروح القدس هو الذي يحقق فينا «شركة الطبيعة الإلهية» (٢ بط ١: ٤) وشركتنا بعضنا مع البعض.

+ «فأنواع مواهب موجودة ولكن الروح واحد... فإنه لواحد يعطى بالروح كلام حكمة، ولآخر كلام علم بحسب الروح الواحد ولآخر إيمان بالروح الواحد...، ولآخر مواهب شفاء بالروح الواحد...، ولكن هذه كلها يعملها الروح الواحد بعينه قاسماً لكل واحد بمفرده كما يشاء» (١ كو ١٢: ٤-١١).

هنا يكشف بولس الرسول صفة أساسية للروح القدس، وهي قدرته على أن يوزع نفسه على الكثيرين بدون أن ينقسم هو، وقدرته على التنوع في الكثيرين بمواهب متعددة بدون أن يفقد وحدته الجوهرية الأساسية. وبسبب هذه القدرة على أن يوزع نفسه على الكثيرين بدون أن ينقسم، يستطيع الروح أن يجعل الكثيرين الذين يقبلونه واحداً فيه. وسنجد في بقية هذه المقالة بعض الآباء مثل أمبروسيوس وباسيليوس وكيرلس الكبير يشرحون بتفصيل هذه الصفة الأساسية للروح القدس، أي قدرته أن يتوزع على الكثيرين بدون أن ينقسم بل إنهم يؤكدون على العكس أنه هو الذي بسبب عدم قابليته للانقسام يجعل الكثيرين واحداً فيه.

+ «الذي فيه أنتم أيضاً مبنون معاً مسكناً لله في الروح» (أف ٢: ٢٢).

συνοικοδομείσθε... ἐν Πνεύματι

إننا مبنون معاً «في الروح»، وليس فقط «بالروح». فليس الروح هو فقط الذي يبني هيكلنا الجديد - الكنيسة -، بل هو أيضاً الوسط الإلهي الذي يكون بناؤنا الجديد مغموراً فيه بنوع ما، بصفة مستمرة «مبنون معاً في الروح».

وبذلك يصير الروح هو الذي يوصل البناء كله بعضه ببعضه حتى تصير الكنيسة بصفتها أورشليم الجديدة «مبنية كمدينة متصلة بعضها ببعض» (مز ١٢١ بحسب السبعينية)، أي تصير كلها متجانسة ومتصلة «كزجاج شفاف» (رؤ ٢١: ١٨، ٢١)،

وذلك لأن طبيعة خلقتنا الجديدة هي أن تكون باستمرار مغمورة «في الروح». «وأما أنتم فلستم في الجسد بل في الروح» (رو ٨: ٩).

+ «لا تُحزنوا روح الله القدوس... ليُرفع من بينكم كل مرارة وسخط وغضب وصياح...» (أف ٤: ٣٠، ٣١).

يظهر هنا بولس الرسول أن أهم ما يحزن الروح القدس هو العداوة والغضب والسخط، وواضح بالتالي أن عكس ذلك هو الذي يفرّج الروح، لذلك يستطرد قائلاً: «بل كونوا لطفاء بعضكم نحو بعض (مفهوم ضمناً لكي يفرج الروح) شفقين متسامحين...».

والسبب في أن العداوة هي أهم ما يحزن الروح، هو أنها بالأساس مخالفة لطبيعة الروح الروحانية. فالعداوة في عرف الإنجيل «جسدانية» وأعمال العداوة تعتبر من «أعمال الجسد»، «وأما أعمال الجسد فهي... عداوة خصام غيرة سخط تحزب شقاق بدعة حسد...» (غل ٥: ٢٠). ولذلك فالذين يمارسون مثل هذه لا يكونون «روحيين» بل «جسديين» (أنظر ١ كو ٣: ١-٤).

+ «إن كنا نعيش بالروح فلنسلك أيضاً بحسب الروح لا نكن معجبين نفاضب بعضنا بعضاً ونحسد بعضنا بعضاً» (غل ٥: ٢٥ و٢٦).

+ «مجتهدين أن تحفظوا وحدانية الروح برباط السلام. جسد واحد وروح واحد» (أف ٤: ٣).

+ «حتى أسمع أموركم أنكم تثبتون في روح واحد مجاهدين معاً بنفس واحدة» (في ١: ٢٧).

+ في كتابات يوحنا الرسول:

إن كان بولس الرسول قد أثبت أن الروح القدس هو روح الشركة فالقديس يوحنا الرسول يُظهر حدود هذه الشركة. إنها شركة بيننا وبين الله ثم أيضاً شركتنا

بعضنا مع بعض:

+ «فلنا شركة بعضنا مع بعض» (١ يوا : ٧).
+ «ونخبركم بذلك لكي تكون لكم شركة معنا وأما شركتنا نحن فهي مع
الآب ومع ابنه يسوع المسيح» (١ يوا : ٣).

والروح القدس هو المسئول الأساسي عن إقامة هذه الشركة بنوعيتها .
+ «بهذا نعرف أننا نثبت فيه وهو فينا أنه قد أعطانا من روحه»
(١ يوا : ٤ : ١٣).

+ ملحق : عن تلازم مفهومي الكنيسة والروح القدس في كتابات يوحنا الرسول :

نستطيع أن نتبع في كتابات يوحنا الرسول تلازم مفهومي الكنيسة والروح القدس
في عدة مناسبات ، ليس على مستوى التصريح الواضح بل على مستوى التلميح
السري ، كما هي العادة في جميع كتابات القديس يوحنا ، ولهذا السبب نعتة التقليد
«باللاهوتي» بسبب عمق الأسرار التي يشير إليها في سر والتي لا تظهر لأول وهلة عند
القراءة السطحية .

ونستطيع أن نتلمس تلازم هذين المفهومين (الكنيسة والروح القدس) على الأقل
في أربعة مواضع :

- ١ . في موت المسيح على الصليب .
- ٢ . في خروج الماء والدم من جنبه .
- ٣ . في نفخة الروح القدس بعد القيامة .
- ٤ . في سفر الرؤيا « الروح والعروس يقولان تعال » .

وسنجد في هذه المواضع إشارات تزيد وضوحاً أو تقل عن تلازم مفهومي الروح
القدس والكنيسة في فكر يوحنا اللاهوتي ، ولكن من كثرة تكرار هذه الإشارات
سنخرج بيقين أننا نجد عنده بلا شك البذور الأولى للمبدأ الذي بلوره إيريناوس فيما
بعد فائلاً : « حيث يكون الروح القدس تكون الكنيسة وحيث تكون الكنيسة يكون

الروح القدس» .

وجدير بالذكر أن إيريناوس قد استقى كل معرفته الروحية من بوليكاربوس الشهيد الذي كان تلميذاً مباشراً للقديس يوحنا (٥):

١ - في موت المسيح على الصليب: يُظهر الرسول يوحنا أن موت المسيح على الصليب هو الذي كان يتوقف عليه انسكاب عطية الروح القدس «لأن الروح القدس لم يكن قد أُعطي بعد لأن يسوع لم يكن قد مُجِّد (أي صُلب) بعد» (يو ٧: ٣٩).
وصُلب الرب هو في نفس الوقت الذي تتم به وحدة الجميع في المسيح، فقد مات الرب «ليجمع أبناء الله المتفرقين إلى واحد» (يو ١١: ٥٢)، وقد قال هو نفسه: «أجذب إليّ الجميع... مشيراً إلى أية ميته كان مزماً أن يموت» (يو ١٢: ٣٢، ٣٣).

فالصليب إذن هو الذي بسببه يُعطي الروح القدس، وهو الذي بسببه يتحد الجميع. أليس في هذا إشارة ضمنية إلى أن وحدة الجميع مرتبطة بمجيء الروح القدس؟

٢. في خروج الماء والدم من جنب المسيح: يعطي يوحنا أهمية كبرى لهذا الحادث الذي لم يهتم بقية الإنجيليين ولا حتى بذكره. «وللوقت خرج دم وماء. والذي عاين شهد وشهادته حق وهو يعلم أنه يقول الحق لتؤمنوا أنتم» (يو ١٩: ٣٥). ثم يعود في رسالته الأولى إلى تأكيد أهمية هذا الحادث «هذا هو الذي أتى بماء ودم يسوع المسيح. لا بالماء فقط بل بالماء والدم. والروح هو الذي يشهد فإن الذين يشهدون هم ثلاثة: الروح والماء والدم» (١ يو ٥: ٨).

ويتضح من هذا التركيز على هذا الحادث أن له أهمية لاهوتية أساسية في فكر القديس يوحنا. ويظهر من تلازم الروح مع الماء والدم أنه يرى خروج الروح القدس

(٥) لقد كان إيريناوس يفخر بأنه يستطيع أن يصف الموضع الذي كان يجلس فيه بوليكاربوس الشهيد وكيف كان يملأهم عن علاقته بيوحنا وبقية الرسل (أنظر التاريخ الكنسي ليوسابيوس القيصري ٧: ٢٠: ٥).

مع الماء والدم من جنب المسيح المطعون . وقد اعتبر كثير من الآباء أن القديس يوحنا يريد أن يشير بذلك إلى خروج أسرار الكنيسة أي المعمودية (الماء) والإفخارستيا (الدم)، وبالتالي إلى خروج الكنيسة نفسها بصفتها حواء الجديدة، من جنب المسيح المائت كما خرجت حواء الأولى من جنب آدم النائم (أغسطس وكيروس وكيرلس الأورشليمي وذهبي الفم وغيرهم حسب تحقيق العالم Lagrange).
والشيء الذي يهمنا أن نلاحظه في ذلك هو أن يوحنا يقرن الروح بالماء والدم وبالتالي يقرن مفهوم الروح القدس بمفهوم الكنيسة الممثلة في أسرارها (الماء والدم)، كحقيقة واحدة متصلة .

٣ . في نفخة الروح القدس بعد القيامة : يظهر يوحنا بوضوح أن المسيح لما نفخ الروح القدس على التلاميذ قد بدأ بذلك تأسيس الكنيسة ، فقد أعطاهم مع الروح القدس سلطان الحل والربط «من غفرتم خطاياهم تغفر له ومن أمسكتم خطاياهم أمسكتم» ، وسلطان الكرازة « كما أرسلني الآب أرسلكم أنا » ومن هذا يظهر بوضوح أن بداية تأسيس الكنيسة كانت ملازمة لبداية قبولها الروح القدس .

٤ . في سفر الرؤيا : الروح القدس والكنيسة متلازمان :

— «والروح والعروس يقولان تعال» (رؤ ٢٢: ١٧).

— ثم إن كلاً من الروح القدس والكنيسة يمكن أن يوصف بالكثرة وبالوحدة في نفس الوقت : «يوحنا إلى السبع الكنائس التي في آسيا نعمة لكم وسلام من الكائن الذي كان والذي يأتي ومن السبعة الأرواح التي أمام عرشه ومن يسوع المسيح» (رؤ ١: ٤). ثم يعود و يذكر كلاً منها في حالة المفرد «والروح والعروس يقولان تعال» (رؤ ٢٢: ١٧).

وهذا يشير إلى أن الكنيسة تشترك مع الروح القدس في قدرته على أن يتوزع بدون أن ينقسم ، فكما أن الروح يستطيع أن يتوزع على الكثيرين (سبعة أرواح الله المرسله إلى كل الأرض—رؤ ٥: ٦) بدون أن يفقد وحدته الأساسية ، هكذا الكنيسة أيضاً يمكنها أن تتوزع في أماكن كثيرة مع بقائها واحدة .

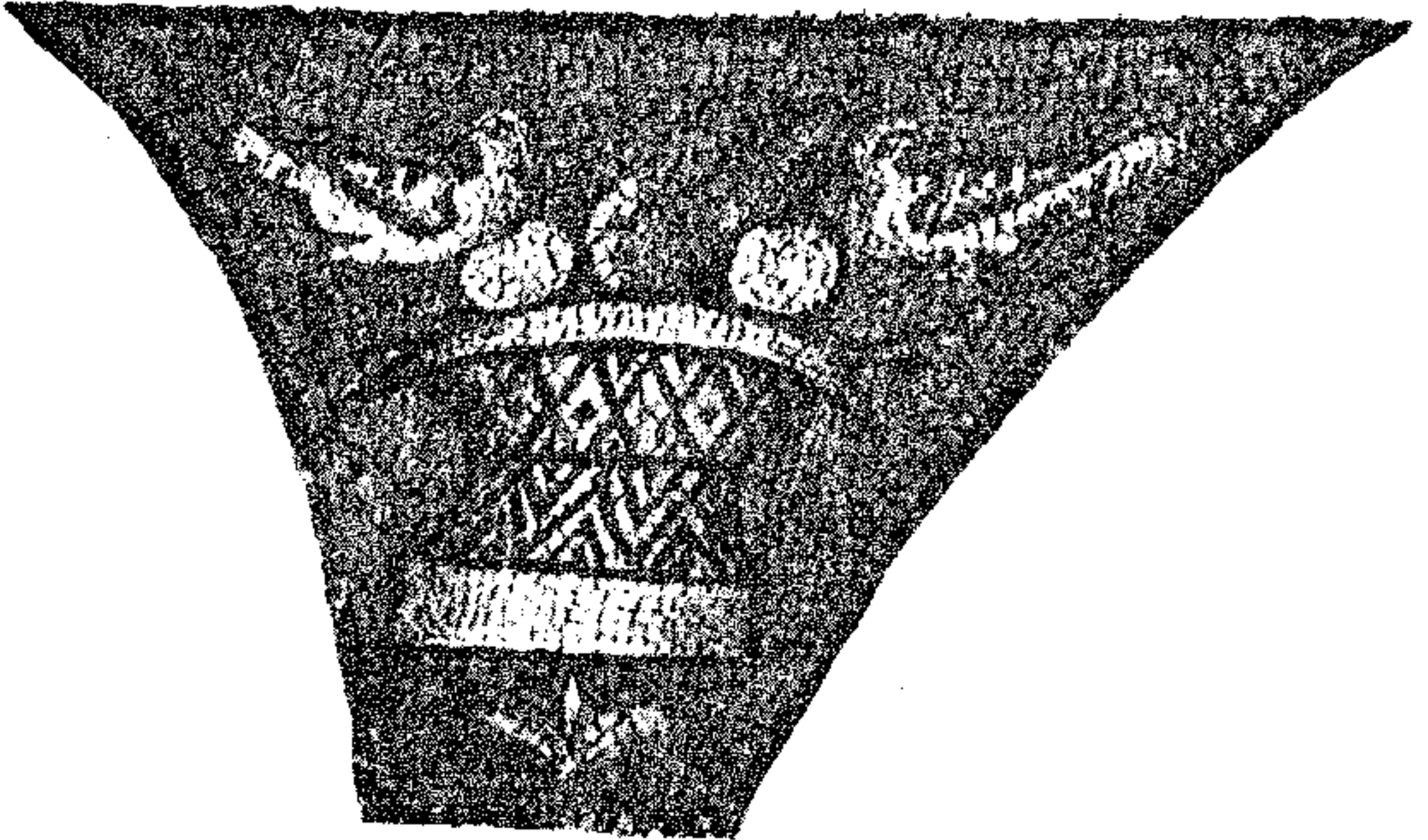
— وكل من الروح ومن الكنيسة يوصف بأنه «سبعة مناير» أو «سبعة مصابيح».

«والمناير السبع هي السبع الكنائس» (رؤ ١: ٢٠).

«وأمام العرش سبعة مصابيح نار متقدة هي سبعة أرواح الله» (رؤ ٤: ٥).

فن كثرة هذا الترابط بين مفهومي الروح القدس والكنيسة يظهر بوضوح أنها متلازمان في فكر يوحنا اللاهوتي، وأنه هو الأصل في المبدأ الذي بلوره إيريناوس فيما بعد قائلاً: «حيثما يكون الروح القدس هناك تكون الكنيسة وحيثما تكون الكنيسة هناك يكون الروح القدس».

• • •



الروح القدس روح الوحدة:

ثانياً – عند آباء الكنيسة السابقين للقديس كيرلس الكبير

من الآباء الرسولين

١. القديس أغناطيوس (استشهد حوالي سنة ١١٠ م).

وهو من الآباء الرسولين، أي الذين عاصروا الرسل وتعلموا على أيديهم، وقد صار أسقفاً وشهيداً، ومن أهم ما تميّزه محبته الشديدة للإستشهاد، وللإفخارستيا، وللوحدة الكنسية. وبسبب هذه النقطة الأخيرة، نجده باستمرار يبحث الكنائس التي يكتب إليها على حفظ وحدانية الروح، وفي رسالته إلى كنيسة فيلادلفيا يؤكد أنه لا يقول ذلك من نفسه – أي «بشرياً» – بل إن الروح هو الذي يتكلم بواسطته و يدعو الجميع إلى الوحدة:

[الذي من أجله أنا مقيّد يشهد لي أني لا أقول ذلك بشرياً بحسب الجسد، بل إن الروح القدس هو الذي يكرز قائلاً: لا تصنعوا شيئاً بدون الأسقف... أحبوا الوحدة. إهربوا من الإنقسامات] (٤).

فالروح القدس هو أكثر من تهمه وحدة الرأي ووحدة القلب بين المؤمنين. وهذا يذكّرنا بما أظهره بولس الرسول من أن الروح يحزن على الخصوص بسبب الإنقسامات «لا تحزنوا روح الله القدوس. ليُرفع من بينكم كل مرارة وسخط وغضب وصياح» (أف ٤: ٣٠ و٣١).

من آباء الجيل الثالث

أبو التقليد الكنسي

٢. القديس إيريناوس (استشهد سنة ٢٠٠ م):

وهو أسقف ليون (بفرنسا) الشهيد، ولكن أصله من آسيا الصغرى، وقد تعلم في

(٤) إلى فيلادلفيا ٧ : ٢ .

شبابه على بوليكار بوس الذي كان تلميذاً مباشراً ليوحنا الرسول . و يُدعى أباً للتقليد الكنسي ، بسبب اهتمامه بأن يثبت أن الإيمان الذي تلقته من الآباء الرسولين هو بعينه الذي تلقنوه هم من الرسل مباشرة .

وقد كان إيريناوس (مثل أغناطيوس ومعظم آباء هذا العصر المبكر) مهتماً بنوع خاص بسر الوحدة الكنسية . وكان محور تعليمه هو أن غاية كل التدبير (تدبير ملء الأزمنة) هو أن ينجم كل شيء تحت رأس واحد (٥) في المسيح بحسب ما جاء في (أف ١ : ١٠) . وهو يرى أن الرب يحقق هذا الإنجماع الكلي في نفسه بواسطة الروح أي بأن يجعل الروح يسكن في الإنسان :

[لقد أدخل الرب في هذا الفردوس الحي (أي الكنيسة) الذين يطيعون دعوته ، وقد جمع تحت رأس واحد في نفسه كل شيء ما في السموات وما على الأرض (أف ١ : ١٠) ... فجميع هذه الأشياء قد جمعها وألفها الرب في نفسه ، وذلك بأن وَّحد بين الإنسان والروح وصار سبباً لسكنى الروح في الإنسان] (٦) .

وهو بذلك يمتد بتعليم بولس الرسول و يوحنا اللاهوتي في أن الروح هو بالأساس روح الشركة الذي يقيم الشركة بيننا وبين الله وأيضاً شركتنا مع البعض :
— شركتنا مع الله : [لقد فدانا الرب بدمه وبذل نفسه من أجل نفوسنا وجسده من أجل جسدتنا وأرسل لنا روح الأب

(٥) أف ١ : ١٠ « تدبير ملء الأزمنة أن يجمع كل شيء في المسيح » والفعل اليوناني الوارد في هذه الآية بمعنى يجمع هو ἀνακεφαλαιώ وهو مشتق من كلمة κεφάλαιον أي رأس ولذلك تصير الترجمة الدقيقة للآية هي « أن يجمع تحت رأس واحد كل شيء في المسيح » (إرجع لعدد مجلة مرقس فبراير، مارس، أبريل ١٩٧٨ ص ٧٧) .

وجدير بالذكر أن ترجمة هذا الفعل باللاتينية recapitulare مشتق من كلمة caput أي رأس وقد انتقلت هكذا إلى جميع اللغات الحديثة المشتقة من اللاتينية للتعبير عن « تجميع كل شيء تحت رأس واحد » في المسيح (بالإنجليزية recapitulation) .

(٦) ضد الهرطقات ٥ : ٢٠ : ٢ .

ليقيم الوحدة والشركة بين الله والإنسان [(٧)] .

[بعد الصعود ، بحسب ما يقول لوقا ، نزل الروح القدس بقوة على الرسل ليعطي بواسطتهم الحياة لجميع الأمم و يفتح أمامهم العهد الجديد . ولذلك فقد صار الرسل متحدين بعضهم ببعض وبدأوا ينشدون نشيداً لله في جميع اللغات ، وصار الروح يجمع في الوحدة القبائل المتفرقة (أع ٢ : ٩-١١) و يقدّم للآب باكورة الأمم . فإن الرب قد وعد أن يرسل لنا الباراقليط ليوحدنا مع الله . فكما أنه يستحيل أن تُعجن عجينة متماسكة من دقيق جاف بدون ماء ولا يمكن أبداً أن تصير خبزة واحدة ، هكذا أيضاً نحن الكثيرين لم يكن ممكناً أن نصير واحداً في المسيح يسوع بدون الماء الذي من السماء (أي الروح القدس) ... فإن أجسادنا قد نالت هذا الإتحاد لعدم الموت بواسطة المعمودية وأما نفوسنا فتتاله بواسطة الروح ... فهو العطية التي أخذها الرب من الآب وأعطاهها للملتصقين به إذ سكب روحه القدوس على الأرض كلها] (٨) .

فالروح القدس إذن هو المسئول الحقيقي عن إقامة الوحدة والشركة بيننا وبين الله وبيننا وبعضنا البعض . فهو يقوم بدور الماء الذي يوحد ذرات الدقيق لتصير عجينة واحدة وخبزة واحدة . على أن استخدام مثال الخبزة الواحدة للتعبير عن الوحدة

(٧) ضد الهرطقات ٥ : ١ : ١ .

(٨) ضد الهرطقات ٣ : ١٧ : ١ و ٢ .

الكنسية يرجع في الواقع إلى عصر بولس الرسول « فإننا نحن الكثيرين خبز واحد جسد واحد لأننا جميعنا نشترك في الخبز الواحد » (١ كو ١٠: ١٧) ثم نجده أيضاً في الديداهي (تعليم الرسل ، من تسجيلات نهاية القرن الأول) :

[كما كان هذا الخبز مبعثراً فوق التلال ثم جُمع معاً وصاروا واحداً ، هكذا اجعل كنيسةك تجتمع معاً من أقاصي الأرض إلى ملكوتك] (الديداهي فصل ٩) .

على أن الفضل يرجع إلى القديس إيريناوس في أنه أضاف الجديد إلى هذا المثال التقليدي ، إذ أنه أوضح فيه دور الروح القدس في توحيد قلوب المؤمنين وشبهه بالماء الذي ينشئ قوة التجاذب والتماسك المتبادل بين ذرات الدقيق لتصير عجينة واحدة وخبزة واحدة (٩) .

فالروح القدس إذن هو الذي يعطي الكنيسة كيانها الحقيقي ، حتى استطاع القديس إيريناوس أن يعبر عن ذلك باختصار في مبدئه المشهور :

[حيثما وُجدت الكنيسة وُجد الروح القدس ،
وحيثما وُجد الروح القدس وُجدت الكنيسة] (١٠) .

وكأنما الكنيسة في نظر إيريناوس تكون مرادفة لحلول الروح القدس ، وسبب ذلك أن الروح في جوهر كيانه هو روح شركة ، ولذلك يستحيل أن يحل على الناس إلا ويجعلهم جميعاً واحداً فيما بينهم ، كما يوحدهم أيضاً مع الله وهذا بعينه هو جوهر كيان الكنيسة .

(٩) وقد توالى كثير من الآباء بعد ذلك في استخدام مثال الخبزة للتعبير عن الوحدة الكنسية . أنظر مثلاً ما يقوله ذهبي الفم : [كما أن الخبزة تتألف متحدة من حبات كثيرة حتى أن الحب لا يتبين قط إلا أنه موجود ، وبالإنحد صار فرقه غير واضح ، هكذا يكون اتحادنا مع المسيح وأحدنا مع الآخر لأنك لا تتغذى أنت من جسد وذاك من جسد آخر بل نتغذى كلنا من الجسد الواحد نفسه] (عظة ٢٤ على ١ كو ١٠: ١٧) .

(١٠) ضد الهرطقات ٣ : ٢٤ .

من آباء الغرب

وسنقدم منهم فقط أقوال القديسين كبريانوس وأمبروسيوس:

٣. القديس كبريانوس (استشهد سنة ٢٥٨ م).

وهو أسقف قرطاجنة، وقد صار شهيداً مثل أغناطيوس وإيريناوس، ومثلها أيضاً كان مهتماً بالوحدة الكنسية بصفة خاصة، حتى أنه كتب كتاباً خاصاً بهذا الموضوع، يتساءل فيه: لماذا يظهر الروح القدس نفسه في هيئة حمامة؟ أليس لأنها رمز للسلام والوداعة التي هي من صفات الروح؟ أما ينبغي أن تشبه الكنيسة أيضاً بها؟

[لقد كان الروح القدس ينظر إلى الكنيسة الواحدة لما قال في النشيد: «واحدة هي حمايتي الكاملة الوحيدة لأمتي هي» (نش ٦: ٩)... فإن المؤمنين ليس لهم سوى بيت واحد كنيسة واحدة. ولقد كان الروح القدس ينظر إلى هذا البيت الواحد وإلى التوافق الكائن فيه لما قال في الزمور: «الله يسكن ذوي الرأي الواحد في بيت» (مز ٦٧: ٧ حسب السبعينية)، أي في بيت الله في كنيسة المسيح، حيث تسكن النفوس البسيطة المتحدة والمتوافقة معاً. ولهذا السبب يُظهر الروح القدس نفسه في هيئة حمامة، لأن الحمامة طائر بسيط مبهج وليس فيه عنف أو عداوة، فإنه لا يعتدي على أحد بأظافره ولا بمنقاره، بل يألف مساكن الناس ويُسربالبيت الواحد. إن الحمام يربي فراخه معاً ويطير بعضه متقارباً ببعضه كأسرة واحدة و يظهر محبته بالتوافق، وبالإختصار يظهر أن له وجداناً واحداً. هكذا نحن أيضاً في الكنيسة لتكون لنا هذه البساطة وهذه المحبة التي تجعلنا مثل الحمام] (١١).

فالروح القدس إذن يُظهر نفسه في هيئة حمامة لأن الحمامة هي رمز السلام، وسنرى فيما بعد القديس كيرلس الكبير يعود إلى الربط بين الروح القدس والسلام، ويقول إن الروح هو نفسه السلام، وأنه هو الذي كان يقصده الرب لما قال: «سلامي

(١١) في وحدة الكنيسة ٣ و ٥.

أنا أعطيتكم سلامي أترك لكم»، لأنه إن كان المسيح قد دُعي سلامنا (أف ٢ : ١٤) ؛ فالروح القدس الذي هو روح المسيح هو أيضاً بلا شك سلامنا، (تفسير يوحنا ١٤ : ٢٦) وسنعرض هذا القول حينما نقدم أقوال القديس كيرلس). وجدير بالذكر أن الربط بين الروح القدس والسلام يرجع أصلاً إلى القديس بولس الرسول الذي اعتبر السلام ثمرة أساسية من ثمار الروح القدس: «وأما ثمر الروح فهو محبة فرح سلام...» (غل ٥ : ٢٢).

٤ . القديس أمبروسيوس (٣٤٠—٣٩٧):

وهو أسقف ميلان. وكمثل بقية آباء نهاية القرن الرابع اهتم بالدفاع عن ألوهية الروح القدس، وقد وضع كتاباً في ذلك. وهو يرى أن الروح القدس هو الذي يوصل لنا الحياة المنسكبة من عند الله أي «الحياة الأبدية»:

[إن الروح القدس هو ينبوع الحياة الأبدية] (١٢).

[حيث يوجد الروح القدس توجد الحياة الأبدية،

وحيث تكون الحياة الأبدية فهناك يكون الروح القدس] (١٣).

والحياة الأبدية هي بالأساس الدخول في شركة مع الله. لذلك يقول أيضاً إن الروح القدس هو الذي يدخلنا في شركة مع الله:

[إننا بالروح — كما يقول معلمنا بطرس — نصير شركاء الطبيعة الإلهية] (١٤).

[هكذا يأتي الروح القدس الذي عندما يأتي يصير فيه ملء حلول الآب

والإبن] (١٥).

فالروح إذن هو الذي يحقق إتحادنا بالله.

ومن جهة أخرى هو أيضاً الذي يحقق وحدتنا بعضنا ببعض، ذلك لأنه بطبعه

واحد وغير قابل للتجزئة أو الإنقسام. وبسبب ذلك أرسله الرب على رسله ليُدخلهم في

(١٢) في الروح القدس ١٧٢ .

(١٢) في الروح القدس ١٨٠ .

(١٥) في الروح القدس ١٢٣ .

(١٤) في الروح القدس ٨٠ .

هذه الوحدة التي لا تنقسم . ففي مواضع كثيرة يكرر القديس أمبروسيوس أن الروح لا يمكن أن يتجزأ ولا أن ينقسم :

[لقد عيّن الرب رسله في جهات مختلفة لأنهم لا يستطيعون أن يكونوا جميعهم في كل مكان في وقت واحد . ولكنه أعطى الروح القدس للجميع لكي يسكب على الرسل النعمة التي لا تنقسم ولا تتجزأ وإن كانوا بأفرادهم متفرقين . فع اختلاف أفرادهم وتباينهم إلا أن العمل الذي تم بالجميع كان عملاً واحداً لأن الروح القدس واحد] (١٦) .

[ونحن لا يمكننا أن نصدق أن الروح يمكن أن يجوز عليه التقسيم أو التجزئة بسبب حلوله في الأفراد] (١٧) .

[لقد تقبل الرسل والأنبياء هذا الروح الواحد كأوان مختارة . وفي ذلك يقول معلم الأمم ورسولهم : لأننا جميعنا سُقينا روحاً واحداً . هذا الذي لا يمكن أن يتجزأ أو ينقسم] (١٨) .

من آباء كبادوكية وأنطاكية

وسنقدم أولاً أقوال الآباء الثلاثة الكبادوكيين : باسيليوس الكبير وغريغور يوس النزينزي وغريغور يوس النيسي ثم أقوال القديس يوحنا ذهبي الفم الذي كان كاهناً في أنطاكية قبل أن يُرسم بطريركاً على القسطنطينية .

٥ . القديس باسيليوس الكبير (٣٢٩-٣٧٩) :

أسقف قيصرية كبادوكية . وقد كان من أعظم المدافعين عن ألوهية الروح القدس . وقد وصفه هكذا :

[في جوهره بسيط ، في طاقته متعدد ومتنوع
موجود كله في كل واحد ، وكله موجود في كل مكان
يتوزع بدون أن يلحقه ضرر ،

(١٦) في الروح القدس ٨١ . (١٧) في الروح القدس ٩٨ . (١٨) في الروح القدس ٦١ .

نتفاسمه بدون أن يفقد كليته... [١٩].

هنا يكشف القديس باسيليوس صفة أساسية للروح القدس هي السر في قدرته على توحيد الذين يقبلونه، وهي أنه غير قابل للإنقسام بسبب جوهره الإلهي البسيط. فهو يمكن أن يتوزع على الكثيرين ولكنه لا يتغلب لكثرتهم «يتوزع بدون أن يلحقه ضرر»، بل على العكس هو الذي يتغلب على الكثرة ويحوها إلى وحدة في نفسه بسبب بساطة جوهره الإلهي.

ولهذا السبب يرى القديس باسيليوس أن الروح القدس هو روح جسد المسيح السري، الذي يحافظ على وحدة جميع الأعضاء فيه:

[إن جميع الأعضاء معاً يكونون جسد المسيح الكامل في وحدانية الروح

εν τη ενότητι του Πνεύματος فإنهم يخدمون بعضهم بعضاً بالمواهب

التي نالوها، لأن الله قد وضع الأعضاء أفراداً في الجسد كل واحد منهم كما

أراد، غير أن الأعضاء تهتم بعضها ببعض اهتماماً واحداً بحسب الشركة

الروحية ووحدة المشاعر συμπαθείας الكائنة فيهم.

لأجل ذلك «إن كان عضو واحد يتألم فجميع الأعضاء تتألم معه وإن كان

عضو واحد يُكرم فجميع الأعضاء تفرح معه» (١ كو ١٢: ٢٦).

لأنه كما توجد الأجزاء معاً داخل الكل، هكذا نكون نحن بأفرادنا في

الروح، لأننا جميعنا في جسد واحد وقد اعتمدنا لروح واحد [٢٠].

ويعلق العالم D. Amand على هذا النص قائلاً إننا يجب أن نرى فيه «الأساس

الروحي لكل ما سيقوله باسيليوس في نسكياته عن نظام الشركة والطاعة والعمل

اليدوي كعمل محبة وإنكار ذات» (٢١). فالقديس باسيليوس كان في نفس الوقت

من أكبر المدافعين عن ألوهية الروح القدس ومن أكثر الذين كتبوا عن نظام الشركة

(١٩) في الروح القدس ٩ : ٢٢ . (٢٠) في الروح القدس ٢٦ : ٦١ .

(21) D. Amand, L'ascèse monastique de saint Basile, p. 118-144, cité par J. Gribomont in D.S. art. Saint Esprit, Col. 1269.

الرهبانية . لذلك فاهتمامه بالروح القدس بصفته روح الوحدة وروح الشركة قد انعكس على نسكياته ، بالتركيز على الوحدة والوفاق التي ينبغي أن تسود في نظام الشركة .

٦ . القديس غريغور يوس الترينزي (٣٢٨-٣٨٩) :

يقيم المقارنة بين يوم الخمسين وبليلة الألسن في بابل . ويشترك معه في ذلك كثير من الآباء مثل كيرلس الأورشليمي (٢٢) وكيرلس الإسكندري (٢٣) . فيوم الخمسين يعتبر عند الآباء النقيض المباشر لما حدث عند بناء برج بابل :

[لقد كانت بليلة الألسن في القديم عملاً عظيماً لله لأنه لما اتفق الناس ذوو اللسان الواحد على بناء البرج للشر والجحود ، قد أبطل الله وحدة رأيهم الشرير بواسطة بليلة ألسنتهم ؛ فكم بالحري كثيراً جداً تكون المعجزة الحاضرة جديرة بأن نسبَّح الله عليها ، لأن الروح الواحد لما انسكب على الرجال الكثيرين قد أعادهم من جديد إلى التوافق والاتحاد] (٢٤) .

يظهر من هذا القول أن ما حدث في بابل هو الخروج من الوحدة إلى الكثرة بسبب شر الإنسان ، وأما ما حدث في يوم الخمسين فهو عودة الكثرة إلى الوحدة بسبب انسكاب روح الله .

٧ . القديس غريغور يوس النيسي (٣٣٠-٤٠٠) :

يقول في تفسير نشيد الأنشاد ما ملخصه :

[إن الروح القدس هو رباط وحدة الكنيسة] (٢٥) .

(٢٢) عظة ١٧ : ٧ .

(٢٣) جلاير على الشكويين . P G 69, 80 . وستورد هذا التفسير في موضعه عند عرض أقوال القديس كيرلس الكبير .

(٢٤) عظة ٤١ على عيد الخمسين .

P.G. 44, 1116-1117

(٢٥) عظة ١٥ في تفسير نشيد الأنشاد

Cited by V.I. Lossky, *Théologie Mystique de l'Eglise d'Orient*, 1944, p. 164.

٨ . القديس يوحنا ذهبي الفم (٣٤٧-٤٠٧):

[«وجميعنا بروح واحد اعتمدنا إلى جسد واحد يهوداً كنا أم يونانيين عبيداً أم أحرار، وجميعنا سُقينا روحاً واحداً». إن المعنى الذي يقصده هو هذا: إن الذي وَلَدَنَا من جديد وجعلنا نصير جسداً واحداً إنما هو الروح الواحد... فإن كان الروح الواحد هو الذي أعاد تشكيلنا وهو الذي جمعنا جميعاً معاً لنصير جسداً واحداً - لأن هذا هو المقصود من قوله أننا جميعنا اعتمدنا إلى جسد واحد - وهو الذي هيا لنا مائدة واحدة وشراباً واحداً - لأن هذا هو معنى قوله وجميعنا سُقينا روحاً واحداً - وهو الذي وُحِدَ الأفراد المختلفين بمثل هذا المقدار، أقول إن كان الكثيرون قد صاروا جسداً واحداً لما جعلهم الروح واحداً، فما بالك باستمرار تبحث عن الفرق بينهم؟! » [٢٦].

ومن أورشلیم

٩ . القديس كيرلس الأورشليمي (٣١٥-٣٨٦):

إن عمل الروح القدس الأساسي في الكنيسة بصفته روح الشركة هو أن يجمع جميع المؤمنين ويحشهم على الوحدة والتوافق إلى درجة المشاركة في كل شيء. لذلك فأكثر ما يحزنه ويغضبه ويجعله يجازي إنما هو الإنعزالية والإنفرادية كما ظهر في قصة حنانيا وسفيرة:

[لقد كانت نعمة الروح القدس العاملة في الذين آمنوا بواسطة الإثني عشر رسولاً عظيمة بهذا المقدار حتى أنه « كان لجمهور الذين آمنوا قلب واحد ونفس واحدة، ولم يكن أحد يقول إن شيئاً من أمواله له بل كان عندهم كل شيء مشتركاً » (أع ٤ : ٣٢)، حتى أن الذين كانوا أصحاب أملاك كانوا يقدمون ثمنها ولم يكن أحد محتاجاً لشيء. أما الذين حاولوا مثل حنانيا وسفيرة أن يكذبوا على الروح القدس فقد نالوا جزاءهم الحق » [٢٧].

(٢٦) عظة ٣٠ على ١ كو ١٢ : ١٣ .

(٢٧) عظة ١٧ . والعظتان ١٦ و ١٧ بها معاني قوية كثيرة عن الروح القدس ونأمل أن يقوم أحد بترجمتها

إلى العربية .

من آباء الإسكندرية

سنقدم منهم أقوال القديسين أثناسيوس الرسولي وكيرلس الكبير.

١٠ . القديس أثناسيوس الرسولي (٢٩٨-٣٧٣):

القديس أثناسيوس هو صاحب المبدأ المشهور في أن غاية الله من التجسد هي أن يحقق للإنسان الإتحاد بالله $\theta\epsilon\omega\sigma\iota\varsigma$

[لقد صار الكلمة جسداً لكي نصير نحن متحدين بالله] (٢٨).

أما بخصوص الروح القدس وعلاقته بالإنسان فيتلخص تعليمه في النقطتين التاليتين:

١ - إن الروح القدس هو الذي يحقق لنا هذا الإتحاد بالله (٢٩).

٢ - إن النتيجة الحتمية لإتحادنا بالله بواسطة الروح القدس هي أن نصير جميعاً واحداً في الله بفعل الروح.

و يُلخّص هاتين النقطتين معاً في عبارة قوية مختصرة يمكن اعتبارها عنواناً لتعليمه بخصوص الروح القدس وعلاقته بالإنسان:

[إننا بالروح نصير في الله،

وبالتالي نصير متحدين بعضنا مع بعض في الله] (٣٠).

(٢٨) حرفياً: لكي نتأله . $\theta\epsilon\omega\pi\omega\iota\eta\theta\omega\mu\epsilon\nu$ - تجسد الكلمة ٥٤ : ٣ .

وإن كنا نجد عند إيريناوس البوادر الأولى للتعبير عن هذا المبدأ مثل قوله [كلمة الله من أجل حبه الفائق صار على حالنا لكي يجعلنا على حاله] (ضد الهرطقات ٥ المقدمة).

ولكن أثناسيوس هو بلا شك أول من عبّر عنه بوضوح وشرحه من الوجهة اللاهوتية ولم يكف عن تكراره في كل مناسبة (أنظر المقالة الأولى ضد الأريوسيين ٣٨ و ٣٩ والمقالة الثانية ٧٠ والمقالة الثالثة ٣٤ و ٣٩ والرسالة ٦٠ : ٤ والدفاع عن قانون نيقية ١٤).

(٢٩) ولذلك يعتبر في اختصار بديع أن غاية التجسد هي أن نتال الروح القدس الذي يحقق لنا الإتحاد بالله : [لقد صار الكلمة جسداً... لكي نتال شركة روحه القدوس ونصير بذلك متحدين بالله (حرفياً: نتأله)] (الدفاع عن قانون نيقية ١٤).

(٣٠) انظر القول ٣٦ .

أولاً: إننا بالروح نصير في الله:

[هذا ما يكتبه يوحنا: «بهذا نعرف أننا نثبت فيه وهو فينا أنه قد أعطانا من روحه» (١ يوحنا: ١٣).

إذن فنحن نصير فيه وهو فينا بواسطة نعمة الروح المعطاة لنا، فلأن الروح هو روح الله فبمجرد أن يحل فينا نحن نعتقد بحق أننا باقتنائنا الروح نكون في الله والله أيضاً يكون فينا... فبدون الروح نحن نكون غرباء عن الله وبعيدين عنه. فنحن بشركة الروح القدس فقط نصير ذوي قرني باللاهوت حتى أن وجودنا في الآب أمر لا يخصنا نحن بل يخص الروح الكائن فينا والماكت داخلنا] (٣١).

[إننا بالإشتراك في الروح القدس نصبح شركاء الطبيعة الإلهية... لأن الذين فيهم الروح القدس تصبح لهم (شركة) الطبيعة الإلهية على هذا الأساس] (٣٢).

[فعندما يكون الروح القدس فينا، يكون فينا أيضاً الكلمة الذي يمنح الروح القدس، والآب الذي هو في الكلمة، وهذا يتفق مع ما قيل: «إليه نأتى أنا وأبي وعنده نصنع منزلاً»] (٣٣).

[عندما يعطى لنا الروح القدس يصبح الله فينا لأن يوحنا الرسول كتب: «إن أحب بعضنا بعضاً فالله يثبت فينا، بهذا نعرف أننا نثبت فيه وهو فينا أنه قد أعطانا من روحه» (١ يوحنا: ١٣)] (٣٤).

[فقد رفع الخليفة كلها في الروح إذ منحها الإتحاد بالله والتبني وبذلك صار يقودها نحو الآب] (٣٥).

(٣١) المقالة الثالثة ضد الأريوسيين ٢٤ .

(٣٢) إلى سيرايبون ١ : ٢٤ .

(٣٣) إلى سيرايبون ١ : ٣٠ .

(٣٤) إلى سيرايبون ١ : ١٩ .

إلى سيرايبون ١ : ٢٥ .

θεολογῶν δὲ καὶ υἱοποιῶν

(٣٥) حرفياً: إذ جعلها إلهاً وجعلها إنناً

ثانياً: إننا بالروح نصير متحدين بعضنا مع بعض في الله:
 [التخلص يقول: « كما أنك أنت أيها الآب فيّ وأنا فيك ليكونوا هم أيضاً
 واحداً فينا» (يو ١٧: ٢١). وهو بذلك لا يقصد أننا يمكن أن نصير مساوين
 له، ولكنه يطلب من الآب أن يعطي الروح بواسطته للمؤمنين كما كتب
 يوحنا (يو ٧: ٣٧-٣٩). فإننا بالروح نصير في الله وبالتالي نصير متحدين
 بعضنا مع بعض في الله] (٣٦).

[إعمل فيهم أيها الآب،
 وكما أعطيتني أن ألبس هذا الجسد،
 أنعم عليهم بروحك،
 حتى أنهم هم أيضاً في هذا الروح يصيرون واحداً
 ويكونون مكتملين فيّ] (٣٧).

[الكلمة في الآب. والروح يُعطى من الكلمة.
 ولذلك فهو يريدنا أن نقبل الروح،
 حتى إذا ما قبلناه، نفتني في نفوسنا روح الكلمة الذي في الآب
 وبالتالي بسبب هذا الروح نصير واحداً
 في الكلمة وبه في الآب] (٣٨).
 [فالروح إذن هو الذي يكون في الله، وليس نحن، من حيث ذاتيتنا
 فكما أننا نكون أبناءً وآلهة بسبب الكلمة الذي فينا،
 هكذا أيضاً بسبب الروح الذي فينا

(٣٦) المقالة الثالثة ضد الأريوسيين ٢٥. ومع أن صلاة المسيح في يو ١٧ لم يُذكر فيها الروح القدس إلا أننا
 نحمد كثيراً من الآباء يعتبر أن الرب كان يطلب فيها حلول الروح القدس علينا لأن الروح وحده قادر أن
 يوحدنا مع الله وبعضنا مع بعض في الله. وسنرى مثلاً القديس كيرلس في تفسيره يو ١٧: ٢٠ و٢١ يسلك
 نفس هذا المنهج التقليدي ويرى أن الرب بهذه الصلاة كان يطلب لنا الروح.

(٣٧) المقالة الثالثة ضد الأريوسيين ٢٣.

(٣٨ و ٣٩) المقالة الثالثة ضد الأريوسيين ٢٥.

نصير في الإبن وفي الآب،
ونصير واحداً في الإبن وفي الآب،
لأن الروح الذي فينا هو الذي في الكلمة الذي في الآب [٣٩].

لم تكن هذه مجرد تأملات للقديس أثناسيوس، بل كانت حقيقة يعيشها وتملاً
كيانه، حقيقة الروح الذي يملأ الكنيسة ويجعلها واحدة في الإبن وفي الآب عبر
القارات والمحيطات.

[لقد كنت مشتاقاً أن أمضي معكم العيد بدون اعتبار المسافة التي بيننا. فعلى
الرغم من أن المكان يفصلنا لكن الرب... الذي هو واهب الروح هو يجمعنا
معاً في الفكر الواحد والتوافق ورباط السلام. لأننا حيناً نفتكر فكرياً
واحداً ونرفع صلواتنا بعضنا من أجل بعض لا يمكن لمكان ما أن يفصلنا ولكن
الرب يجمعنا ويوحدنا بعضنا ببعض] (٤٠).

هذه هي الحقيقة التي كان يعيشها القديس أثناسيوس وهو في منفاه بعيداً عن
كنيسته وعن كل أحبائه: «الرب الذي هو واهب الروح هو يجمعنا معاً... يجمعنا
ويوحدنا بعضنا ببعض».



(٤٠) رسالة فصحية ١٠ : ٢ .

الروح القدس روح الوحدة:

ثالثاً - في لاهوت القديس كيرلس الكبير

يعتبر القديس كيرلس الكبير لدى علماء اللاهوت الآبائي أفضل من عبّر عن عقيدة الكنيسة كجسد سري للمسيح ، حتى يشهد له كل من العالمين ميرثس ودي مانوار « إنه ارتقى بهذه العقيدة إلى أعلى درجة من الكمال وصلت إليه في الكنيسة الشرقية » (٤١).

ومن جهة أخرى يُعتبر أيضاً أنه برع أكثر من جميع الذين سبقوه في التعبير عن عمل الروح القدس في تقديس النفوس (٤٢).

فبسبب تفوقه في شرح واستيضاح هاتين الحقيقتين (أي الكنيسة جسد المسيح وعمل الروح القدس فينا) (٤٣) ، نتوقع أن نجد لديه أيضاً أكثر مما وجدنا عند الآباء السابقين له تعليماً وافياً بخصوص دور الروح القدس في توحيد الجسد الإلهي في تكوين الكنيسة .

ولأن الكنيسة في جوهر كيانها تقوم على أساس اتحاد المؤمنين بالله واتحادهم بعضهم ببعض في الله ، لذلك سنتتبع في لاهوت القديس كيرلس عمل الروح القدس في هاتين الناحيتين اللتين عليهما تقوم الكنيسة :
- دور الروح القدس في اتحادنا بالله .

(٤١) على أن من يجاريه في ذلك في الكنيسة الغربية هو أغسطينوس .

E. MERSCH, The Whole Christ, p. 337.

أنظر:

H. DU MANOIR, Dogme et Spiritualité chez S. Cyrille, p. 313

(42) J. MAHÉ, La Sanctification d'après S. Cyrille, RHE, x (1909), p. 31.

(٤٣) وقد سبق أن قدمت مجلة مرقس تعليم القديس كيرلس في كل من هذين الموضوعين على حدة:

- « الكنيسة جسد المسيح » (ديسمبر ١٩٧٦ - يناير ومارس ١٩٧٧).

- « كيف يتم تقديس النفس بالروح القدس » (يوليو ١٩٧٧).

ولكن الذي يهنا الآن هو علاقة الموضوعين ببعض أي دور الروح القدس في الجسد الإلهي .

— دور الروح القدس في اتحادنا بعضنا ببعض .

[بسبب شركتنا في الروح القدس ، صرنا متحدين بالمسيح نفسه مخلص الجميع ، كما صرنا أيضاً متحدين بعضنا ببعض] (٤٤).
[المسيح هو سلامنا لأنه يجمعنا معاً إلى الإتحاد بعضنا ببعض بنفس واحدة ، كما أيضاً إلى الإتحاد مع الله بواسطة نفسه في الروح] (٤٥).

١ — دور الروح القدس في إتحادنا بالله

أ — الروح القدس يجعل المسيح يحل في قلوبنا :

يقول القديس كيرلس في إختصار:

[المسيح يكون فينا بواسطة الروح] (أنظر قول ٤٨).

فالرب قد أوضح في خطابه الأخير عن الباراقليط شدة الارتباط بين مجيء الروح القدس وبين حلول الرب سرّاً في قلوب المؤمنين . فبعد أن قال : « أنا أطلب من الآب فيعطيكُم معزياً آخر » أضاف قائلاً : « لا أترككم يتامى إني آتى إليكم » ، الذي يحبني ... أظهر له ذاتي ... وإليه نأتى وعنده نصنع منزلاً » (يوحنا : ١٦ : ٢٣) مشيراً بذلك إلى حلوله السري في القلب ، الذي يتحقق بمجيء الروح القدس .

[بواسطة الروح القدس ، نفتني ربنا يسوع المسيح ساكناً ومتداخلاً فينا] (٤٦).

وهذه هي الحقيقة التي استشعرها القديس بولس الرسول ، فعبر عنها قائلاً إنه يصلي « لكي تتأيدوا بالقوة بروحه في الإنسان الباطن ، ليحل المسيح بالإيمان في قلوبكم » (أف : ٣ : ١٧).

و يعبر القديس كيرلس عن نفس هذه الحقيقة قائلاً :

P.G 76, 193

(٤٤) ضد نسطور ٤

P.G. 68, 972

(٤٥) العبادة بالروح والحق ١٥

P.G. 74, 925 C

(٤٦) تفسير ٢ كو ١٥ : ٢

[حينما يحمل الروح القدس في إنساننا الداخلي ، يُقال أن المسيح نفسه يسكن فينا ، وهذا يكون بالفعل] (٤٧).

[المسيح يقول : « أنتم فيّ وأنا فيكم ، لأنني أنا أظهرت نفسي إنساناً ، وإياكم جعلتُ شركاءً لطبيعتي الإلهية بجعل روحي ساكناً فيكم » فإن المسيح يكون فينا بواسطة الروح] (٤٨).

فالروح القدس هو الذي يحقق لنا وعد الرب بأن يكون معنا كل الأيام وإلى انقضاء الدهر:

[لقد وعد الرب تلاميذه أن يكون معهم كل الأيام وإلى انقضاء الدهر. فع أنه قد مضى عنا بالجسد ، إذ قد أظهر نفسه للآب من أجلنا وجلس عن يمينه ؛ غير أنه مع ذلك بواسطة الروح القدس يحمل ويسكن في قلوب الذين يستحقونه] (٤٩).

إذن فوسيلتنا الوحيدة لقبول المسيح داخلنا هي أن نفتح أكثر ل حلول الروح القدس فينا. وهذه الحقيقة يعبر عنها الأب متى المسكين: [بقدر الملء من الروح القدس بقدر الملء من المسيح ، لأنه كلما أفسحنا للروح القدس مكاناً في القلب والحياة ، كلما أفسح الروح القدس فينا مكاناً للمسيح !!] (٥٠).

ب - الروح القدس ينقل إلينا علاقة المسيح بالآب (٥١):
حينما يعطينا الروح القدس حلولاً سرّياً للمسيح داخل القلب ، فهو بذلك يورثنا كل مشاعر المسيح تجاه أبيه السماوي ، بكل عمقها الروحي . وهذه الحقيقة هي التي عبر عنها بولس الرسول قائلاً :

(٤٧) تفسير يوحنا ١: ٣٣ P.G. 73, 212 (٤٨) تفسير يوحنا ١٤: ٢٠ P.G. 74, 280
(٤٩) تفسير يوحنا ١٦: ١٦ P.G. 74, 453 (٥٠) الروح القدس وعمله داخل النفس ، ص ٦٥/٢٥.
(٥١) ليس المقصود بذلك العلاقة الطبيعية الجوهرية الأزلية التي تربط الإبن الوحيد جوهرياً بالآب ، ولكن علاقة المسيح في وضعه المتجسد على الأرض بحسب التدبير، أي كل ما قدمه المسيح في حياته على الأرض من عبة كاملة وخضوع مطلق للآب السماوي .

« ثم بما أنكم أبناء أرسل الله روح إبنيه إلى قلوبكم صارخاً يا أبا الآب »
(غل ٤: ٦).

ويعبّر الأب متى المسكين عن هذا المبدأ قائلاً: [إن الروح القدس يورثنا علاقة الآب بالإبن بصورة حية وفعالة في الضمير وفي العقل ، بأثر قوي أعظم مما تركه النار في اللحم . حتى أننا نصرخ بملء اليقين والجدالة وندعو الله الآب بفم المسيح « يا أبا الآب »] (٥٢).

وفي ذلك يقول القديس كيرلس :

[حينما يحل ويسكن فينا كلمة الله بواسطة الروح ، فنحن نرتقي إلى كرامة التبني ، لأننا نفتني حينئذ في نفوسنا الإبن نفسه ، الذي إلى شكله أيضاً تغيرنا ، بواسطة شركة روحه الخاص . وحينما نرتقي إلى مستوى الجدالة المكافئة لجدالة الإبن نجمر أن نقول يا أبا الآب] (٥٣).

[كان ينبغي أن يصعد إلى أبيه ، حتى يحل بالروح القدس في وسط الذين يعبدونه ، ويأتي بالإيمان إلى قلوبنا ، حتى أننا إذ نفتنيه داخلنا نصرخ بجدالة « يا أبا الآب »] (٥٤).

على أن هذه الصلاة « يا أبا الآب » التي ينقلها روح المسيح إلى قلوبنا ، هي بعينها التي نطق بها الرب في جثيماني :
« يا أبا الآب ... ليكن لا ما أريد أنا بل ما تريد أنت » (مر ١٤ : ٣٦).

إذن فحينما ينقل إلينا الروح القدس صلاة المسيح قائلاً : « يا أبا الآب » ، فهو في الواقع ينقل إلينا أكثر ما اعتز به المسيح أثناء حياته على الأرض ، أي خضوعه الكامل لمشيئة الآب :

(٥٢) الروح القدس وعمله داخل النفس ، ص ٦٣/٢٣ . (٥٣) الكنز في الثالث ٣٣ P.G. 75, 569 D

(٥٤) تفسير يوبو ١٦ : ٧ P.G. 74, 433

« قد نزلت من السماء ليس لأعمل مشيئتي بل مشيئة الذي أرسلني »
(يو: ٦: ٣٨).

« طعامي أن أعمل مشيئة الذي أرسلني وأتمم عمله » (يو: ٤: ٣٤).
« لهذا يحبني الآب لأني أضع نفسي لأخذها أيضاً. هذه الوصية قبلتها من أبي »
(يو: ١٧ و ١٨).

« إني في كل حين أفعل ما يرضيه » (يو: ٨: ٢٩).
« هاأنذا أجيء لأفعل مشيئتكم يا الله » (عب ١٠: ٩).

كل هذا هو المضمون الروحي المذخر في صلاة المسيح قائلاً : « يا أبا الآب » ،
لذلك يكمل القديس كيرلس المعنى قائلاً إن الروح القدس يجعلنا نخضع لمشيئة الآب
ونريد ما يريد هو :

[بواسطة روح المسيح يصالح الإبن الكل مع الله أبيه ، إذ يجعلهم يريدون
الأشياء التي له ، ويرغبون أن يفكروا ويعملوا الذي له ...] (٥٥).

والجدير بالملاحظة هنا أن هذه كلها لم تكن مجرد تأملات نظرية للقديس
كيرلس ، بل قد كان هو نفسه على المستوى العملي مستعداً أن يخضع لمشيئة الآب إلى
درجة تقبل الآلام والإهانات حتى إلى درجة الموت أيضاً . إسمعه يقول بالفاظ تذكرنا
بكلمات القديس أغناطيوس الشهيد :

[وأما أنا فشهوتي العظمى هي أن أجاهد وأعيش وأموت من أجل الإيمان
بالمسيح .

فإني لست أحتسب لأية إهانة ولا لأي تعيير ولا لأية إساءة . فقد عازمت
أن أتحمّل كل تعب من أجل الإيمان بالمسيح ، وأتقبل كل ألم حتى أشنع
العذابات وأقساها إلى أن يلحقني الموت أيضاً ، الذي لهذا السبب سوف
يصير لي موتاً مفرحاً !

فإن كنا نخشى أن نجاهر بالحق لمجد الله خوفاً من المتاعب التي تصيبنا من

ذلك ، فكيف نستطيع أن نشيد في اجتماعاتنا بجهادات الشهداء القديسين وانتصاراتهم ، خاصة وأنا فمدحهم بالذات لأنهم حفظوا الكلمة القائلة : « جاهد عن الحق حتى الموت » (جا ٤ : ٢٨) [٥٦].

ج - الروح القدس بصالحنا مع الله الآب :

لقد سمعنا القديس كيرلس يقول :

[بواسطة روح المسيح ، يصالح الإبن الكل مع أبيه] (قول ٥٥).

وفي موضع آخر يكرر نفس المعنى قائلاً :

[إن مصالحتنا مع الله لم يكن ممكناً أن تتم بواسطة المسيح مخلصنا إلا بواسطة الروح القدس وتقديس النفس به] [٥٧].

فالروح القدس هو روح المصالحة مع الله ، ذلك لأنه بحسب تعبير العهد القديم « روح الإحراق » (إش ٤ : ٤) الذي به تُغسل أقدارنا ويتقى دمنا ، وبحسب تعبير العهد الجديد روح الإغتسال والتقديس والتبرير : « لكن اغتسلتم بل تقدستم بل تبررتم باسم الرب يسوع وبروح إلهنا » (١ كور ٦ : ١١).

د - الروح القدس يعطينا نوعاً من القرابة الروحية مع الله الآب :

من صفات الروح القدس الأساسية أنه قادر أن يجمع المتناقضات ويجعلها تنسجم وتتوافق وتتآلف معاً . فهذه القدرة استطاع أن يجعل على العذراء ، ويجمع في أحشائها الطبيعة البشرية مع الطبيعة الإلهية في إتحاد كامل ، على الرغم من المسافة اللانهائية التي كانت تفصل بينهما . وبطريقة مشابهة حينما يعطينا المسيح الروح القدس فهو يقصد أن يُدخلنا إلى نوع من القرابة والتآلف والإنسجام معه ومع أبيه الصالح :

[كل من يعرف المسيح ويتمسك بكلمة الحق الإلهي عديمة الغش وكأنه

P.G. 77, 62-78

(٥٦) الرسالة التاسعة والعاشر

P.G. 74, 544-545

(٥٧) تفسير يوز ١٧ : ١٨ و ١٩

يتمخض بها ، فالمسيح يحل و يسكن فيه ويحتد به بفعل الروح القدس إلى نوع من القرابة الروحية مع الله أبيه بواسطة نفسه [(٥٨)] .

[فكما أن أصل الكرمة يمد الأغصان بامتيازاته وصفاته الطبيعية ، هكذا أيضاً الإبن الوحيد كلمة الله يمنح القديسين نوعاً من القرابة والإنسجام مع طبيعته الخاصة ، التي هي أيضاً طبيعة الآب ، وذلك بإعطائهم الروح القدس] (٥٩) .

وجدير بالملاحظة أن القديس كيرلس بذلك لا يبتدع شيئاً جديداً بل يكرر ويمتد بما وجدناه من قبل عند سلفه القديس أثناسيوس :

[نحن بشركة الروح القدس فقط نصير ذوي قرى باللاهوت] (أنظر قول ٣١) .

هـ - الروح القدس يجعل الآب أيضاً يحل فينا :

الثالوث غير منفصل . فبمجرد أن يحل فينا الروح القدس يكون فينا معه الإبن والآب أيضاً . وهذا المبدأ قد سبق أن شرحه الآباء السابقون للقديس كيرلس . فقد رأينا مثلاً القديس أمبروسيوس يقول :

[هكذا يأتي الروح القدس الذي عندما يأتي يصير فيه ملء حلول الآب والإبن] (قول ١٥) .

وكذلك القديس أثناسيوس :

[عندها يكون الروح القدس فينا يكون فينا أيضاً الكلمة الذي يمنح الروح القدس ، والآب الذي هو في الكلمة] (قول ٣٣) .

والقديس كيرلس يكرر نفس هذا المبدأ الآبائي و يشرحه ويمتد به قائلاً :

[الذي يقبل الروح القدس الذي هو صورة الإبن ،

فهو يقبل به الإبن وبذلك يقبل الآب أيضاً الذي في الإبن] (٦٠) .

P.G. 74, 332-333

(٥٩) تفسير يو ١٥ : ١

P.G. 74, 577

(٥٨) تفسير يو ١٧ : ٢٦

P.G. 75, 572

(٦٠) الكزافي الثالث ٣٣

[إنه يقول : « إليه نأتى أنا وأبي وعنده نصنع منزلاً » ، لأنه حينما يحل فينا المسيح مخلصنا بواسطة الروح القدس ، فمن المؤكد أن الآب الذي ولده يكون أيضاً معه فينا ، لأن روح المسيح هو أيضاً روح الآب نفسه] (٦١) .

[إن قبلنا الروح القدس نصير شركاء الطبيعة الإلهية ، فإننا نقبل الآب نفسه في قلوبنا من خلال الإبن وفي الإبن ، ولذلك كتب الحكيم يوحنا « بهذا نعلم أننا نثبت فيه وهو فينا ، أنه قد أعطانا من روحه » (١ يوحنا : ١٣)] (٦٢) .

و- الروح القدس يُدخلنا إلى شركة الطبيعة الإلهية :

الروح القدس هو أقنوم الشركة في الثالوث .
هو « روح الشركة » بحسب تعبير بولس الرسول :
« وشركة الروح القدس مع جميعكم » (٢ كورنثوس : ١٣ : ١٤) .
« إن كانت شركة ما في الروح » (في ٢ : ١) .

لذلك فهو الوسيلة الوحيدة للدخول إلى شركة حقيقية مع الله .
وقد ربط الآباء بين ما كشفه بولس الرسول من أن الروح القدس هو أساساً روح شركة ، وبين ما أوضحه بطرس الرسول من أننا مدعوون أن نصير « شركاء الطبيعة الإلهية » (٢ بط ١ : ٤) ، واستنتجوا من هذا الربط أن الروح القدس هو الذي يُدخلنا إلى شركة الطبيعة الإلهية . وقد وجدنا القديس أمبروسيوس يقول بهذا المعنى : [إننا بالروح — كما يقول معلمنا بطرس — نصير شركاء الطبيعة الإلهية] (قول ١٤) .
وكذلك القديس أثناسيوس : [إننا بالإشتراك في الروح القدس نصبح شركاء الطبيعة الإلهية ... لأن الذين فيهم الروح القدس تصبح فيهم الطبيعة الإلهية على هذا الأساس] (قول ٣٢) .

(٦١) تفسير يوحنا ١٤ : ٢٣ P.G. 74, 292 (٦٢) تفسير يوحنا ١٧ : ١٨ و١٩ P.G. 74, 544-545

وجدير بنا أن نلاحظ شدة المشابهة بين هذه الأقوال وبين أقوال القديس أثناسيوس في نفس الموضوع ، وذلك حتى في انتقاء نفس الآيات التي يستشهد بها للتدليل على هذه الحقيقة (يوحنا ١ : ٢٣ و١ يوحنا : ١٣ — انظر استشهاد أثناسيوس بها في أقوال ٣١ و٣٣ و٣٤) . فيظهر من ذلك شدة اتصال التقليد بين الآباء عبر الأجيال .

والقدّيس كيرلس يكرّر هذا المبدأ ويزيده توكيداً :

[لا يستطيع أحد أن يصير شريكاً لطبيعة الإله الحق ، إلا بواسطة الروح القدس] (٦٣).

[فإننا نرتقي إلى شركة الطبيعة الإلهية ، بواسطة المشاركة في الروح القدس] (٦٤).

[كان يلزم أن نصير شركاءً لطبيعة اللوغوس الإلهية ... ولكن كان من المستحيل أن نصل إلى هذا الأمر بواسطة أخرى غير المشاركة في الروح القدس] (٦٥).

[إن الكتب المقدسة ، أنفاس الله ، تعلّم بوضوح أنه لن تكون لنا شركة مع الله إلا بواسطة الروح القدس . فإن ربنا يسوع المسيح قال بخصوص كل إنسان مؤمن وصالح : « وإليه نأتى أنا وأبي وعنده نصنع منزلاً » (يوحنا : ١٤ : ٢٣) ثم قيل أيضاً : « بهذا نعرف أنه يثبت فينا من الروح الذي أعطانا » (يوحنا : ٣ : ٢٤)] (٦٦).

[إن مصالحتنا مع الله لم يكن ممكناً أن تتم بواسطة المسيح مخلصنا ، إلا بواسطة شركة الروح القدس وتقديس النفس به ، لأن الذي يربطنا ويوحدنا ، بنوع ما ، مع الله إنما هو الروح القدس ، الذي إن قبلناه نصير شركاء الطبيعة الإلهية ، ونقبل الآب نفسه في قلوبنا من خلال الإبن وفي الإبن . ولذلك كتب الحكيم يوحنا بخصوصه : « بهذا نعلم أننا نثبت فيه وهو فينا أنه أعطانا من روحه » (يوحنا : ١٣ : ١٣) ...

فلو لم تكن لنا شركة الروح القدس ، لما استطعنا أبداً أن نعرف أن الله فينا ...] (٦٧).

P.G. 74, 185 (٦٤) تفسير يوحنا ١٤ : ٤

P.G. 74, 292

(٦٣) تفسير يوحنا ١٤ : ٢٣

P.G. 75, 1092 (٦٦) في الثالث ٧

P.G. 74, 433

(٦٥) تفسير يوحنا ١٦ : ٧

P.G. 74, 544-545

(٦٧) تفسير يوحنا ١٧ : ١٨ و ١٩

ز- الروح القدس يوصلنا إلى الإتحاد بالله :

Ἐνωσις ἡ πρὸς θεόν

[لم يكن ممكناً أن يصل أحد إلى الإتحاد بالله

إلا بواسطة المشاركة في الروح القدس ، الذي يغرس فينا قداسه الخاصة
و يعيد تشكيل طبيعتنا الساقطة تحت الفساد إلى شكل حياته الخاصة] (٦٨).
[فالذي يربطنا ويوحدنا ، بنوع ما ، مع الله إنما هو الروح القدس] (أنظر
قول ٦٧).

[الذي يوحدنا بالمسيح مخلصنا هو الروح القدس] (٦٩).

فهذا الإتحاد بالله ἔνωσις ἡ πρὸς θεόν ، الذي يوصلنا إليه الروح
القدس هو أكرم جميع الخيرات التي أنعم بها الله للبشرية في المسيح وفي الروح القدس .
لذلك يدعو القديس كيرلس « كمال جميع الخيرات » :
[إن كمال جميع الخيرات هو أن يسكن الله فينا بواسطة الروح
القدس] (٧٠).

وهذا التعبير لا يقل في قوته وفي إحكامه وفي وضوحه عن تعبير القديس الروسي
ساروفيم ساروفسكي الذي سيلخص به فيما بعد في القرن الثامن عشر جميع التقليد
الروحي الآبائي السابق له قائلاً : [إن غاية الحياة الروحية كلها هي اقتناء الروح
القدس] .

+ + +

(٦٨) تفسير يو ١٧ : ٢٠ و ٢١ P.G. 74, 553

(٦٩) تفسير يو ١٥ : ١ P.G. 74, 332

(٧٠) تفسير يو ١٤ : ٢٧ P.G. 74, 308

٢ - دور الروح القدس في اتحادنا بعضنا ببعض

أ - الروح القدس يوحدنا بعضنا ببعض
لأنه « واحد وغير قابل للإنقسام »:

[أما بخصوص الوحدة في الروح ، فنقول إننا جميعاً قد قبلنا الروح الواحد بعينه ، أقصد الروح القدس ، ومن ثم فقد امتزجنا - بنوع ما - بعضنا ببعض بل ومع الله أيضاً . فإن المسيح - على الرغم من أننا كثيرون - يجعل روحه الخاص الذي هو روح الأب أيضاً يسكن في كل واحد منا على انفراد ، غير أن الروح واحد وغير قابل للإنقسام *εν ἑστὶ καὶ ἀμέριστος* . لذلك فهو يجمع الأرواح المنفصلة بعضها عن بعض بسبب كيانها الذاتي ، يجمعها إلى الإتحاد بواسطة نفسه ، ويظهرها جميعاً وكأنها قد صارت فيه كياناً واحداً] (٧١).

هنا يُظهر القديس كيرلس أن قدرة الروح القدس على توحيدنا بعضنا ببعض حينما يحل فينا ، ترجع في الواقع إلى وحدته الجوهرية كجوهر إلهي بسيط غير قابل للإنقسام مهما توزع على الكثيرين .

وقد قابلنا هذا المعنى عند كل من القديسين باسيليوس وأمبروسيو فالأول يقول إن الروح [في جوهره بسيط ... نتقاسمه بدون أن يفقد كليته] (قول ١٩) ، بينما يكرر الثاني في ثلاثة مواضع أن الروح لا يمكن أن يتجزأ أو ينقسم [جميعنا سُقينا روحاً واحداً هذا الذي لا يمكن أن يتجزأ أو ينقسم] (أنظر أقوال ١٦ و ١٧ و ١٨) . فالصفة الأساسية للجوهر الإلهي هي أنه واحد بطبعه وغير قابل للإنقسام ، لذلك فحينما يحل فينا فهو يجعلنا بالضرورة واحداً فيه .

(٧١) تفسير يو ١٧ : ٢٠ P.G. 74, 561

والقديس كيرلس يرى أن الجوهر الإلهي يحل فينا بوسيلتين أساسيتين هما : الروح القدس والإفخارستيا . لذلك فهو يعتبرهما أيضاً الوسيلتين الأساسيتين لتوحيدنا ببعضنا ببعض :

ب - مقارنة بين دور كل من الروح القدس والإفخارستيا في توحيدنا بعضنا ببعض :

[فكما أن قوة الجسد المقدس تجعل الذين يحل فيهم جسداً واحداً *συσσώμους* ، كذلك أعتقد بنفس الطريقة أن روح الله الواحد حينما يحل في الجميع وهو غير قابل للإنقسام *ἀμέριστον* فهو يجمع الجميع إلى الوحدة الروحية *πρὸς ἐνότητα τὴν πνευματικὴν*

ولذلك أيضاً يناشدنا بولس الملهم من الله قائلاً :

« محتملين بعضكم بعضاً في المحبة مسرعين إلى حفظ وحدانية الروح برباط السلام . جسد واحد وروح واحد » [(٧٢)] .

[مع كوننا متميزين بوضوح بعضنا عن بعض بحيث أن لكل واحد منا شخصيته الخاصة التي ينفرد بها ، حتى أن الواحد يكون بطرس والآخر يوحنا أو توما أو متى ، لكننا صرنا جسداً واحداً في المسيح لأننا نفتدى من الجسد الواحد ، وكذلك خُتمنا للوحدة بواسطة الروح القدس الواحد ... فانظر إذن كيف صرنا واحداً بالجسد وبالروح في المسيح وفي الروح القدس] [(٧٣)] .

ولعلنا نبلغ الصواب إذا لخصنا فكر القديس كيرلس بهذا الخصوص بقولنا : إن الإفخارستيا تجعلنا جسداً واحداً في المسيح ، بينما الإمتلاء بالروح القدس يجعلنا روحاً واحداً فيه .

(٧٢) تفسير يوحنا ١٧ : ٢٠ P.G. 74, 561

(٧٣) في الثالث ١ P.G. 75, 697

جـ - الروح القدس يجعل الثالث محل فينا وبذلك يجعلنا واحداً فيه :
[حينما يسكن فينا الروح الواحد ، فإن الله الواحد أبو الجميع يكون فينا
بواسطة ابنه ، جامعاً الذين صاروا شركاء الروح القدس إلى الوحدة فيما
بينهم ، كما إلى الوحدة معه أيضاً] (٧٤).

د - الروح القدس في صلاة الرب الأخيرة من أجل الوحدة (يو ١٧):
لقد طلب الرب في صلاته الأخيرة (يو ١٧) أن يكون المؤمنون به واحداً . ومع أن
هذا الأصحاح لا يذكر فيه الروح القدس صراحة ، إلا أن كثيراً من الآباء استشف
فيه الروح القدس من بين السطور .

فلأن الروح هو بطبعه أقنوم الشركة وأقنوم الوحدة في الثالث ، لذلك فن الطبيعي
أن يعتبر الآباء أن الرب حينما يطلب لنا الوحدة فهو بالتأكيد يطلب لنا الروح القدس
بطريقة ضمنية . وهذا الأسلوب في تفسير صلاة الرب الأخيرة في يوحنا ١٧ قد وجدناه
من قبل عند القديس أثناسيوس (أنظر الأقوال ٣٦ إلى ٣٩) ، ويبدو أنه كان تفسيراً
تقليدياً عند آباء الإسكندرية .

يقول القديس كيرلس الكبير في تفسيره لصلاة الرب الأخيرة (يو ١٧):
[إنه يطلب أن تحمل على الرسل قوة الروح القدس التقديسية ، هذا الذي
يُرسل من عند الآب بواسطة... ولكي لا يظن أحد أن الرب يطلب حلول
روح الله على التلاميذ فقط ولا يطلبه لنا أيضاً... لذلك يستطرد الرب
قائلاً: « ولست أسأل من أجل هؤلاء فقط بل أيضاً من أجل الذين
يؤمنون بي بكلامهم »... ثم لكي لا يدعنا نجهل الغاية من صلاته ، بل لكي
يعرفنا أي أناس ينبغي أن نكون... لذلك أضاف قائلاً:

« ليكونوا واحداً كما أنك أنت أيها الآب فيّ وأنا فيك ليكونوا هم أيضاً
واحداً فينا » ، فهو يطلب لنا إذن رباط المحبة والوفاق والسلام ليُدخل المؤمنين

به إلى الوحدة الروحية $\epsilon\nu\acute{o}\tau\eta\tau\alpha$ $\pi\nu\epsilon\upsilon\mu\alpha\tau\iota\kappa\eta\eta\nu$ حتى أن اتحادهم في الألفة الكاملة واتفاق النفس الذي لا ينقسم يكون مشابهاً لمعالم تلك الوحدة الجوهرية والطبيعية الكائنة بين الآب والإبن [٧٥].

إذن فالروح القدس ، روح الوحدة ، هو الحقيقة الروحية الفائقة التي كان يطلبها الرب لنا في صلواته الأخيرة من أجل وحدتنا . وليلاحظ القارىء أن أقوى ما قاله القديس كيرلس بخصوص الروح القدس وعمله فينا قد جاء بالذات في تفسيره للأصحاح السابع عشر من إنجيل يوحنا (أنظر الأقوال ٥٧ و ٥٨ و ٦٢ و ٦٧ و ٦٨ و ٧١ و ٧٢ و ٧٤ و ٧٥ و ٧٦).

هـ - الروح القدس يوحدنا على صورة الوحدة الطبيعية الكائنة بين الآب والإبن :

لقد قرأنا في نهاية القول السابق (٧٥) أن الرب يطلب الروح القدس للمؤمنين

به :

[حتى أن اتحادهم في الألفة الكاملة واتفاق النفس الذي لا ينقسم ، يكون مشابهاً لمعالم تلك الوحدة الجوهرية والطبيعية الكائنة بين الآب والإبن].

و يكرر القديس كيرلس هذا المعنى بوضوح أكثر في تفسيره للآية (يوحنا ١٧ : ١١) « أيها الآب القدوس احفظهم في اسمك الذين أعطيتني ليكونوا واحداً كما نحن » : [إنه يريد أن يكون التلاميذ محفوظين في الوحدة بالفكر الواحد والرأي الواحد ، وكأنهم قد امتزجوا تماماً بعضهم ببعض بالنفس والروح ، وممارسة السلام والمودة المتبادلة ، حتى يرتبطوا برباط المحبة الذي لا ينحل ؛ فترتقي الوحدة الكائنة بينهم إلى أن يصير توافقهم الإرادي صورة لتلك الوحدة الطبيعية الكائنة بين الآب والإبن . وهذا هو ما قد تحقق بالفعل . فإننا نقرأ

في أعمال الرسل أنه « كان لجمهور الذي آمنوا قلب واحد ونفس واحدة » (أع ٤: ٣٢) ، بفعل وحدانية الروح . وهذا بعينه هو ما قصده بولس لما قال : « جسد واحد وروح واحد . فإننا نحن الكثيرين جسد واحد في المسيح لأننا نأكل من الخبز الواحد » (أف ٤: ٤ و ١ كو ١٠: ١٧) ، وجميعنا قد مُسحنا بالروح الواحد الذي هو روح المسيح . فلأن التلاميذ كانوا عتيدين أن يصيروا معاً جسداً واحداً وأن يصيروا شركاء في الروح الواحد بعينه ، لذلك يطلب المسيح لهم أن يدوموا محفوظين في هذه الوحدة التي للروح ، التي لا يفصمها شيء ، وفي وحدة الفكر التي لا تنقسم [٧٦].

و- دور الروح القدس في توحيد الخليقة كلها منذ تأسيس العالم :

[« روح الرب قد ملأ المسكونة وهو يوحد الكل ويعرف كل ما يقال » (حكمة ١: ٧) كيف لا يكون الروح هو الله ؟ ... إن كان هو الذي يوحد الكل فكيف يكون هو نفسه مخلوقاً أو خاضعاً للتغيير ؟ فإن عبارة « الكل » تعني كل الطبيعة من كل شكل ومن كل نوع - أعني الطبيعة المخلوقة - وتشير إذن بوضوح إلى أن الذي يوحد « الكل » هو مختلف عن « الكل » وفائق له ... وما هو فائق للكل فهو الله [٧٧].

في هذا القول يبني القديس كيرلس برهانه لألوهية الروح القدس على قدرة الروح على توحيد الخليقة كلها ، حيث يعتبر هذه القدرة التوحيدية من اختصاصات الروح القدس الأساسية بحسب ما جاء في سفر الحكمة (١: ٧) .

ز- دور الروح القدس في توحيد الجميع يوم الخمسين

كفعل مضاد للتفرقة الحاصلة عند بناء برج بابل :

يعتبر الآباء عموماً أن ما حدث في يوم الخمسين كان النقيض المباشر لبلبلة الألسن الحادثة عند بناء برج بابل . فعادثة برج بابل كانت سبباً لتفرقة الناس وتشتتهم في

جميع المسكونة ، بينما صار يوم الخمسين سبباً لاجتماع الجميع من جديد وتوحيدهم بواسطة الروح . وقد سبق أن ذكرنا ما قاله القديس غريغوريوس النزينزي في ذلك (قول ٢٤) وأشارنا إلى وجود نفس الرأي عند القديس كيرلس الأورشليمي (هامش ٢٢) .

أما القديس كيرلس الكبير فهو يرى أن الشروع في بناء برج بابل كان مثلاً لكل محاولة لبناء مجد الذات بالتباهي بالبر الذاتي ، وهذا كان خطأ اليهود الأساسي على مدى تاريخهم الطويل :

[فإن رغبتهم في الإرتفاع بمجرد التباهي بأبائهم في جهالة ، تشبه تماماً الشروع في بناء البرج ... فإنهم بأسباب الفخر الترابية يبنون مجدهم الذاتي وبذلك يتورطون في كل حين] .

والنتيجة الحتمية لإرتفاع الذات تكون دائماً التشتت والتفرقة والإنقسام ، وهذا هو أيضاً ما قد وقع على اليهود :

[فقد شتتهم الله إلى ألسنة كثيرة أي إلى جميع الأمم ... وأما في المسيح فقد صارت تعدد الألسنة آية صالحة ، فبينا كان التلاميذ مجتمعين معاً في يوم الخمسين في بيت واحد « حدث بغتة من السماء صوت كما من هبوب ريح عاصفة وملاً كل البيت حيث كانوا جالسين ، وظهرت لهم ألسنة منقسمة كأنها من نار ، واستقرت على كل واحد منهم ، وامتلاً الجميع من الروح القدس ، وابتدأوا يتكلمون بألسنة أخرى كما أعطاهم الروح أن ينطقوا » (أع ٢: ٢-٤) ؛ فبماذا كانوا يتكلمون ؟ كانوا بقيادة الروح يتكلمون عن الإنطلاق إلى فوق وعن القدوم إلى السماء في المسيح بواسطة الإيمان وعن اجتماع كل ما في المسكونة من ألسنة وأمم وشعوب إلى الوحدة في الروح . فكان الروح يشهد للمسيح في جميع ألسنة الناس وكان ينطق بأسرار المسيح . إذن فقد صارت تعدد الألسنة في حادثة برج بابل علامة للفرقة والتشتت في جميع الأمم ؛ وأما في المسيح فقد صار علامة للمجيء

إلى الوحدة بواسطة الروح وللإنطلاق إلى فوق [(٧٨)].

ح - دور الروح القدس في مصالحة الشعوب « جعل الإثنين واحداً » :

[إن هؤلاء بعينهم - أي كلا الشعبين - لم يعودا بعد منقسمين ولا متعارضين في الرأي بعضهم مع البعض ، ولا مختلفين في اعتقادهم في الله كما كانا في القديم ، بل صاروا بالأكثر مترابطين بشدة في الوجدانية بواسطة الروح في توافق النفس واتفاق الإيمان ، فإنه مكتوب أنه « كان لجمهور الذين آمنوا قلب واحد ونفس واحدة » . فإن المسيح قد خلق الشعبين إنساناً واحداً جديداً صانعاً سلاماً ومصالحاً الإثنين في روح واحد كما هو مكتوب [(٧٩)].

ط - الروح القدس هو السلام الحقيقي الذي وعدنا به الرب :

[إنه لا يقول فقط « إني أعطيتكم السلام » ، بل « سلامي أنا » . ومن الواضح أن ما يعنيه من ذلك هو « إني سأحضر لكم الروح القدس وسأكون أنا بذاتي مع الذين يقبلونه » . فسلام المسيح هو روحه (٨٠) . وإثبات ذلك لا يحتاج إلى برهان طويل ... فإن بولس الملمم يقول « وسلام الله الذي يفوق كل عقل يحفظ قلوبكم وأفكاركم ... » فالسلام الذي يفوق كل الرئاسات والقوات والكراسي والسلاطين وكل الكائنات العقلية إنما هو روح المسيح ... فحيث أن السلام الإلهي الحق هو المسيح نفسه وليس آخر (بحسب رسالة أفسس ٢ : ١٤ « لأنه هو سلامنا ») ، لذلك فروحه ينبغي بحق أن يُدعى ويُعتبر مثله « السلام » . لهذا السبب ينسب المسيح سلامه الخاص - أي روحه - إلى

(٧٨) جلاوير على التكوين P.G. 69, 80 (٧٩) تفسير صفيان ٣ : ١٩ P.G. 71, 1020

(٨٠) « سلام المسيح هو روحه » .

ليلاحظ القارئ أهمية هذا التفسير الآبائي الذي نجده عند كل من القديسين كيرلس الكبير وكبريانوس ، ولتذكر ذلك كلما حضرنا الصلاة من أجل سلام الكنيسة « أوشية السلامة » ، فهي في الواقع بحسب هذا المبدأ التقليدي صلاة من أجل امتلاء الكنيسة بالروح القدس الذي يجددها ويجمعها في الألفة والوحدة والسلام .

طبيعته الخاصة إذ يقول بخصوصه « سلامي أنا ، أتركه لكم » [(٨١)].

إذن ، فالروح القدس هو العطية الحقيقية التي وعدنا بها الرب لما قال : « سلامي أعطيتكم ، سلامي أنا أتركه لكم » . فالروح القدس أصلاً هو روح السلام الحقيقي ؛ وهذا يذكرنا بما وجدناه من قبل عند القديس كبريانوس بخصوص ظهور الروح القدس بهيأة حمامة التي هي رمز للسلام (أنظر قول ١١) .

ي — الروح القدس مصدر التوافق والإنسجام في بناء الكنيسة :

[إن المسيح هو أساس الجميع ... فإننا جميعنا مبنون عليه ، بيتاً روحياً متوافقين معاً συναρμολογούμενοι بفعل الروح القدس ، هيكلاً مقدساً لسكناه ...] (٨٢) .

وليلاحظ القارئ أن كلمة متوافقين معاً συναρμολογούμενοι تفيد نوعاً من التوافق والتآلف والإنسجام الروحي الرفيع يشبه توافق النغم الموسيقي ، ذلك لأنها مشتقة من نفس أصل كلمة harmony = ἁρμονία التي تعني التوافق الموسيقي . فالروح القدس إذن — بحسب رأي القديس كيرلس — هو الذي ينشئ في الكنيسة هذا النوع الرفيع من الإنسجام الروحي الذي يشبه توافق اللحن الموسيقي (٨٣) .

ك — دور الروح القدس في توحيد الكنيسة كوحدة عضوية حية :

[إنه هو الرأس ونحن جسده وأعضاؤه أفراداً . كذلك هو الكرمة ونحن قد غرسنا فيه كأغصان ، مرتبطين معاً في الوحدة بحسب الروح بتقديس نفوسنا] (٨٤) .

(٨١) تفسير يوحنا ١٤ : ٢٧ P.G. 74, 305 (٨٢) تفسير إيش ٤٤ : ٢٣ P.G. 70, 940

(٨٣) وجدير بالذكر أن هذه الكلمة συναρμολογούμενον كان بولس الرسول أول من استخدمها (في رسالة أفسس ٤ : ١٦) للإشارة إلى التوافق والإنسجام الكامل الذي يلزم أن يكون في الجسد الإلهي . وقد تُرجمت إلى العربية بعبارة « مركباً معاً » التي يعوزها معنى الإنسجام والتوافق الموسيقي .

(٨٤) جلا فير على التكوين ٦ : ٣ P.G. 69, 296

[« أنا الكرمة الحقيقية وأبي الكرام » .

إنه بقوله أنه الكرمة بهذا الأسلوب التصويري ، يريد أن يُظهر لنا أنه يجب علينا أن نحبه وأن نتمسك بحبنا له ، و يعرفنا ما أعظم الربح الذي نناله من التصاقنا به . فالأغصان هم الذين ينحدون به ويشبتون فيه ويتأصلون فيه ، وبصبرون شركاء لطبيعته بواسطة شركة الروح القدس . فإن الروح القدس هو الذي يوحدنا بالمسيح مخلصنا]^(٨٥).

فكما تسير العصارة الحية من أصل الكرمة إلى الأغصان فتصنع منها جميعاً وحدة عضوية واحدة ، هكذا يكون الروح القدس فينا . ولذلك يدعو القديس كيرلس « العصارة الحية » :

[إن الأغصان المقطوعة تُنزع تماماً وتسلم للنار ، بعد أن تُسحب منها تلك العصارة الحية التي هي الروح القدس الذي أخذته قبلاً من الكرمة]^(٨٦).

[فالإبن يقوتنا ويغذيها بطريقة كاملة بواسطة الروح القدس ... فالمسيح يقوم بدور الكرمة ، ونحن ننتمي إليه كالأغصان ، ونغتنى بنعمته ، ونستني منه بالروح القدس قوة روحية لإنتاج الثمر]^(٨٧).

ل - دور الروح القدس في اتحاد الكنيسة بالمسيح كعذراء عفيفة له :

[لقد كتب الحكيم بولس للذين تبرروا واغتنوا بالإتحاد بالمسيح بواسطة اقتناء الروح القدس بمسرة الآب : « لقد خطبتكم لرجل واحد لأقدم عذراء عفيفة للمسيح » ، فقد صار الرسل المطوبون يكرزون ويدعون الناس إلى العرس الروحي ... ويجعلونهم يلتصقون بالمسيح ويرتبطون معاً بنعل وحدانية الروح]^(٨٨).

P.G. 74, 349

(٨٦) تفسير يو ١٥ : ٢

P.G 74, 332-333

(٨٥) تفسير يو ١٥ : ١

P.G. 69, 148

(٨٨) جلا فير على التكوين ٣

P.G. 74, 333

(٨٧) تفسير يو ١٥ : ١

فبفعل الروح القدس إذن تصير الكنيسة ملتصقة بالمسيح « كعذراء عفيفة له » .
« من التصق بالرب فهو روح واحد » .

م – دور الروح القدس في اتحاد المسيح بالكنيسة بشبه اتحاد آدم بحواء :
[إن الإنسان الأول قد اقترن بالمرأة في جسد واحد ، فهلك بسببها (إذ سمع
لمشورتها) .

وأما المسيح فهو يتحد بالكنيسة بواسطة الروح ، فيحررها
ويعملها] (٨٩) .

ن – دور الروح القدس في توحيدنا بعضنا ببعض

كشراب واحد محيي يشربه الجميع :

« وجميعنا سقينا روحاً واحداً » (١ كو ١٢ : ١٣) .

يقول القديس كيرلس في تفسيره لهذه الآية :

[لقد اتحدنا بعضنا ببعض وصرنا جسداً واحداً في المسيح ، لأنه جمعنا معاً
وربطنا معاً بنوع ما بالروح القدس الواحد الذي يحل في الجميع ، الذي
سقينا منه باعتباره شراباً محيياً .

فقد قال المسيح ، لما كان يتكلم مع المرأة عند بثر يعقوب : « من يشرب
من هذا الماء يعطش أيضاً ولكن من يشرب من الماء الذي أعطيه أنا فلن
يعطش إلى الأبد . بل الماء الذي أعطيه يصير فيه ينبوع ماء ينبع إلى حياة
أبدية » (يوح : ٤ : ١٣ و ١٤) . كما قال أيضاً لليهود : « من يؤمن بي كما قال
الكتاب تخرج من جوفه أنهار ماء حي . قال هذا عن الروح القدس الذي كان
المؤمنون به مزعمين أن يقبلوه » (يوح : ٧ : ٣٨ و ٣٩) . ولا تعجب من ذلك لأنه إن
كان المسيح هو نهر الله المملوء ماءً بحسب قول المزمور (مز ٦٤ : ١٠ حسب
السبعينية : نهر الله امتلاً ماء) ، وهو السيل المتدفق الفائض حلاوة الذي قيل
أن الله الآب يسقي منه الذين يحبونه (مز ٣٥ : ٩ حسب السبعينية : ومن سيل

حلاوتك تسقيهم) ؛ فكيف لا يُعتبر روحه شراباً محيياً وماءً محيياً ؟ إذن فقد
دُعينا إلى الوحدة بواسطة الروح وقد صرنا شركاءً في جسد واحد في المسيح .
فلنتمسك إذن برباط المحبة بغير انقسام [(٩٠)] .

+ + +

خاتمة

الروح القدس ومبدأ التنوع في الوحدة

بدون التنوع والتمايز بين أعضاء الجسد الواحد لا تكون وحدتهم وحدة عضوية
حية ، بل تكون مجرد سبيكة جامدة بلا حياة .
فالقديس بولس يؤكد هذه الحقيقة قائلاً :

« لو كان كل الجسد عيناً فأين السمع ؟ لو كان الكل سمعاً فأين الشم ؟ لو
كان الجميع عضواً واحداً فأين الجسد ؟ » (١ كو ١٢ : ١٧ و ١٩) .

وفي ذلك يقول الأب متى المسكين في كتابه « الكنيسة الخالدة » :

[لكي ندرك معنى الوحدة إدراكاً صحيحاً ، يجب أن نستثني فكرة رفع الفوارق
بين الأعضاء ، والكف عن أية محاولة لملاشاة التنوع والتمايز والإختصاص التي
هي السمة الضرورية لتكوين الوحدات الكاملة . لأن كمال الوحدة وجاهاها
هو في التآلف بين أجزائها المتميزة والإنسجام بين المتنوعات فيها والتعاون في
الإختصاصات المختلفة ! ... والوحدة البشرية التي تفقد حرية التآلف بين
عناصر مكوناتها والإحتفاظ بخواص الأجزاء ، بل والعمل على إنمائها أيضاً ، لا
تصير وحدة حية بل سبيكة بشرية فاقدة تماماً لكل خواص مكوناتها !!

فتنوع المواهب لازم لبناء هيكل الكنيسة كتتنوع أشكال العظام في
هيكل الجسد ، إذ يتكامل المؤمنون الواحد بالآخر كارتفاق العظام بعضها
ببعض بإحكام « بمفاصل وربط متآزرأ » (١ كو ١٢ : ١٩) [(٩١)] .

(٩١) الكنيسة الخالدة ص ١٠٢ و ٩٤ .

P.G 74, 888-889

(٩٠) تفسير ١ كو ١٢ : ١٢

فن صفات الروح القدس أنه متنوع ومتعدد في مواهبه وعطاياه مع بقائه واحداً في جوهره . وقد قابلنا هذا المبدأ في بداية هذه المقالة في رسائل القديس بولس الرسول :
«فأنواع مواهب موجودة ولكن الروح واحد» (١ كو ١٢ : ٤).
« وهذه كلها يعملها الروح الواحد بعينه قاسماً لكل واحد بمفرده كما يشاء »
 (١ كو ١٢ : ١١).

فالوحدة التي يدخلنا إليها الروح القدس ، يتقابل فيها مبدأ التنوع مع مبدأ الوحدة . وقد سبق أن وجدنا تقابل المبدأين أيضاً في كتابات القديس يوحنا الرسول ، إذ أن كلاً من الروح القدس والكنيسة يوصف في سفر الرؤيا أحياناً بالعدد سبعة « سبعة أرواح الله المرسله إلى كل الأرض » ، « يوحنا إلى السبعة كنائس » ، وأحياناً بأنه مفرد : « الروح والعروس يقولان تعال » ، وذلك إشارة إلى تقابل القدرة على التنوع والانتشار مع الإحتفاظ بالوحدة الكيانية الجوهرية .

ثم وجدنا نفس هذا المبدأ أيضاً عند القديس باسيليوس الكبير إذ أنه يصف الروح القدس بأنه :

[في جوهره بسيط ، في طاقته متعدد ومتنوع

موجود كله في كل واحد ، وكله موجود في كل مكان

يتوزع بدون أن يلحقه ضرر

نتقاسمه بدون أن يفقد كليته] (قول ١٩).

وأما القديس كيرلس فهو يؤكد بوضوح أكثر أننا لا نفقد شخصياتنا الخاصة المتميزة بدخولنا في الوحدة الروحية بفعل الروح القدس . فدخولنا كأعضاء في الجسد الإلهي لا يلغي الصفات التي يتميز بها كل واحد منا والتي تكوّن شخصيته الخاصة :

[مع كوننا متميزين بوضوح بعضنا عن بعض ، بحيث أن لكل واحد منا

شخصيته الخاصة *ὑπόστασιν ἰδικήν* التي ينفرد بها ، التي بسببها

يكون الواحد بطرس والآخر يوحنا أو توما أو متى ، لكننا صرنا جسداً واحداً

في المسيح ، لأننا نفتدي من الجسد الواحد ، وكذلك خُتمنا للوحدة بالروح

القدس الواحد ...] (١٢).

وفي تفسيره للرسالة الأولى إلى أهل كورنثوس يتأمل في ميزة هذا التنوع والتمايز بين الشخصيات في الجسد الإلهي الواحد، إذ أنه يظني جلالاً باهراً على ثوب الكنيسة، فتكون كأنها مشتملة بثوب موسى بالذهب مزينة بأشكال كثيرة (١٣).
يقول القديس كيرلس:

[إن الروح يدبر توزيع المواهب لكل واحد بطريقة مختلفة حتى — بحسب ما قيل في (١ كو ١٢ : ١٢) — كما أن هذا الجسد الكثيف الأرضي يتخذ قوامه من وجود أجزائه المختلفة، هكذا المسيح أيضاً، أي جسده الذي هو الكنيسة، يأخذ كيانه من كثرة تنوع القديسين الكائنين معاً في وحدته الروحية الفائقة. ولذلك يصف داود الملهم من الله الكنيسة بأنها « مشتملة بثوب موسى بالذهب، مزينة بأشكال كثيرة » (مز ٤٤ : ١٠ بحسب السبعينية). وأنا أرى أنه يشير بذلك إلى كثرة تنوع المواهب وإلى كرامتها ... ولذلك أيضاً كتبت إنه: « ظهرت لهم السنة منقسمة كأنها من نار فاستقرت على كل واحد منهم » (أع ٢ : ٣)] (١٤).

(٩٢) في الثالث ١ P.G. 75, 697

(٩٣) وللقديس أغسطينوس رأي جريء في هذا الموضوع مشابه لرأي القديس كيرلس الكبير، إذ يرى أن اختلاف الطقوس والعادات والتقاليد من كنيسة محلية إلى أخرى إنما [يصبغ إلى الخلعة التي تنزين بها إبنة الملك — الكنيسة — ثوباً موسى بالذهب الإبريز تنعكس منه أشعة ذات ألوان شتى] (الرسالة ٣٦ : ٩ « ٢٢ »). فهو بذلك يبرز القيمة الإيجابية للتنوع ليس فقط بين الأفراد بل وبين الكنائس المحلية أيضاً في حدود وحدانية الروح ووحداية الإيمان. وليذكر القاريء ما قلناه في هامش (٤١) من أن القديس أغسطينوس يُعتبر ضمن آباء الغرب أكثر من تفوق في شرح عقيدة الكنيسة كجسد للمسيح، فالقديس أغسطينوس في الغرب يجاري القديس كيرلس الكبير في الشرق، وإن كنا لم نعطه في هذا البحث حقه من الإهتمام والدراسة فذلك بسبب غزارة أقواله ونحسب فكره اللاهوتي في هذا الموضوع، الأمر الذي يجعله يستحق أن يخصص له بحث كامل خاص به.

(٩٤) تفسير ١ كو ١٢ : ٩ . P.G. 74, 888, Pusey, iii, 289, 290.

هذا هو جمال الكنيسة الباهر، الذي يتكوّن من تناسق المواهب المتنوعة وتآلف الشخصيات المتعددة في وحدانية الروح القدس . هذا هو بريق الكنيسة المتعدد الألوان الذي ظهر للقديس يوحنا اللاهوتي في هيئة حجارة كريمة من كل لون وكل نوع، تشكل أسامات أورشليم السماوية . فلولا هذا التنوع المتناسق بالروح لكّانت الكنيسة كلها كتلة واحدة صماء بلا شكل ولا لون، أو « سبيكة » جامدة — بحسب تعبير الأب متى المسكين (هامش ٩١) .

بل نقول، إن هذه هي قدرة الله الفائقة التي بها استطاع أن يحوّل نفس الأضرار التي أصابت البشرية بخطية آدم إلى قيم إيجابية في المسيح يسوع . فإن آدم الأول كان واحداً وبالخطية دخل في صميم طبيعته عنصر التفتت والتمزق الذي أدّى إلى تشتت البشرية وانقسامها إلى شعوب وقوميات وألسنة كثيرة . ولكن حكمة الله وقدرته الفائقة ظهرت في « جمع كل شيء تحت رأس واحد في المسيح » ، ليس بإلغاء تنوع الشخصيات والقوميات والألسنة، بل بتآلفها وتناسقها بفعل الروح القدس، وتحويل التمزق والتفرقة التي حصلت بخطية آدم إلى تنوع مواهب إيجابي في المسيح يسوع، يدفع البشرية للإرتقاء « إلى إنسان كامل إلى قياس قامه ملء المسيح » (أف ٤ : ١٣) ، حتى صارت البشرية الجديدة في المسيح يسوع بسبب تنوع مواهب شخصياتها وتعدد أصناف مواهبها ثم تناسقها بفعل الروح القدس، أخصب وأكثر جمالاً وتكاملاً بما لا يُقاس مما كانت في آدم الأول بفرديته ذات النمط الواحد قبل أن يخطيء . وهذا هو فضل آدم الثاني على آدم الأول .

+ + +



الضرورة تحتم علينا أن لا نقول أو نشهد للروح القدس في حياتنا أو تعليمنا إلا على ضوء التقليد الأبائي، الذي هو بدوره ملتزم في الأساس بكلمة الإنجيل. فتقليد الكنيسة هو الذي يحدد صحة المعنى أو الشرح أو التطبيق، سواء في اللاهوت العقائدي النظري أو اللاهوت الروحي النسكي العملي. وكل خروج عن خط الآباء العام يخرجنا دون أن ندري عن مفهوم الأرثوذكسية وعن حياة الكنيسة التي انصبغت بها ألي سنة، فسر الإيمان الصحيح مرتبط بفاعليته، والمعرفة النظرية مرتبطة بالتطبيق العملي، وهذا وذلك تسليم من الرب والرسل واستعلان روح الله القدوس الذي ظهر بتفوق عام شامل وكامل في يوم الخمسين، ولا يزال يغذي الكنيسة ويعلن ذاته في الأفراد.

ثمن الكتابين معاً
١٠ جنيهات